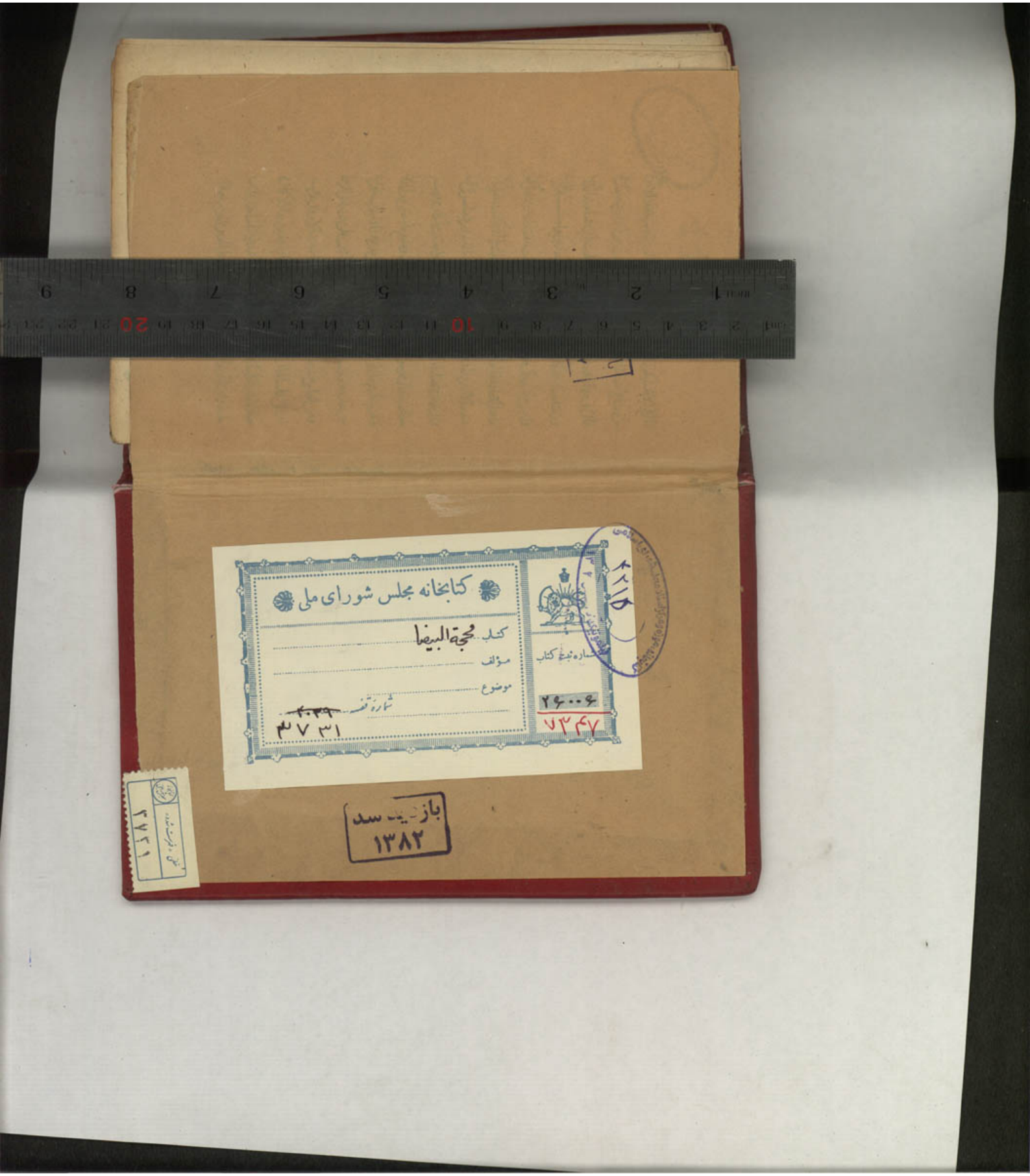
کتابخانه مجلس شورای ملی
کتاب محجة البیضا
مؤلف
موضوع
شمارهٔ قفسه
۳۷۳۱
شماره ثبت کتاب
۲۹۰۰۶
۷۳۴۷
بازبینی شد
۱۳۸۲

کتابخانه مجلس شورای ملی

کتاب محجة البیضا

مؤلف

موضوع

شمارهٔ قفسه ۳۷۳۱

۲۹۷

بازدید شد
۱۳۸۲

۳۷۳۱

کتابخانه مجلس شورای ملی

قال الا ان يكون قد اختلط معه غيره فاما السرقة بعينها فلا الا ان يكون
من متاع السلطان فلا باس بذلك وفي الحسن عن الحلبي عنه عليه السلام
قال اني رجل ابي فقال اني ورثت مالا وقد علمت ان صاحبه الذي
ورثته منه قد كان يربي وقد اعترف ان فيه ربوا واستيقن ذلك
وليس يطيب لي حلاله لحال علمي فيه وقد سالت الفقهاء من اهل العراق
واهل الحجاز فقالوا لا يحل اكله فقال ابو جعفر عليه السلام ان كنت تعلم بان
فيه مالا معروفا ربوا وتعرف اهله فخذ راس مالك ورد ما سوى ذلك
وان كان مختلطا فكل هنيئا فان المال مالك واجتنب ما كان يصنع
صاحبه فان رسول الله صلى الله عليه واله قد وضع ما مضى من الربوا
وحرم عليهم ما بقي فمن جهله وسع له جهله حتى يعرفه فاذا عرف تحريمه
حرم عليه ووجب عليه العقوبة اذا ارتكبه كما يجب على من يأكل الربوا
وعن الحلبي عنه عليه السلام قال ايما رجل ورث من ابيه مالا وقد عرف
ان في ذلك المال ربوا ولكن قد اختلط في التجارة بغيره حلالا كان
حلالا طيبا فليأكله وان عرف منه شيئا انه ربوا فليأخذ راس
ماله وليرد الربوا وحرم ابو حامد ما اذا اختلط القدر الحرام بعدد

محصور كما لو اختلطت الميتة بذكية او بعشر ذكيات او مختلط برضيعه
عشر نسوة او بتزوج احدى الاختين ثم بلبس مستند لاباس الجملة كالشئ
الواحد وتقابل فيه نفس التحريم والتحليل ثم نسر العدد المحصور بما
لو اجتمع على صعيد واحد لسهل على الناظر عدهم بمجرد النظر كالعشرة
والعشرين والمئة المحصورة بما عسر عدهم ح كالالف والالفين وجعل
بينها اوساطا متشابهة يلحق باحد الطرفين بالظن وما وقع فيه الشك
يستفتى القلب وهذا لا يستقيم على اصولنا اذ لا نقل فيه مع عدم
انضباطه وعن اهل البيت عليهم السلام فيما اذا اختلطت الميتة بالذكية
انهما نباعان ممن يستحل الميتة ويحل ثمنها واستدل على الحل في المختلط
بغير المحصور بان الحلال يبقى الحرج في الدين فان من علم ان مال الذمي
خالطه حرام قطعا لا يلزمه ترك الشراء والاكل فان ذلك حرج وما
في الدين من حرج وانما نسلك الدنيا عن الحرام اذا عصم الخلق كلهم
عن المعاصي وهو محال واذا لم نشترط هذا في الدنيا لم يشترط ايضا
في بلد الا اذا وقع بين جماعة محصورين بل اجتناب هذا من ورع
الموسوسين وبما علم في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله والخلفاء

اذكان

اذكان ايمان الخمر ودراهم الربوا وايدي اهل الذمة مختلطة بالاموال
وكذا غلول الغنايم ومن الوقت الذي نهى رسول الله صلى الله عليه وآله
عن الربوا اذ قال صلى الله عليه وآله اول ربوا اضعه ربوا العباس ما
ترك الناس الربوا باجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمر وساير المعاصي حتى روي
ان بعض الصحابة باع الخمر اذ لم يكن قد فهموا ان تحريم الخمر تحريم لثمنها و
قال صلى الله عليه وآله ان فلانا في النار بجر عباءة قد غلها وقتل رجل
ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزا من خرز اليهود لا يساوي درهمين
قد غله وكذلك ادرك اصحاب النبي صلى الله عليه وآله الائمة الظلمة
ولم يمتنع احد منهم عن الشرى في السوق بسبب غلب المدينة وقد بقيها
اصحاب يزيد ثلثة ايام وكان من يمتنع من تلك الاموال مشارا اليه
في الورع والاكثرون لم يمتنعوا ومن اوجب ما لم يوجبه السلف الصالحون
وزعم انه تقطن في الشرع ما لم تفطنوا فهو موسوس مخبل العقل مع
انه لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات وخرب العالم اذ الفسق
يغلب على الناس ويتساهلون بسببه في شروط الشرع وعقودها
ويودي ذلك لا محالة الى الاختلاط قال ... واما قول القائل ان

اكثر الاموال حرام في زماننا هذا فهو غلط محض ومنشاه الغفلة عن الفرق
بين الكثير والاكثر فاكثر الناس يظنون ان ما ليس بنادر فهو الاكثر
ويتوهمون انهما قسمان متقابلان ليس بينهما ثالث وليس كذلك بل الاقسام
ثلثة قليل وهو النادر وكثير واكثر قال فان قيل فلو قدر غلبة الحرام وقد
اختلط غير محصور بغير محصور فاذا نقول فيه اذا لم يكن في العين المشتراة
علامة خاصة فنقول الذي نراه ان تركه ورع وان اخذه ليس بحرام لان
الاصل الحل ولا يدفع الا بعلامات معينة كما في طين الشوارع ونظائره
قال فان قيل لا يجوز قياس الحل على النجاسة اذ كانوا يتوسعون في امور الطهارات
ويتحرزون من شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليه قلنا ان الذين
انهم صلوا مع النجاسة والصلوة معها معصية وهي عماد الدين فليس الظن
بل اليقين وان يعتقد فيهم انهم احترزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وانما
تسامحوا حيث لم يجب لتعارض فيه الاصل والغالب ولم يستند الغالب
الى علامة تتعلق بعين ما فيه النظر وانما تورعهم في الحلال كان بطريق
التقوى وهو ترك ما لا باس به مخافة ما به باس لان امر الاموال مخوف
والنفس تميل اليها ان لم يضبط عنها وامر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع

طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة ان تشغل قلبه وهل حكي عن واحد
انه احترز عن الوضوء بماء البحر وهو الطهور المحض فالافتراق في ذلك
لا تقدح في الغرض الذي جمعنا فيه المقام الثالث الشبهة التي تتصل
بالسبب المحلل معصية اما في قوابله او في لواحقه او في سوابقه او في عوضه
وكانت من المعاصي التي لا توجب فساد العقد وابطال السبب المحلل مثال
المعصية في القرابين البيع في وقت النداء يوم الجمعة والذبح بالسكين المغصوب
والاحتطاب بالفاس المغصوب والبيع على سوم الغير والسوم على سومه
وكل نهي ورد في العقود ولم يدل على فساد العقد كان الامتناع من جميع ذلك
ورعا وان لم يكن بهذه الاسباب محكوما بتحريمه وتسمية هذا النمط
منه تسامحا لان الشبهة في غالب الامر تطلق لارادة الاشتباه والجهل
والاشتباه ههنا بالعصيان بالذبح بسكين الغير معلوم وحل الذبح
معلوم ايضا ولكن قد تشتق الشبهة من المشابهة وتناول الحاصل ببعض
هذه الامور مكروه والكراهة تشبه التحريم فان اريد بالشبهة هذا
فتسمية هذا شبهة له وجه والا فينبغي ان يسمى هذه كراهة لا شبهة
واذا عرفت المعنى فلا مشاحة في الاسامي وهذه الكراهة لها درجات عند

المستفاد

ما يقرب من الحرام والورع منه مهم في الدين ومنها ما ينتهي الى نوع من المباح
يكاد ينتهي الى ورع الموسوسين وبينهما اوساط نازعة الى الطرفين فالكراهة
في اكل صيد كلب مغصوب اشد منه في الذبيحة بسكين مغصوب او المقتنص
بسهم مغصوب اذ الكلب له اختيار وقد اختلف في ان الحاصل به لمالك الكلب
او للصياد وبليه البذر المزروع في ارض مغصوبة فان الزرع لمالك البذر
لكن فيه شبهة اقول لم يثبت عن اهل البيت عليهم السلام كراهة في امثال
هذه ولكن التنزه والاحتياط يقتضيانها من باب التقوى سيما اذا حالت
في الصدر منها شئ فان الاثم حواز القلوب قال واما مثال اللواحق
فهو كل تصرف يفضي في سياقه الى معصية واعلاه بيع العنب من الخمار وبيع
الغلمان من المعروف بالتفجر بالغلمان وبيع السيف من قاطع الطريق
وقد اختلف العلماء في صحة ذلك وفي حل الثمن الماخوذ منه اقول
روى في الكافي بسند صحيح عن محمد الحلبي قال سالت ابا عبد الله عن بيع
عصير العنب ممن يجعله حراما فقال لا باس به يبيعه حلالا ويجعله ذلك
حراما فابعده الله واسحقه وفي الصحيح عن ابن اذينة قال كتبت الى ابي عبد الله عليه السلام
اساله عن رجل له كرم اي يبيع العنب والتمر ممن يعلم انه يجعله خمرا او سكرا فقال

باعه حلالا في الاناب الذي يجعل شربه او اكله فلا باس ببيعه وفي رواية
اخرى انه عليه السلام قال هو ذا نحن نبيع تمرنا ممن نعلم انه يصنعه خمرا وفي الصحيح
عن احمد بن محمد بن ابي نصر قال سالت ابا الحسن عليه السلام عن بيع العصير
فيصير خمرا قبل ان يقبض الثمن قال فقال لو باع ثمرته ممن يعلم انه يجعله
حراما لم يكن به باس واما اذا كان عصيرا فلا يبيعه الا بالنقد قال
واما المقدمات فلتطرق المعصية اليها الضروريات والتي تشتد الكراهة
فيها ما بقي اثره في المتناول كالاكل من شاة اعلفت من علف مغصوب
او رعت في مرعى حرام فان ذلك معصية وقد كان سببا لبقائها وربما
يكون الباقي من لحمها واجزائها من ذلك العلف وهذا الورع مهم وان لم
يكن واجبا فقد نقل ذلك عن جماعة من السلف قال واما المعصية في
العوض فلها الضروريات فالتي تشتد الكراهة فيها ان يشتري
شيئا في الذمة ويقضي ثمنه من غصب او مال حرام فتنظر فان سلم البائع
اليه الطعام قبل قبض الثمن بطيبة قلبه فاكله قبل قضاء الثمن فهو حلال
وتركه ليس بواجب بالاجماع اعني قبل قضاء الثمن ولا هو الضد من الورع
المؤكد فان قضى الثمن بعد الاكل من الحرام فكانه لم يقض الثمن ولو لم يقضه

اصلا لكان متقلدا للظلامة بترك ذمته ولم يسع عليه الا مظلمة بقدره في
الدراهم الحرام بصرفها الى البائع فان ابراه على ظن ان الثمن حلال فلا يحصل
البراءة لانه يبراه بما اخذه ابراء استيفاء ولا يصح ذلك للايفاء فهذا
حكم المشتري والاكل منه وحكم الذمة فان لم يسلم اليه بطيبة قلبه ولكن
اخذه فاكله حرام سواء اكله قبل توفية الثمن من الحرام او بعده اقول
وذلك لفساد العقد بفقد التراضي عنه وكذلك لو اشتراه بعين المال
الحرام سواء كان البائع عالما بحرمته ام لا الا انه لا باس على البائع ان جهله
وبا في كلام ابي حامد في هذه المسئلة انما يستقيم على اصوله والحق ما ذكرنا
وكتب محمد بن الحسن الصفار الى ابي محمد عليه السلام رجل اشترى ضيعة او خادما
بمال اخذه من قطع الطريق او من سرقة هل يحل له ما يدخل عليه من ثمرة هذه
الضيعة او يحل له ان يطا هذا الفرج الذي اشتراه من سرقة او قطع الطريق
فوقع عليه السلام لا خير في شئ اصله حرام ولا يحل استعماله رواه في الكافي بسند
صحيح وفي رواية السكوني عن الصادق عن ابيه عن ابائه عن علي عليهم السلام
قال لو ان رجلا سرق الف درهم فاشترى بها جارية او اصدقها المراة فان
الفرج له حلال وعليه تبعة المال والتوقي بين هذين الحديثين يتاتى

بحمل الاول على ما اذا اشتراها بعين المال والثاني على ما اذا اشتراها في الذمة
ثم دفع هذا المال في ثمنها وسيأتي ما يناسب ذكره في هذا المقام ما رواه في الكافي
بسند حسن عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلام في رجل كان له على رجل
دراهم فباع خمرا او خنازير وهو ينظر فقضاه فقال لا باس به اما المقتضي
فحلال واما البائع فحرام وفي الحسن عن زرارة عن ابي عبد الله عليه السلام
في الرجل يكون لي عليه الدراهم فيبيع بها خمرا او خنازير ثم يقتضيني منها فقال
لا باس او قال خذها وفي الحسن عن محمد بن مسلم قال سالت ابا عبد الله عليه السلام
عن صدقات اهل الذمة وما يوخذ من جزيتهم من ثمن خمورهم ولحم خنازيرهم
وميتتهم قال عليهم الجزية في اموالهم يوخذ منهم من ثمن لحم الخنزير او خمر فكلوا اخذ
منهم من ذلك فوزر ذلك عليهم وثمنه للمسلمين حلال ياخذونه في جزيتهم
قال ابو حامد فهذا مقتضى الفقه وبيان الحكم في الدرجة الاولى
من الحل والحرمة فاما الامتناع عنه فمن الورع المهم لان المعصية اذا تمحضت
من السبب الموصل الى الشئ تشتد الكراهة فيه كما سبق واقوى الاسباب
الموصلة الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضي البائع بتسليمه اليه فرضاه به لا يجوز
عن كونه مكروها شديدة ولكن العدالة لا تنخرم به وتزول به درجة التقوى

والورع ولو اشترى سلطان مثلا ثوبا او ارضا فى الذمة وقبضه برضا
البايع قبل توفية الثمن وسلمه الى نفسه او غيره صلة او خلعة وهو شاك
فى انه سيقضى ثمنه من الحلال او الحرام فهذا اخف اذ وقع الشك فى تطرق
المعصية الى الثمن وتفاوت خففه بتفاوت كثرة الحرام وقلته فى مال ذلك
السلطان وما يغلب على الظن منه وبعضه اشد من بعض والرجوع فيه
الى ما ينقدح فى القلب الضرب الرابع الاختلاف فى الادلة فان ذلك كما
لا اختلاف فى السبب لان السبب سبب لحكم الحل والحرمة والدليل سبب
لمعرفة الحل والحرمة فهو سبب فى حق المعرفة وما لم يثبت فى معرفة العبد
فلا فائدة فى ثبوته فى نفسه وان جرى سببه فى علم الله تعالى وهى اما ان يكون
لتعارض ادلة الشرع او لتعارض العلامات الدالة او لتعارض المشابه
القسم الاول ان يتعارض ادلة الشرع مثل تعارض عمومين من القرآن
او السنة فان ذلك يورث الشك ويرجع فيه الى الاستصحاب
او الاصل المعلوم قبله ان لم يكن ترجيح وان ظهر ترجيح فى جانب الحظر وجب
الاخذ به وان ظهر ترجيح فى جانب الحل جاز الاخذ به ولكن الورع تركه واتقاء
مواضع الخلاف هذا فى الورع فى حق المفتى والمقلد وان كان المقلد يجوز له

ان

ان ياخذ بما افتاه مقلده الذى يظن انه افضل علماء بلده ويعرف ذلك
بالتسامع كما يعرف افضل اطباء البلد بالتسامع والقرائن وان كان لا
يحسن الطب وليس للمستفتى ان ينتقد من المحال المذاهب او سعها
عليه بل عليه ان يجتهد حتى يغلب على ظنه الافضل ثم يتبعه ولا يخالفه
اصلا نعم ان افتى له امامه بشئ ولامامه فتوى مخالف فالفرار من الخلاف
الى الاجماع من الورع المؤكد وكذا المجتهد اذا تعارضت عنده الادلة ورجح
جانب الحل يجد تحرجا وتحمنا وظنا فالورع الاجتناب ولقد كان المفتون
يفتون بحل اشياء لا يقدمون عليها فقط توقيا عنها وحذرا من الشبهة
فيها وهذا ايضا على مراتب فمنها ما يتاكد الاستحباب فى الورع عنه
وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق ترجيح وجه المذهب الاخر عليه
ومنه ما يتاخم درجة الوسواس ومنه ما هو وسواس اقول
مثال الاول ما ارى فيه من المعدودات اذا ظن المجتهد عدم حرمان
الربوا فيها والاجزاء التى لم يعتقد تحريمها من الحيوان المحلل مما اختلف
فى تحريمه او كراهته كالعلبا والغدد والخرزة التى فى الدماغ ومثال الثانى
الزبيب المطبوخ فى الطعام خفية ان يكون من العصير المحرم ومثال

الثالث الحل المخرج من الدن اذا وصل الى اعاليه الملطخ به حال كونه
خمرا خفة بخاسة فان ذلك طاهر بلا خلاف والورع منه وسواس
القسم الثاني ان يتعارض العلامات الدالة على الحل والحرمة فانه قد يذهب
نوع من المتاع في وقت ويندر وقوع مثله من غير المذهب ويرى مثلا في
يد رجل من اهل الصلاح فيدل صلاحه على انه حلال ويدل نوع المتاع
وندوره من غير المذهب على انه حرام فيتعارض الامر وكذلك يخبر
عدل بانه حرام واخر بانه حلال او يتعارض شهادة فاسقين او قول
صبي وبالغ فان ظهر ترجيح حكم به والورع الاجتناب وان لم يظهر ترجيح
وجب التوقف وسيأتي تفصيله في باب التعرف بالبحث والسؤال
اقول قد ورد عن اهل البيت عليهم السلام جواز لبس الجلود المشتراة
من المخالفين المعتقدين لطهارة الميتة بالدباغ في الصلوة من غير سؤال
وهو نص على اطلاق الحل في هذا الباب ففي الصحيح عن الصادق عليه السلام
انه سئل عن الخفاف التي تباع في السوق فقال اشتر وصل فيها حتى
تعلم انه ميت وفي الصحيح عن الكاظم عليه السلام انه سئل عن الرجل يأتي السوق
فيشتري جبة فراء لا يدري اذكية هي ام غير ذكية ايصلي فيها قال ليس

عليكم المسئلة ان اباجعفر عليه السلام كان يقول ان الخوارج ضيقوا على انفسهم
بجهالتهم وان الدين اوسع من ذلك وفي الصحيح عن الرضا عليه السلام مثله
وعن الحسن بن الجهم عن الرضا عليه السلام قال قلت له اعترض السوق فاشتري
خفا لا ادري اذكي هو ام لا قال صل فيه قلت والنعل قال مثل ذلك قال
اني اضيق من هذا قال اترغب عما كان ابو الحسن عليه السلام يفعله وفي الصحيح
عن ابي جعفر عليه السلام انه سئل عن شراء اللحم من الاسواق ولا يدري
ما صنع القصابون قال كل ذلك اذا كان في سوق المسلمين ولا تسأل عنه
يعني اذا اشتريته من رجل ظاهره الاسلام لانه في سوق المسلمين وفي
رواية سماعة قال سألته عن اكل الجبن وتقليد السيف وفيه الكيمخت
والغراء فقال لا باس وعن امير المؤمنين عليه السلام عن سفرة وجدت في
الطريق مطروحة كثير لحمها وخبزها وجبنها وبيضها وفيها سكين قال
يقوم ما فيها ثم يوكل لانه يفسد وليس له بقاء فان جاء طالبها غرموا
له الثمن قيل يا امير المؤمنين لا ندري اسفرة مسلم او مجوسي فقال هم في سعة
حتى يعلموا قال القسم الثالث تعارض الاشباه في الصفات التي بها
يناط الاحكام ومثاله ان يوصي بمال للفقهاء فنعلم ان الفاضل في الفقه

انه سئل

داخل فيه وان الذى ابتدا التعلم منذ يوم او شهر لا يدخل فيه وبينهما درجات
لا تحصى فيقع الشك فيها فالمفتى يفتى بحسب الظن والورع الاجتناب
وهذا اغمض مثارات الشبهة فان فيها صورا يتحير المفتى فيها فنختار الاربعا
لا حيلة له فيه اذ تكون المتصف بالصفة فى درجة متوسطة بين الذرى
المتقابلتين لا يظهر له ميل الى احدهما وكذلك الصدقات المصروفة الى
المحتاجين فان من لا شئ له معلوم انه محتاج ومن له مال كثير معلوم انه غنى وبينهما
مسائل غامضة كمن له دار وانات وثياب وكتب فان قدر الحاجة منه لا
يمنع من الصرف اليه والفاضل يمنع والحاجة ليست محدودة وانما يدرك
بالتقريب ويتعدى منه النظر فى مقدار سعة الدار وابنيتها ومقدار قيمتها
لكونها فى وسط البلد ووضع الاكتفاء بدار دونها وكذلك فى نوع انات
البيت اذا كان من الصفر لا من الخزف وكذلك فى عددها وقيمتها وكذلك
فيما يحتاج اليه كل يوم وما يحتاج اليه كل سنة كالات الشتاء وما لا يحتاج اليه
الا فى سنتين وبين ذلك لا حد له والوجه فى مثل هذا ما قاله صلى الله عليه وآله
اذ قال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وكل ذلك فى محل الريب فان توقف المفتى
فلا وجه له الا التوقف وان افتى بظن وتخمين فالورع التوقف وهو اهم

مواضع

مواضع الورع وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الاقارب وكسوة
الزوجات وكفاية الفقراء والعلماء على بيت المال اذ فيه طرفان يعلم ان
احدهما قاصر وان الاخر زائد وبينهما امور متشابهات تختلف باختلاف
الشخص والحال والمطلع على الحاجات هو الله تعالى وليس للبشر وقوف
على حدودها فما دون الرطل المكى فى اليوم قاصر عن الكفاية للرجل الضخم
وما فوق ذلك ثلثة ارطال زائد على الكفاية وما بينهما لا تحقق له احد
وليدع الورع ما يريبه الى ما لا يريبه وهو جار فى حكم بنط بسبب
يعرف ذلك السبب بلفظ اذ العرب وسائر اهل اللغات لم يقدروا
متضمنات اللغات بحدود محدودة بنقطع اطرافها عن مقابلاتها
كلفظ السنة فانه لا يحتمل ما دونها وما فوقها من الاعداد وسائر الفاظ
الحساب والتقديرات فليست الالفاظ اللغوية كذلك فلا لفظ فى
كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله الا ويتطرق الشك الى اوساط
فى مقتضياتها تتدرج بين اطراف متقابلة وتعظم الحاجة الى هذا الفن فى
الوصايا والاوقاف فهذه اشتباهات تنشأ من علامات متعارضة
تجذب الى طرفين متقابلين وكل ذلك من الشبهات يجب اجتنابها

اذا لم يترجح جانب الحل بدلالة تغلب على الظن او باستصحاب يوجب
قوله صلى الله عليه واله دع ما يريبك الى ما لا يريبك وبموجب سائر
الادلة التي سبق ذكرها فهذه منارات الشبهات وبعضها اشد من بعض
ولو تظاهرت شبهات شتى على شئ واحد كان الامر اغلظ وهذه مراتب
عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوة البشر حصرها فما اتضح من هذا
الشرح اخذ به وما التبس فليجتنب فان الاثم حواز القلوب وحيث
قضينا باستفتاء القلب اردنا به حيث اباح المفتي لما حيث حرمه
فيجب الامتناع ثم لا يعول على كل قلب فرب موسوس سفر عن كل شئ
القلبين ثم ورب شره متساهل يطمئن الى كل شئ ولا اعتبار بهذين القبيلتين
وانما الاعتبار بقلب العالم المومن المراقب لدقايق الاحوال فهو المحك
الذي يمتحن به خفايا الامور وسبا غر هذا القلب في القلوب من لم
يثق بقلب نفسه فليلتمس النور من قلب بهذه الصفة وليعرض عليه
واقعته ويقال في الزبور ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام قل لبني اسرائيل
انه لا اطر الى صلوتكم ولا الى صيامكم ولكن انظر الى من سئل في شئ فتركه
لاجلي فذلك الذي اؤيده بنصري واباهي به ملايكتي اقول ومن طريق

الخاصة ما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلام انه قال انما الامور ثلثة
امر بين رشده فيتبع وامر بين غيه فيجتنب وامر مشكل يرد علمه الى الله ورسوله
قال رسول الله صلى الله عليه واله حلال بين وحرام بين وشبهات بين
ذلك فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات ومن اخذ بالشبهات
ارتكب المحرمات وهلك من حيث لا يعلم وعنه عليه السلام ان الوقوف
عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات **الباب الثالث**
في البحث والسوال والهجوم والاهمال ومظانها اعلم ان كل من قدم
اليك طعاما او هدية او اردت ان تشتري منه او تتهب فليس لك
ان تفتش عنه وتسال وتقول هذا مما لا تحقق حله فلا اخذه بل افتش
عنه وليس لك ايضا ان تترك البحث فتاخذ من كل احد او تاخذ كل ما
تتيقن تحريمه بل السوال واجب مرة وحرام مرة ومندوب اليه مرة ومكروه
مرة فلا بد من تفصيله والقول الشافي فيه هو ان مظنة السوال موا
الريبة ومنارها اما امر يتعلق بالمال او بصاحب المال **المنار الاول**
احوال المال وله بالاضافة الى معرفتك ثلثة احوال ان يكون محمولا
او مشكوكا او معلوما بنوع ظن يستند الى دلالة **الحالة الاولى** ان يكون

مجهولا والمجهول الذى ليس معه قرينة تدل على فساده وظلمه كثير من آحاد
ولا ما يدل على صلاحه كثياب اهل التصوف والتجارة والعلم وغير ذلك من
العلامات فاذا دخلت قرية لا تعرفها فرايت رجلا لا تعرف من حاله شيئا
ولا عليه علامة تنسبه الى اهل الصلاح او اهل الفساد فهو مجهول واذا
دخلت بلدا غريبا ودخلت سوقا ووجدت خبازا او قصابا او غيره
ولا علامة تدل على كونه مريبا او خائنا ولا ما يدل على نفيه فهذا مجهول
لا يدرى حاله ولا تقول انه مشكوك فيه لان الشك عبارة عن اعتقاد بين
متقابلين لهما سببان متقابلان واكثر الفقهاء لا يدركون الفرق
بين ما لا يدرى وبين ما يشك فيه وقد سبق بيانا ان الورع ترك ما
لا يدرى وتكلم جماعة فى اشد الاعمال فقالوا هو الورع فقال لهم حسان
بن ابى سنان ما شئ اسهل عندى من الورع اذ متى جاك فى صدرى شئ
تركته فهذا شرط الورع وانما نذكر الان حكم الظاهر فنقول حكم هذه الحالة
ان المجهول ان قدم اليك طعاما او حمل اليك هدية او اردت ان تشترى
من دكانه شيئا فلا يلزمك السؤال بل يديه وكونه مسلما دلالتان كافيتان
فى الهجوم على اخذه وليس لك ان تقول ان الفساد والظلم غالب على الناس

فهذا

فهذا وسوسة وسوء ظن بهذا المسلم بعينه وان بعض الظن اثم وهذا
المسلم يستحق عليك باسلامه ان لا تسئ به الظن فان اسأت الظن به
فى عينه لانك رايت فسادا من غيره فقد جنيت عليه واثمت به فى الحال
نقدا من غير شك ولو اخذت المال لكان كونه حراما مشكوكا فيه دليل
عليه انا نعلم ان الصحابة فى غزواتهم واسفارهم كانوا يتزلون فى القرى ولا
يردون الضيافة والقرى ويدخلون البلاد ولا يخزنون من الاسواق
وكان الحرام ابدا موجودا فى زمانهم وما نقل عنهم سؤال الا عن ريبة
اذ كان صلى الله عليه وآله لا يسأل عن كل ما عمل اليه بل سأل فى اول
قدومه الى المدينة عما يحمل اليه اصدقة او هدية لان قرينة الحال وهو
دخول المهاجرين المدينة وهم فقراء يغلب على الظن ان ما يحمل اليهم يحمل
بطريق الصدقة ثم اسلام المعطى ويده لا تدل على انه ليس بصدقة وكان
يدعى الى الضيافات فيجيب ولا يسأل اصدقة ام لا اذ العادة ما جرت
بالتصدق بالضيافة وكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصيا
باجابته من غير تفتيش بل لو رأى فى داره بخلا ومالا كثيرا فليس له ان يقول
الحلال عزيز وهذا كثير فمن اين يجتمع هذا من الحلال بل هذا الشخص

بعينه اذا احتمل ان يكون ورث مالا او اكتسبه فهو بعينه مستحق
احسان الظن به وازهد على هذا فاقول ليس له ان يساله بل ان كان
يتورع ولا يدخل خوفه الا ما يدرى من اين هو فهو حسن فليتلطف في التر
وان كان لا بد له من اكله فليأكل ولا يسال اذ السوال ايذاء وهتك
ستر وايحاش وهو حرام بلا اشك فان قلت لعله لا يتاذى فاقول لعله
يتاذى وانت تستحل حذرا من لعل فان قنعت بلعل فلعل ماله حلال
وليس الاثم المحذور في ايذاء المسلم من الاثم في اكل الشبهة او الحرام والغالب باب ٧
على الناس الاستيحاش بالتفتيش ولا يجوز ان يسال عن غيره من حيث
يدرى هو به لان الايذاء في ذلك اكثر وان سال من حيث لا يدرى
هو فعنه اساءة ظن وهتك ستر وفيه تجسس وفيه تسبيب بالغيبة
وان لم يكن صريحا وكل ذلك منهى عنه في اية واحدة قال تعالى اجتنبوا كثيرا
من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا تغتب بعضكم بعضا وكم
من زاهد جاهل يوحش القلوب بالتفتيش ويتكلم بالكلام الخشن المؤذى
وانما يحسن الشيطان عند ذلك طلبا للشبهة باكل الحلال ولو كان
باعثه محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم ان يتاذى اشد من خوفه

على بطنه ان يدخله ما لا يدرى وهو غير مواخذ بما لا يدرى اذا لم يكن
ثمة علامة توجب الاجتناب فليعلم ان طريق الورع الترك دون
التجسس واذا لم يكن بد من الاكل فالورع الاكل واحسان الظن هذا
هو المالوف من الصحابة ومن زاد عليهم في الورع فهو ضال مبتدع وليس
بمتبع فليس بلغ احد مدى حذهم ولا نصيفه ولو انفق ما في الارض جميعا
كيف وقد اكل رسول الله صلى الله عليه واله طعام بريرة فقبل الصدقة
فقال صلى الله عليه واله هو لها صدقة ولنا هدية ولم يسال عن مصدق
عليها وكان المتصدق مجهولا عنده ولم يمتنع الحالة الثانية ان يكون
مشكوكا فيه بسبب دلالة او ريبة فلنذكر صورة ثم حكمها اما
الصورة فهو ان يدل على محرم ما في يده دلالة اما من خلقته او من
زيه وثيابه او من فعله وقوله اما الخلقة فان يكون على خلقة الاتراك
والبوادي والمعروفين بالظلم وقطع الطريق وان يكون طويل الشارب
وان يكون الشعر مفرقا على راسه على دأب اهل الظلم والفساد واما
الثياب فالقباء والقلنسوة وزي اهل الفساد والظلم من الاجناد
وغيرهم واما الفعل والقول فهو ان يشاهد منه الاقدام على ما لا يحل

فان ذلك يدل على انه يتساهل في المال ايضا ويأخذ ما لا يحل فهذه
مواضع الريبة فاذا اراد ان يشتري من مثل هذا شيئا او ياخذ منه
هدية او يجيبه في ضيافة وهو غريب مجهول عنده لم يظهر له منه الا
هذه العلامات فيحتمل ان يقال اليد تدل على الملك وهذه الدلالة
ضعيفة والاقدام جايز والترك من الورع ويحتمل ان يقال ان اليد دلالة
ضعيفة وقد قابلها مثل هذه الدلالة فاورثت ذلك ريبة فالهجوم غير
الذي جايز وهو نختاره ونفتي به لقوله صلى الله عليه واله دع ما يريبك الى ما لا
يريبك وظاهره امر وان كان يحتمل الاستحباب ولقوله صلى الله عليه واله
حز بريدن الاثم حواز القلوب وهذا له وقع في القلب لا سكر ولانه صلى الله عليه واله
سال اصدقة ام هدية في موضع الريبة وحمله على الورع وان كان ممكنا
ولكن لا يحمل عليه الا بقياس والقياس لا يشهد لتحليل هذا فان دلالة
اليد والاسلام عارضتها هذه الدلالات فاذا تقابلا فالاستحلال
لا مستند له اقول بل الحق في هذه المسئلة ان الهجوم جايز وان
تركه من الورع لنقل اهل البيت عليهم السلم على ذلك وهو الحجة عندنا لا
القياس ولا غيره سيما في مقابلة نقلهم اما جواز الهجوم فلما اسلفنا من

اصاره

اخبارهم الدالة على جواز لبس الجلود المستراة من اهل الخلاف
المستحلين لجلود الميتة بالدباغ في الصلوة من غير مسئلة وان
الخوارج ضيقوا على انفسهم بجهالتهم وان الدين اوسع من ذلك واما
ان تركه من الورع فلما رويناه عن سيد العابدين عليه السلم انه كان يلقى
فروة حال الصلوة وكان من فقهاء العراق فقيل له في ذلك فقال ان
اهل العراق يستحلون لباس الجلود الميتة ويزعمون ان دباغه ذكاته
والاخبار النبوية التي ذكرها ابو حامد لا تدل على اكثر من الاستحباب
ومقتضى الورع واما حزازة القلب فمتفرعة على حكم الشرع وانما يعتبر بعد
الفتوى على الظاهر قال الحالة الثالثة ان يكون الحال معلوما بنوع
خبرة وممارسة بحيث يوجب ذلك ظنا في حل المال وتحريمه مثل
ان يعرف صلاح الرجل ودينه وعدالته في الظاهر وجوزان
يكون في الباطن بخلافه فهذا لا يجب السوال ولا يجوز كما في المجهول
بل اولى والاقدام ههنا ابعد عن الشبهة من الاقدام على طعام المجهول
فان ذلك بعد عن الورع وان لم يكن حراما فاما اكل طعام اهل الصلاح
فدأب الانبياء والاولياء قال صلى الله عليه واله لا تاكل الا طعام تقي

ولا باكل طعامك الا تقي فاما اذا علم بالخبرة انجندي او مغن او مرب
واستغنى من الاستدلال عليه بالهيئة والشكل والثياب
فههنا السوال واجب لا محالة كما في موضع الريبة بل اولى المنار الثاني
ما يستند الشك فيه الى سبب في المال لا في حال المالك وذلك بان
يختلط الحرام بالحلال كما اذا طرح في سوق احمال من طعام غصب واشتراها
اهل السوق فليس يحرم على من يشتري في تلك البلدة وذلك السوق ان
يسال عما يشتريه الا ان يظهر ان اكثر ما في ايديهم حرام فعند ذلك يجب السوال
فان لم يكن هو الاكثر فالتفتش من الورع وليس بواجب والسوق الكبير حكمه
حكم بلد افول وقد اسلفنا حديثا عن اهل البيت عليهم السلام ان كل شيء فيه
حلال وحرام فهو لك حلال حتى تعرف الحرام بعينه وهو على اطلاقه شامل
لما كان اكثره حراما فلا وجه لهذا التفصيل عندنا وقد طول ابو حامد الكلام
في هذا المقام بما لا طايل تحته على اصولنا فلنطوه ونقتصر على هذا الحد
قال الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية اعلم
ان من تاب وفي يده مال مختلط فعليه وظيفة في تمييز الحرام واخراجه ووظيفة
اخرى في مصرف المخرج فلننظر فيهما النظر الاول في كيفية التمييز والاخراج

اعلم

اعلم ان كل من تاب وفي ماله ما هو حرام معلوم العين من غصب او وديعة
او غيره فامره سهل فعليه تمييز الحرام وان كان ملتبسا مختلطا فلا يخلو اما
ان يكون في مال هو من ذوات الامثال كالحبوب والنقود والادهان واما
ان يكون من اعيان متمايزة كالعبيد والدواب والدور فان كان في العقارات
او كان شايعا في المال كله كمن اكتسب بتجارة يعلم انه كذب في بعضها في المتاجرة
وصدق في بعضها او من غصب دهنا وخلطه بدهن نفسه او فعل ذلك
بالحبوب او الدراهم والدنانير فلا يخلو اما ان يكون معلوم القدر او مجهول
القدر فان كان معلوم القدر مثل ان يعلم ان قدر النصف من جملة ماله
حرام فعليه تمييز النصف وان اشكل فله طريقان احدهما الاخذ باليقين
والاخر الاخذ بغالب الظن وكلاهما قد قال به العلماء فان اراد الورع فطريق
التحري والاجتهاد ان لا يستبقي الا القدر الذي يتيقن انه حلال وان
اراد الاخذ بالظن فطريقه مثلا ان يكون في يده مال تجارة فسد بعضها
فيتبقن ان النصف حلال وان الثلث مثلا حرام ويبقى سدس يشك
فيه محكم فيه بغالب الظن وهكذا طريق التحري في كل مال وهو ان يقتطع
القدر المستيقن من الجانبين في الحل والحرمة والقدر المتردد فيه

ان غلب على ظنه التحريم اخرجه وان غلب الحل جاز له الامساك والورع اخراجه
وان شك فيه جاز الامساك والورع اخراجه وهذا الورع اكد لانه صار مشكوكا
فيه فكان امساكه اعتمادا على انه في يده فيكون الحل اغلب عليه وقد صار
ضعيفا بعد يقين اختلاط الحرام واما قول القائل ان الذي يخرجه ليس
يدري انه عين الحرام فلعل الحرام ما بقي في يده فجوابه ان المال يحل باخراج
البدل لتطرق المعاوضة اليه اقول واما على طريقة اهل البيت عليهم السلام
فالواجب ان يتصدق بالخمس فيما لا يعرف قدر الحرام ولا صاحبه دونا
ذلك عن مولانا الصادق عليه السلام انه قال ان رجلا اتى امير المؤمنين عليه السلام
فقال يا امير المؤمنين اني اصبت مالا لا اعرف حلاله عن حرامه فقال اخرج
الخمس من ذلك المال فان الله عز وجل قد رضي من المال بالخمس واجتنب
ما كان صاحبه يعلم وفي رواية السكوني عنه عليه السلام هكذا قال ان رجلا اتى
امير المؤمنين عليه السلام فقال اني كسبت مالا اعتضت في مطالبه حلالا
وحراما وقد اردت التوبة ولا ادري الحلال من الحرام وقد اختلط علي
فقال امير المؤمنين عليه السلام تصدق بخمس مالك فان الله عز وجل رضي من
الاشياء بالخمس وسائر المال لك وسنذكر مصرف هذا الخمس انشا الله وقد

طول اصحابنا الكلام في هذا المقام بما لا طايل تحته ونحن استغنينا
عن ذلك كله بهذا الحديث المتفق عليه بين اصحابنا قال النظر الثاني
في المصرف فانه اذا اخرج الحرام فله ثلثة احوال اما ان يكون له مالك معين
يجب الصرف اليه اوالى وارثه وان كان غايبا ينتظر حضوره والايصال
اليه فان كانت له زيادة ومنفعة فليجمع له فوائده الى وقت حضوره واما
ان يكون لما لك معين وقع الياس عن الوقوف على عينه ولا يدري هل مات
عن وارث ام لا وربما لا يمكن الرد لكثرة الملاك كغلول الغنيمة فانها
بعد تفرق الغزاة كيف تقدر على جمعهم وان قدر فكيف يفرق دينارا
واحدا مثلا على الف او الفين فهذا ينبغي ان يتصدق به واما ان يكون
من الاموال المرصدة لمصالح المسلمين كالمنة فيصرف ذلك الى القناطر
والمساجد والرباطات ومصانع طريق مكة وامثال هذه الامور التي
يشترك في الانتفاع بها كل من يمر بها ليكون عاما للمسلمين فان قيل
ما دليل جواز التصدق بما هو حرام وكيف يتصدق بما لا يملك وقد ذهب
جماعة الى ان ذلك غير جايز لانه حرام فنقول نعم ذلك له وجه واحتمال ولكنا
اخترنا خلافه للخبر والاثر والقياس اما الخبر فامر رسول الله صلى الله عليه وآله

بالتصدق بالشاة المصلية التي قدمت اليه وكلمته بانه حرام اذ قال صلى الله عليه واله
اطعموها الاسارى وتصدق بما ظاهر به ابوبكر مع الكفار وقبل تحريم القمار
واما الاثر فما روى ان ابن مسعود اشترى جارية ولم يظفر بمالكها لينقد
له الثمن بعد الطلب الكثير فلما لم يجده تصدق بالثمن وقال اللهم هذا عنه
ان رضى والا فالاجر لى واما القياس فلان هذا المال مردد بين ان يضيع
وبين ان يصرف الى خير اذ وقع اليأس من مالكه وبالضرورة نعلم ان صرفه
الى خير اولى من القائه فى البحر فانا اذا رميناه فيه فقد فوتنا على انفسنا و
المالك ولم يحصل منه فائدة واذا رميناه فى يد فقير يدعو لمالكه حصل لمالكه
بركة دعائه وحصل للفقير سد حاجته وحصول الاجر للمالك بغير اختياره
فى التصدق لا ينبغى ان ينكر فان فى الخبر الصحيح ان للزارع والغارس اجر اكل
ما يصيبه الناس والطيور من ثماره واما قول القابل لا يتصدق الا بمكسب
فذاك اذا طلبنا الاجر لانفسنا ونحن الان نطلب الخلاص من المظلمة لا الاجر
وقد رددنا بين التضييع وبين التصدق وقوله لا يرضى لغيرنا ما لا يرضى
لانفسنا فهو كذلك ولكنه علينا حرام لاستغنائنا عنه وللفقير حلال
اذ اصله دليل الشرع واذا اقتضت المصلحة التحليل وجب التحليل واذا حلل

فقد رضينا له الحلال ونقول ان له ان تصدق على نفسه وعياله اذا
كان فقيرا اما عياله واهله فلا يخفى لان الفقر لا ينتفى بكونهم من عياله
واهله بل هم اولى من يتصدق عليهم واما هو فله ان يأخذ منه قدر حاجته
لانه ايضا فقير ولو تصدق به على فقير لجاز فكذلك ان كان هو الفقير
اقول ونحن بحمد الله سبحانه قد استغنينا عن امثال هذه القياسات
والاعتبارات بالنص المتفق عليه الوارد بالتصدق بالخمس كما ذكرناه الآن
جماعة من متاخرى اصحابنا زعموا ان مصرف هذا الخمس هو مصرف خمس الغنائم
اعنى الهاشميين ولذلك ذكروه فى كتاب الخمس وعدوه من الغنائم وهو
زعم فاسد لعدم صحة كون الحرام من الغنائم ولا ورود ذكر المصرف فى هذا
الحديث فلا وجه للتخصيص بهم بل المستفاد من لفظ التصدق عدم جواز
صرفه الى الهاشميين الا ان يكون المتصدق هاشميا لتحريم الصدقة
الواجبة عليهم الا من مثلهم بالانفاق فالصواب ان يصرف الى غرمائهم من
الفقراء والمساكين لانه المتبادر من لفظ التصدق ومما يدل على جواز
التصدق بما لا يملك من الحرام اوانيه من طرق الخاصة سوى ما ذكر
وسوى ما ورد فى التصدق باللقطة بعد التعريف ما رواه فى الكافى باسناده

عن ابي ايوب قال قلت لابي عبد الله عليه السلام رجل امر غلامه ان يبيع كرمه
عصيرا فباعه خمرا فاتاه بثمنه فقال ان احب الاشياء الي ان يتصدق
بثمنه وفي رواية اخرى حسنة ان افضل خصال هذه التي باعها الغلام
ان يتصدق بثمنها وما يدل على جواز صرفه الى نفسه وعياله ان كان فقيرا
ما ورد في الصحيح من طريق الخاصة في المجامع في شهر رمضان الفاقد لما يكفر
الذي اعطاه رجل اصوعا من التمر ليكفرها انه ياخذه ويطعمه عياله ويستغفر الله
ويحمل الفرق بين المسئلتين والعلم عند الله وقد رسم ابو حامد في هذا
الاصل مسائل نذكرها منها بعضها وندع بعضا مسئلة اذا كان في يده
حلال وحرام او شبهة ولم يفضل الكل عن حاجته فاذا كان له عيال فليخص
نفسه بالحلال لان الحجة عليه في نفسه اوكد منه في عبده وعياله واولاده
الصغار والكبار من اولاده يجريهم من الحرام ان كان لا يفضي بهم ذلك
الى ما هو اشد منه فان افضى فليطعمهم بقدر الحاجة وبالجملة كل ما يحذر
في غيره فهو محذور في نفسه وزيادة وهو انه يتناول مع العلم والعيال
في نفسه وربما يعذر اذا لم يعلم اولم يتناول الامر بنفسه فليبدا بالحلال بنفسه
ثم بمن يعول واذا تردد في نفسه بين ما يخص قوته وكسوته وبين غيره

من

من المؤن كاجرة الحجام والصباغ والقصار والاطلاء بالنورة والدهن
والحمال وعمارة المنزل وعهدة الدابة وتسجير التنور وثمن الحطب ودهن
السراج فليخص بالحلال قوته ولباسه فان ما تعلق ببدنه لا غناء به عنه
وهو اولى بان يكون طيبا واذا دار بين القوت واللباس فيحتمل ان يقال
يخص القوت بالحلال لانه الممتزج بلحمه ودمه وكل لحم ربي من حرام فالنار
اولى به واما الكسوة فقد تنزع عورته ويدفع الحر والبرد والابصار
عن بشرته وهذا هو الاظهر عندي وقال المحاسبي تقدم اللباس لانه عليه
مدة والطعام لا يبقى عليه ولما روي انه لا يقبل صلوة من عليه ثوب اشتراه
بعشرة دراهم فيها درهم حرام وهذا محتمل ولكن امثال هذا قد ورد في من
غذى بطنه حرام وينبت لحمه من حرام كمراعاة اللحم والعظم ان ينبت من الحلال
اولى ولذلك تقبل بعضهم مما شربه من الحرام مع الجهل حتى لا ينبت منه لحم
ينبت ويبقى فان قيل فاذا كان الكل منصرفا الى اغراضه فاي فرق بين
نفسه وبين غيره وبين جهته وجهة وما مدرك الفرق فالجواب عرف ذلك
مما روي ان رافع بن خديج مات وخلف ناضحا وعبدا حجاما فسئل رسول الله
صلى الله عليه وآله عن ذلك فمنع عن كسب الحجام فرجع مرات فمنع فقيل له

ايتاما فقال اعقلوه علقوه الناضح فهذا يدل على الفرق بين ما يأكله هو ودابته
واذا انفتح سبيل الفرق فقس عليه التفصيل الذي ذكرناه اقول ومن طرق
الخاصة ما رويناه في الصحيح عن ابي عبد الله عليه السلام ان رجلا سال رسول الله
صلى الله عليه واله عن كسب الحجام فقال لك ناضح فقال نعم فقال اعلفه اياه
ولا تاكله وفي رواية اخرى ان رجلا من الانصار كان له غلام حجام فسال
رسول الله صلى الله عليه واله فقال هل لك ناضح قال نعم قال فاعلفه ناضحك
وفي الصحيح عنه عليه السلام انه سئل عن الرجل يكون له ثلثمائة درهم او اربعمائة درهم
وله عيال وهو يحترف فلا يصيب نفقته منها ايكب فيأكلها ولا يأخذ
الزكوة او يأخذ الزكوة قال لا بل ينظر الى فضلها فيقوت بها نفسه ومن
وسعه ذلك من عياله ويأخذ البقية من الزكوة ويتصرف بهذه لا ينفقها
وفي الموثق عنه عليه السلام قال قد تحل الزكوة لصاحب السبعمائة ويحرم
على صاحب الخمسين درهما نقلت له وكيف يكون هذا فقال اذا كان
صاحب السبعمائة له عيال كثيرة فلو قسمها بينهم لم يكفه فليعف عنها نفسه
وليأخذها لعياله واما صاحب الخمسين فانه يحرم عليه اذا كان وحده
وهو يحترف يعمل بها وهو يصيب منها ما يكفه انشا الله مسئلة الحرام

الذي في يده لو تصدق به على الفقراء فله ان يوسع عليهم واذا انفق على نفسه
فليضيق ما قدر وما انفق على عياله فليقتصد ولكن متوسطا بين التوسع
والتضييق ويكون الامر على ثلاث مراتب وان انفق على ضيف فلا شيء عليه
وهو فقير فله التوسع عليه وان كان غنيا فلا يطعمه الا اذا كان في برية او
قدم ليلا ولم يجد شيئا فانه في ذلك الوقت فقير وان كان الفقير الذي
حضر ضيفا تقيا لو عرف ذلك لتورع عنه فلم يعرض الطعام عليه وليخبره
جمعا بين حق الضيافة وترك الخداع فلا ينبغي ان يكرم اخاه بما يكره ولا
ينبغي ان يقول انه على انه لا يدري فلا يضره فان الحرام اذا حصل في المعدة
انزع في قساوة القلب وان لم يعرفه صاحبه مسئلة اذا كان الحرام او الشبهة
في يد ابويه فلم يمتنع عن مواكلتهما فان كانا يسخطان فلا يوافقهما على
الحرام المحض بل نهاهما فلا طاعة لمخلوق في معصية الله وان كان شبهة
وكان امتناعه للورع فهذا قد عارضه ان الورع طلب رضاهما بل رضاهما
واجب فليتلطف في الامتناع وان لم يقدر فليوافق وليقلل الاكل بان
يصغر اللقمة ويطيل المضغ ولا يتوسع فان ذلك غرور والاخ والاخت
وترب من ذلك لان حقهما ليس مؤكدا وكذلك اذا البسته امه ثوبا من

شبهة وكانت تسخط برده فليقبل وليلبس بين يديها وليترع في عينيها
وليجتهد ان لا يصلي فيها الا عند حضورها فيصلي فيه صلوة المضطر وعند
تعارض اسباب الورع ينبغي ان يتفقد هذه الدقايق مسئلة من في يده
مال حرام محض فلا حج عليه ولا كفارة مالية لانه مفلس ولا يجب عليه الزكوة
اذ معنى الزكوة اخراج ربع العشر مثلا وهذا يجب عليه اخراج الكل اما
ردا على المالك ان عرفه او صرفا الى الفقراء ان لم يعرف المالك واما
اذا كان مال شبهة يحتمل انه حلال فاذا لم يخرجه من يده لزمه الحج لان
كونه حلالا ممكن ولا يسقط الحج الا الفقر ولم يتحقق فقره قال الله تعالى ولله
على الناس حج البيت واذا وجب عليه التصدق بما يزيد على حاجته حيث
يغلب تحريمه فالزكوة اولى بالوجوب وان لزمته كفارة فليجمع بين الصوم
والاعتاق ليتخلص بيقين مسئلة من خرج لحج واجب بمال فيه شبهة
فليجتهد ان يكون قوته من الطيب فان لم يقدر فمن وقت الاحرام
الى التحلل فان لم يقدر فليجتهد في يوم عرفة ان لا يكون قيامه بين يدي الله
ودعاؤه في وقت مطعمه حرام وملبسه حرام فليجتهد ان لا يكون في بطنه
حرام ولا على ظهره حرام فانا وان جوزنا هذا بالحاجة فهو نوع ضرورة و

ما الحقناه بالطيبات فان لم يقدر فللازم قلبه الخوف والغم لما هو مضطر اليه
من تناول ما ليس بطيب فعساه ينظر اليه بعين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب
حزنه وخوفه وكراهته لذلك الباب الخامس في ادرارات السلاطين و
صلاتهم وما يحل منها وما يحرم اعلم ان من اخذ مالا من سلطان فلا بد له
من النظر الى ثلثة امور في مدخل ذلك المال يد السلطان من اين هو وفي صفته
التي بها يسوغ الاخذ وفي المقدار الذي يأخذه هل يستحقه اذا اضيف
الى حاله وحال شركائه في الاستحقاق اقول واما عندنا فاخذ
اموال السلاطين والعمال جايز بلا خلاف وان علمنا انهم يظلمون بها
الناس ويأخذون الزيادة على المقدار المستحق سواء اخذوها باسم المقاسمة
او الخراج او الزكوة او غير ذلك رضي مالكه بذلك ام لم يرض وسواء كان اعطاؤهم
على سبيل الجايزة والصلة ونحوها او على وجه البيع والشراء وساير المعاوضات
للنصوص الواردة عن اهل البيت عليهم السلام بذلك الا ان نصوصهم مختصة
بسلاطين اهل الخلاف لورودها فيهم وبينهم وبين سلاطين اهل الحق
فرق من حيث ان اهل الخلاف انما يأخذون من المخالفين والنواصب
وباعتقاد ان لهم استحقاق هذا الاخذ في الاكثر وسلاطين اهل الحق

انما ياخذون من الشيعة والفرقة المحقة ومع اعتقاد عدم استحقاقهم لذلك
اصلا فلا استقام قياس هؤلاء على اولئك وليس لقائل ان يقول ان علة
الحكم بالحل انما هو اختلاط الحرام بالحلال وهو مشترك فما لم يعرف الحرام بعينه
جاز الاخذ وذلك لان في النصوص ما يدل على انه لو عرف الحرام بعينه لحرم
الاخذ ايضا مع ان القياس ليس بحجة عندنا الا اذا كانت العلة فيه منصوصة
وليس فليس نعم لو لم يعرف الحرام بعينه فيما لو خذ من سلاطين اهل الحق
وعلم ان في اموالهم ما هو حلال امكن جواز الاخذ بناء على تلك القاعدة وما
عرف صاحبه او مصرفه يجب رده الى اهله ان امكن والا لم يجز الاخذ فان
وقع في يده تصدق عن اهله وانما يجوز الاخذ عنهم مما يختص بهم كالذي
اشتروه او اصيبوا او ورثوا او اخذوه من دار الحرب او نحو ذلك وكذا
اذا اعطوا مما هو مرصد لمصالح المسلمين عامة او خاصة وكان الاخذ من
اهله وانما ياخذ بقدر استحقاقه على التقديرين واما قول العالم ان
السلطان الظالم واجب العزل وهو معزول فكيف يجوز ان ياخذ من يده
فجوابه انه مهما ساعدته الشوكة وعسر خلعه وكان في الاستبدال به فتنة
ثائرة لا تطاق وجب تركه ووجبت الطاعة له ظاهرا واما قوله انه اذا لم يقسم

بالعطاء كل مستحق فكيف يجوز للواحد ان ياخذ منه فجوابه ان الحق في مثله
غير متعين لاحد وانما يتعين بالقبض فله ما اعطى والمظلوم هم الباقون
هذا خلاصة تحقيق الكلام في هذا المقام وهو مغن عن جملة انظار ابي حامد
في هذا الباب وتفصيله وتطويله مع ان اكثرها لا يستقيم على اصولنا
فلنطوها ونقتصر على ذكر اخبار اهل البيت عليهم السلام روى في التهذيب باسناده
الصحيح عن ابي عبيدة عن ابي جعفر عليه السلام قال سالته عن الرجل منا يشتري من
السلطان من ابل الصدقة وغنمها وهو يعلم انهم ياخذون منهم اكثر من الحق
الذي يجب عليهم قال فقال ما الابل والغنم الا مثل الحنطة والشعير وغير ذلك
لا باس حتى يعرف الحرام بعينه وفي الموثق عن اسحق بن عمار قال سالته
عن الرجل يشتري من العامل وهو يظلم قال يشتري منه ما لم يعلم انه ظلم
منه احدا وعن جميل بن صالح قال اراد ابو الربيع ان يشتري ضياعا فاردت ان
اشتريها ثم قلت حتى استاذن ابا عبد الله عليه السلام فامرت مصادفا له
فقال قل له يشتريه فان لم يشتره اشتراه غيره فيقل وكانه عليه السلام اراد ان
يشتريه لئلا تفاوت الحال في نفوذ امره وقوة شوكته وضعف دولة العدل
حتى يكون معاونة على الاثم وفي الصحيح عن معوية بن وهب قال قلت لابي عبد الله

اشترى من العامل الشيء وانا اعلم انه ظلم فقال اشتر منه وعن رجل قال
قلت لابي عبد الله عليه السلام اشترى الطعام فيجيئني من يظلم يقول ظلموني
فقال اشتره لم يردانهم ظلموني وهذا الطعام بل اخبرهم بانهم من اهل الظلم
لا بأس ان تشتري منهم وانما جاز شراءه لعدم علمه بانهم ظلموا فيه احدا وفي الصحيح
عن عبد الرحمن بن الحجاج قال قال لي ابو الحسن عليه السلام مالك لا تدخل مع
علي في شراء الطعام اني اظنك ضيقا قال قلت نعم فان شئت وسعت عليك
قال اشتره وعن ابي بكر الحضرمي قال دخلت على ابي عبد الله عليه السلام وعنده
اسمعيل ابنه فقال ما يمنع ابن ابي سماك ان يخرج سباب الشيعة فيكفونه
ما يكفيه الناس ويعطيهم ما يعطي الناس قال ثم قال لي لم تركت عطاك
قال قلت مخافة على ديني قال ما صنع ابن ابي سماك ان يبعث اليك بعطيتك
اما علم ان لك في بيت المال نصيبا وعن ابي الهيثم الصيقل قال كتبت اليه اني
رجل صيقل اشتري السيوف فابيعها من السلطان اجائز لي بيعها فكتب
عليه السلام لا بأس وفي الموثق عن سماعة قال سألته عن شراء الخيانة والسرقة فقال
اذا عرفت انه كذلك فلا الا ان يكون شيئا اشتريته من العامل
وفي الصحيح عن علي بن عطية قال اخبرني زرارة قال اشتري خريز من

عبر

عبد الملك واخوه من هبيرة ازارا بثلثمائة الف فقال فقلت له ويلك
او ويحك انظر الى خمس هذا المال فابعث به اليه عليه السلام واحتبس الباقي
قال فابى ذلك قال فادى المال وقدم هؤلاء فذهب امر بني امية قال
فقلت ذلك لابي عبد الله عليه السلام فقال بادر اللجواب هولهم هولهم فقلت
له فداداها فعض على اصبعه وفي الصحيح عن ابي عبد الله عن ابيه عليهما السلام
ان الحسن والحسين كانا يقبلان جوائز معاوية وهذا الحديث مما
رواه ابو حامد ايضا عنه عليه السلام وعنه عليه السلام قال جوائز العمال ليس بها باس
وفي الصحيح عن ابي ولاد قال قلت لابي عبد الله عليه السلام ما ترى في رجل يلي اعمال
السلطان ليس له مكتسب الا من اعمالهم وانا امره فانزل عليه فيضيفني وهو يحسن
الي وربما امر لي بالدراهم والكسوة وقد ضاق صدري من ذلك فقال
لي كل وخذ منه ذلك المهنا وعليه الوزر وفي الصحيح عن ابي المغرا قال سأل رجل
ابا عبد الله عليه السلام وانا عنده فقال اصلحك الله امر بالعامل فيجيزني بالدراهم
آخذها قال نعم قلت واحج بها قال نعم قال ابو حامد وروي عن
علي عليه السلام انه قال خذ ما اعطاك السلطان فانما يعطيك من الحلال
وما ما خذ من الحلال اكثر من الحرام وعن سلمان رضي الله عنه انه قال اذا كان

للصديق عامل او تاجر بقارف الربوا فدعاك الى هديه او اعطاك شيئا
فاقبل فان المهنا لك والوزر عليه وعن ابى ذر رضى الله عنه انه قال للا حنف
بن قيس خذ العطاء ما كان نخلة فاذا كان اثمان دينكم فدعه ولما قدم الحسن
بن على عليهما السلام على معوية فقال لا اجيزك بجايزة لم اجزها احدا قبلك من
العرب ولا اجزها بعدك من العرب فاعطاه اربعماية الف فاخذها ثم اول احدا
ابو حامد هذه الاثار بتاويلات بعيدة وجعلها معارضة فى الورع ونحن لا نحتاج
الى تاويلها لموافقتها النصوص المعصومية ولا ريب ان الاستعفاف
عن اموال السلاطين وسيما الشيعة منهم مع عدم الحاجة الشديدة اليها
من الورع واما اخذ امثالنا عليهم السلام ذلك فلكونه حقا لهم واما نفيهم البأس عنه
لشيعتهم فلعله لعلمهم باحتياجهم الشديد او هو اذن منهم فى التصرف
فى حقهم عليهم السلام او هو بحسب ظاهر الفتوى دون حكم الورع وسياتى ما يؤيد
الاخير وفى الموثق عن الصادق عليه السلام انه سئل عن عمل السلطان يخرج
منه الرجل قال لا الا ان لا يقدر على شئ ولا ياكل ولا يشرب ولا يقدر على حيلة
فان فعل فصار فى يده شئ فليبعث بخمسه الى اهل البيت وانما امر عليه السلام ببعث
خمسه اليهم عليهم السلام لان السلاطين كانوا لا يودون حقوقهم عليهم السلام من الخمس فكان

فى اموالهم حقهم وليس ذلك لاختلاط الحلال بالحرام لما قد عرفت ان خمس صدقة م
المختلط على اهلها **الباب السادس** فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة
ويحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والاكرام لهم اعلم ان للمرء الا
والعمال الظلمة ثلثة احوال الحالة الاولى وهى شرها ان تدخل عليهم والثانية
وهى دونها ان يدخلوا عليك والثالثة وهى الاسلم ان تعتزل عنهم ولا تراهم
ولا يروك اما الحالة الاولى وهى الدخول عليهم فهو مذموم فى الشرع جدا
وفيه تغليظات وتشديدات تواردت بها الاخبار والاثار فنقلها
لتعرف ذم الشرع لئم نتعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما يقتضيه
الفتوى فى ظاهر العلم اما الاخبار فلما وصف رسول الله صلى الله عليه واله
الامراء الظلمة قال من نابذهم بخاوس اعتزلهم سلم او كاد يسلم ومن
وقع معهم فى دنياهم وقع منهم وذلك لان من اعتزلهم سلم من اثمهم ولكن
لا يسلم من عذاب بعده ان نزل بهم لتركه المنابذة والمنازعة وقال صلى الله
عليه واله سيكون بعدى امراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم
واعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ولم يرد على الحوض وفى الخبر خير الا
الذين ياتون العلماء وشر العلماء الذين ياتون الامراء وفى الخبر العلماء امنا

الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل
فاحذروهم واعتزلوهم اقول ومن طريق الخاصة ما رواه في الكافي
باسناده عن محمد بن عذافر عن ابيه قال قال ابو عبد الله عليه السلم يا عذافر
بلغني انك تعامل ابا ايوب والربيع فما حالك اذا نودي بك في اعوان الظلمة
قال فوجم ابي فقال ابو عبد الله عليه السلم لما رأى ما اصابه اي عذافر انما فتنك
بما خوفني الله عز وجل به قال محمد فقدم ابي فلم يتغمض ما مكر وباحتى مات وعن
الوليد بن صبيح قال دخلت على ابي عبد الله عليه السلم فاستقبلني زراره
خارجا من عنده فقال لي ابو عبد الله عليه السلم يا وليد اما تعجب من زراره
سالني عن اعمال هؤلاء اي شئ كان يريد ان اقول له لا فيروى
عنه ذلك ثم قال يا وليد متى كانت الشيعة يسال بعضهم بعضا عن هذا وعن حديثنا قال
سمعت ابا عبد الله عليه السلم يقول اتقوا الله وصونوا دينكم بالورع وقووه
بالتقية والاستغناء بالله عز وجل انه من خضع لصاحب سلطان
ولمن يخالفه على دينه طلبا لما في يديه من دنياه اخمله الله عز وجل ومقته
عليه ووكله اليه فاذا هو غلب على شئ من دنياه فصار اليه منه شئ
نزع الله جل اسمه منه البركة ولم يأجره على شئ ينفقه منه في حج ولا عتق

رقبة ولا بر وعن علي بن ابي حمزة قال كان لي صديق من كتاب بني امية
فقال لي استاذن لي على ابي عبد الله فاستاذنت له عليه فاذن له
فلما ان دخل سلم وجلس ثم قال جعلت فداك اني كنت في ديوان هؤلاء
القوم فاصبت من دنياهم ما لا كثيرا واغمضت في مطالبه فقال له ابو عبد الله
عليه السلم لولا ان بني امية وجدوا من يكتب لهم ويجبي لهم الفيئ ويقاتل عنهم
ويشهد جماعتهم لما سلبونا حقنا ولو تركهم الناس وما في ايديهم ما وجدوا
شيئا الا ما وقع في ايديهم قال فقال الفتى جعلت فداك فهل لي مخرج منه
قال ان قلت لك تفعل قال افعل قال له اخرج من جميع ما اكتسبت
في دواوينهم ومن عرفت منهم رددت عليه ماله ومن لم تعرف تصدقت به
وانا اضمن لك على الله عز وجل الجنة قال فاطرق الفتى طويلا ثم قال قد
فعلت جعلت فداك قال ابن ابي حمزة فرجع الفتى معنا الى الكوفة فما ترك
شيئا على وجه الارض الا خرج منه حتى ثيابه التي كانت على بدنه قال
فقسمت له قسمة واستريت له ثيابا وبعثنا اليه نفقة قال فما اتى عليه
الا اشهر قلائل حتى مرض فكنا نعوده قال فدخلت عليه يوما وهو في السوق
قال ففتح عينه ثم قال يا علي وفى لي والله صاحبك ثم مات فتولينا امره

فخرجت حتى دخلت على ابى عبد الله عليه السلم فلما نظر الى قال يا على وفينا
والله لصاحبك قال فقلت صدقت جعلت فداك هكذا والله قال لى عند
مونة وعن ابى بصير قال سالت اباجعفر عليه السلم عن اعمالهم فقال لى يا ابا محمد
لا ولا مدة بقلم ان احدهم لا يصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينه مثله
او قال حتى يصيبوا من دينه مثله الوهم من ابن ابى عمير وعن محمد بن مسلم قال
كنت قاعدا عند ابى جعفر عليه السلم على باب داره بالمدينة فنظر الى الناس يمرون
افواجا فقال لبعض من عنده حدث بالمدينة امر فقال جعلت فداك ولى
المدينة والى فغدا الناس اليه يهنونه فقال ان الرجل ليغدا عليه بالامر يهينا به
وانه لباب من ابواب النار وعن ابن ابى يعفور قال كنت عند ابى عبد الله عليه السلم
فدخل عليه رجل من اصحابنا فقال له اصلحك الله انه ربما اصاب الرجل منا
الضيق والشدة فيدعى الى البناء يبنيه والنهر يكريه والمسناة يصلحها فما
تقول فى ذلك فقال ابو عبد الله عليه السلم ما احب انى عقدت لهم عقدة
او وكيت لهم وكاء وان لى ما بين لابتيها لا ولا مدة بقلم ان اعوان الظلمة
يوم القيمة فى سرادق من نار حتى يحكم الله عز وجل بين العباد وعن رجل قال
قلت لابى عبد الله عليه السلم فلان يقرئك السلام وفلان وفلان فقال وعليهم السلم

نعلم

فقلت يسئلونك الدعاء فقال ومالهم قلت حبسهم ابو جعفر فقال مالهم ومالنا
قلت استعملهم فحبسهم فقال مالهم ومالهم الم انهاهم الم انهاهم هم النار هم النار
قال ثم قال اللهم اجدع عنهم سلطانهم قال فانصرفت من مكة فسالت عنهم
فاذا هم قد اخرجوا بعد هذا الكلام بثلثة ايام وعن جهم بن حميد قال قال لى
ابو عبد الله عليه السلم اما تخشى سلطان هؤلاء قال قلت لا قال ولم قلت فرارا
بدينى قال وعزمت على ذلك قلت نعم فقال لى الان سلم لك دينك وعن
الفضيل بن عياض قال سالت اباعبد الله عليه السلم عن اشياء من المكاسب
فنهانى عنها وقال يا فضيل والله لضرر هؤلاء على هذه الامة اشد من ضرر
الترك والديلم قال وسالته عن الورع من الناس فقال الذى يتورع عن
محارم الله عز وجل ويجتنب هؤلاء واذا لم يتق الشبهات وقع فى الحرام وهو
لا يعرفه اذا راى المنكر فلم ينكره وهو يقدر عليه فقد احب ان يعصى الله جل وعز
ومن احب ان يعصى الله عز وجل فقد بارز الله عز وجل بالعداوة واحب بقاء
الظالمين فقد احب ان يعصى الله جل وعلا ان الله جل ثناؤه حمد نفسه
على هلاك الظالمين فقال فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين
وعنه عليه السلم مرفوعا فى قول الله عز وجل ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار

قال الرجل يأتي السلطان فيجب بقائه الى ان يدخل يده في كيسه فيعطيه
وعنه عليه السلام قال ان قوما ممن آمن بموسى عليه السلام قالوا لو اتينا عسكر فرعون فكنا
منه ونلنا من دنياه فاذا كان الذي نرجوه من ظهور موسى صرنا اليه ففعلوا
فلما توجه موسى ومن معه هارس من فرعون ركبوا دوابهم واسرعوا في السير
ليلحقوا موسى عليه السلام وعسكره فيكونوا معه فنعث الله عز وجل ملكا فضرب
وجوه دوابهم فردهم الى عسكر فرعون فكانوا فيمن غرق مع فرعون وعنه عليه السلام
قال على الله عز وجل ان نصبر وامع من عشتم معه في دنياه وعن يونس بن عمار
قال وصفت لابي عبد الله عليه السلام من يقول بهذا الامر من يعمل عمل السلطان
فقال اذا ولوكم يدخلون عليكم المرفق وينفعونكم في حوايجكم قال قلت منهم
من يفعل ذلك ومنهم فابرؤا منه برئ الله منه وعن حميد قال قلت لابي عبد الله
عليه السلام اني وليت عملا افضل لي من ذلك من مخرج فقال ما اكثر من طلب المخرج
من ذلك فعسر عليه قلت فما ترى قال ارى ان تتقي الله عز وجل ولا تعود و
عن زياد بن ابي سلمة قال دخلت على ابي الحسن موسى عليه السلام فقال لي يا زياد
انك لتعمل عمل السلطان قال قلت اجل قال لي فلم قلت اني رجل لي مروة وعلي
عيال وليس ظهري شئ فقال لي يا زياد لان اسقط من حالق فانقطع قطعة

وراءه

الحالق الجبل المرتفع

قطعة

قطعة احب الي من ان اتولى لاحد منهم عملا او اطا بساط رجل منهم الا لماذا
قلت لا ادري جعلت فداك قال الا لتفريج كربة عن مومن او فك اسرة
او قضاء دينه يا زياد ان اهون ما يصنع الله جل وعز لمن تولى لهم عملا
ان يضرب عليه سرادق من نار الى ان يفرغ الله من حساب الخلق يا زياد
قال وليت شيئا من اعمالهم فاحسن الى اخوانك فواحدة بواحدة والله
من وراء ذلك يا زياد ايما رجل منكم تولى لاحد منهم عملا ثم ساوى بينكم و
بينهم فقولوا له انت منتحل كذاب يا زياد اذا ذكرت مقدرتك على الناس
فاذكر مقدرة الله عز وجل عليك غدا ونفاد ما اتيت اليهم عنهم وبقاء
ما اتيت اليهم عليك وعن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال ذكر عند
رجل من هذه العصابة قد ولي ولاية فقال كيف صنيعه الى اخوانه قال
قلت ليس عنده خير قال انه يدخل فيما لا ينبغي لهم ولا يصنعون الى
اخوانهم خيرا وعن علي بن يقطين قال قلت لابي الحسن عليه السلام ما تقول
في اعمال هؤلاء قال ان كنت لا بد فاعلا فاتق اموال الشيعة قال فاخبرني
على انه كان يجبيها من الشيعة علانية ويردها عليهم في السر وعن ابي
عبد الله عليه السلام ما من جبار الا ومعه مومن يدفع الله عز وجل به عن المومنين

وهو اعلمهم حفظا في الاخرة يعني اهل المومنين حفظا لصحبة الجبار وعن علي
نقطعن قال قال لي ابو الحسن عليه السلم ان الله جل وعز مع السلطان اوليا
يدفع بهم عن اوليائه فصل قال ابو حامد الاثار قال حذيفة ايا كم و
مواقع الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه
بالكذب ويقول ما ليس منه وقال ابو ذر لسلمة ياسلمة لا تغشى ابواب السلطان
فانك لا تصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وقال
عبادة بن الصامت حب الفاري الناس للامراء نفاق وحبه للاغنياء
رياء وقال ابو ذر من كثر سواد قوم فهو منهم اي من كثر سواد الظلمة وقال
ابن مسعود ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له
فقيل له لم قال لانه يرضيه بسخط الله تعالى وكان سعد بن المسيب يتجر
في الزيت ويقول ان في هذا الغنى عن هولاء السلاطين ولما خالط الزهري
السلطان كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك اياك من الفتن
فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا
كبيرا قد اثقلتك نعم الله لما عرفك من كتابه وعلمك من سنة نبيه صلى الله
عليه واله وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله تعالى لتبيننه للناس

ولا تكتمونه واعلم ان ايسرها ارتكبت واخف ما احتملت انك انست وحشة
الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لا يؤدي حقا ولم يترك باطلا
حين ادناك اتخذوك قطبا يدور عليك رحى ظلمهم وجسرا يعبرون
عليك الى بلاياهم وسلما يصعدون فيه الى ضلالتهم يدخلون بك الشك
على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا
عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك
ان يكون ممن قال الله تعالى فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة
واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وانك تعامل من لا يجهل ويحفظ
عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر
سفر بعيد وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء والسلام
فصل قال فهذه الاخبار والاثار تدل على ما في مخالطة السلاطين
من الفتن وانواع الفساد ولكنا نفصل في ذلك تفصيلا نفقهيا يتميز
فيه المحضور عن المكروه والمباح فنقول الداخل على السلطان معرض
لان يعصي الله تعالى اما بفعله واما بسكوته واما بقوله واما باعتقاده
ولا ينفك عن احد من هذه الامور اما الفعل فالدخول عليهم في غالب

قلوبهم

الاحوال يكون الى دور مغصوبة وتخطيها والدخول فيها بغير اذن المالك
حرام ولا يغرنك قول القائل ذلك مما يتسامح الناس به كتمرة او فتات خبز
فان ذلك صحيح في غير المغصوب اما المغصوب فلانه ان قلل ان كل جلسة
خفيفة لا تنقص الملك فهي في محل التسامح وكذلك الاجتياز فيجري هذا
في كل واحد فيجري في المجموع والغصب انما يتم بفعل الجميع وانما يتسامح به اذا
انفرد اذ لو علم المالك به ربما لم يكرهه فاما اذا كان ذلك طريقا الى الاستمرار
بالاستدراك فحكم التحريم ينسحب على الكل فلا يجوز ان يتخذ ملك الرجل
طريقا الى اعتماد على ان كل واحد انما يخطو خطوة لا ينقص الملك لان
المجموع مفوت للملك وهو كفرجة خفيفة في التعليم شائع ولكن بشرط الانفراد
فلو اجتمع جماعة بضربات توجب القتل وجب القصاص على الجميع مع ان
كل واحدة من الضربات لو انفردت لا توجب قصاصا فان فرض الظالم
في موضع غير مغصوب كالموات مثلا فان كان تحت خيمة او مظلة من غير
ماله فهو حرام والدخول اليه غير جائز لانه انتفاع بالحرام والاستظلال
فان فرض ان كل ذلك كان حلالا فلا يعصي بالدخول من حيث انه دخول
ولا بقوله السلام عليك ولكن ان ركع او سجد او سئل قائما في سلامة وخلا

كان

كان حراما لانه تكريم للظالم بسبب ولايته التي هي آلة لظلمه والتواضع
للظلمة معصية بل من تواضع لغني ليس بظالم لاجل غناه لا لمعنى اخر يقتضي
التواضع نقص بلثا دينه فكيف اذا تواضع لظالم فلا يباح الا مجرد السلام
واما تقبيل اليد والانحناء في الخدمة فهو معصية الا لخوف او لامام عادل
اولمن يستحق ذلك بامر ديني فان نزل الداخل جميع ذلك واقتصر على السلام
فلا يجلوس الجلوس على بساطهم واذا كان اغلب اموالهم حراما فلا يجوز الجلوس
على فرشهم هذا من حيث الفعل اما السكوت فهو انه سيرى في مجلسهم
من اواني الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام وكل من
راى حراما استيقنه وسكت عنها فهو شريك في تلك السيئة بل السمع
من كلامهم ما هو فحش وكذب وشتم وايذاء والسكوت على جميع ذلك
حرام بل براهم لابسين للثياب واكلين للطعام وجميع ما في ايديهم حرام
والسكوت على ذلك غير جائز فيجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر بلسانه ان لم يقدر بفعله فان قلت انه يخاف على نفسه فهو معذور
في السكوت فهذا حق لكنه مستثنى ان يعرض نفسه لارتكاب ما
لا يباح الا بعذر فانه لو لم يدخل ويشاهد لم يتوجه عليه الحطاب بالحسبة

حتى يسقط عنه بالعذر وهذا اقول من علم فسادا فى موضع وعلم انه لا يفيد
على ازالته فلا يجوز له ان يحضر ليجرى ذلك بين يديه وهو يشاهده و
يسكت بل ينبغى ان ينحرز عن مشاهدته واما القول فهو يدعو للظالم او
يثنى عليه او يصدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله او بتحريك راسه او بانبساط
فى وجهه او يظهر له الحب والموالاة والاسترسال الى لقائه او الحرص على
طول عمره وبقائه فانه فى الغالب لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا بعد وكلا
هذه الاقسام اما دعاؤه فلا يجوز له الا ان يقول اصلحك الله او وفقك الله
للخيرات او طول الله عمرك فى طاعته وما يجرى هذا المجرى واما الدعاء بالخير
وطول البقاء واسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى او ما فى معناه فغير جايز
فان صلى الله عليه واله من دعا الظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله تعالى
فى ارضه فان جاوز الدعاء الى الثناء فيذكر ما ليس فيه فيكون كاذبا و
منافقا ومكرما الظالم وهذه ثلث معاصى قال صلى الله عليه واله ان الله
ليغضب اذا مدح الفاسق وفى خبر اخر من اكرم ظالما فقد اعان على هدم
الاسلام فان جاوز ذلك الى التصديق له فيما يقول والتركيه على ما يعمل
كان عاصيا بالتصديق وبالاعانة فان التركيه والثناء اعانة والاعانة على

المعصية تحريك للرغبة فيها كما ان التكذيب والمذمة والتقبيح والزجر عنه
وتضعيف لدواعيه والاعانة على المعصية معصية ولو بشطر كلمة وان جاوز
ذلك الى اظهار الحب والشوق الى لقائه وطول بقائه فان كان كاذبا عصى
معصية الكذب والنفاق وان كان صادقا عصى بحبته بقاء الظالم وحقه
ان يبغضه فى الله ويمقته فالبغض فى الله واجب وحب المعصية والراضى
بها عاص ومن احب ظالما فان احبه لظلمه فهو عاص بمحبته ومن احبه
بسبب اخر وهو عاص من حيث انه لم يبغضه وكان الواجب عليه ان
يبغضه فى الله وان اجتمع فى شخص خير وشر وجب ان يحب لاجل ذلك
الخير ويبغض لاجل ذلك الشر وسياتى فى كتاب اخوة المتحابين فى الله
وجه الجمع بين الحب والبغض فان سلم من ذلك كله وهيهات لا يسلم من
فساد يتطرق الى قلبه فانه ينظر الى توسعة فى النعمة وترى نعمة الله
عليه ويكون مقتحما نهى رسول الله صلى الله عليه واله حيث قال يا معشر
المهاجرين لا تدخلوا على اهل الدنيا فانه سخطة للرزق هذا مع ما
من افتداء عنده به فى الدخول ومن تكثير سواد الظلمة بنفسه وتحميله
اياهم ان كان ممن يتجمل به وكل ذلك اما مكروهات واما محظورات ولا يجوز

الدخول لا لعذر بن احدهما ان تكون من جهتهم امر الزام لا امر اكرام وعلم
انه لو امتنع اوذى او فسد عليهم طاعة الرعية واضطرب امر السياسة فانه
يجب عليه الاجابة طاعة لهم ومراعاة لمصلحة الخلق حتى لا تضطرب الولاية الثاني
انه يدخل عليهم من جهة دفع ظلم عن مسلم سواه او عن نفسه اما بطريق الحسبة
واما بطريق التظلم فذلك رخصة بشرط ان لا يكذب ولا يثني ولا يدع نصيحة
يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول الحالة الثانية ان يدخل عليه السلطان
زائرا فجواب السلام لازم واما القيام والاكرام فلا يجرم مقابلة على اكرامه
فانه باكرام العلم والدين مستحق للاحمد كما انه بالظلم مستحق للابعاد و
الاكرام بالاكرام والجواب بالسلام ولكن الاولى ان لا يقوم ان كان معه في
خلوة ليظهر له به عز الدين وحقارة الظلم ويظهر به غضبه للدين واعراضه
عمن اعرض عن الله فاعرض عنه فان كان الداخل عليه في جمع فمراعاة
حشمة ارباب الولايات فيما بين الرعايا هم فلا باس بالقيام على هذه
النية وان علم ان ذلك لا يورث فسادا في الرعية ولا ينال الداخل من غضبه
فترك الاكرام بالقيام اولى ثم يجب عليه بعد ان وقع اللقاء ان ينصحه فان
كان يقارف ما لا يعلم تحريمه وهو يتوقع ان يتركه اذا عرف فليعرفه فان دل

واجب واما ذكر تحريم ما يعلم تحريمه من الشرب والظلم للا فائدة فنه يدل عليه
ان يخوفه فيما يرتكبه من المعاصي بما يظن ان التخويف يؤثر فيه وعليه
ان يرشده الى طرق المصلحة ان كان يعرف طريقا على وفق الشرع بحيث
يحصل فيه غرض الظالم من غير معصية ليصده بذلك عن الوصول الى
غرضه بالظلم فاذن يجب عليه التعريف في محل جهله والتخويف فيما هو
مستمر عليه والارشاد الى ما هو غافل عنه بما يغنيه عن الظلم فهذه
ثلثة امور يلزمه اذا توقع للكلام فيها اثرا وهو ايضا لازم لكل من اتفق له
دخول الى السلطان بعذر او غير عذر قال محمد بن صالح كنت عند حماد
بن سلمة واذا ليس في البيت الا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه
وجراب فيه قوته ومطهرة يتوضأ منها اذ دق الباب فاذا هو محمد بن
سليمان فاذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال يا ابا اسماعيل ابتلاك الله
منك رعبا فقال حماد لا نه صلى الله عليه وآله قال ان العالم اذا اراد الله بعلمه
وجه الله هابه كل شئ ثم عرض عليه اربعين الف درهم جاء بها معه
وقال تاخذها وتستعين بها فقال الرد على من ظلمته بها قال والله
ما اعطيتك الا ما ورثته فقال لا حاجة لي فيها قال فتاخذها فتقسمها

قال لعلى ان عدلت فى القسمة يقول من لم يرزق منها شيئا انه لم يعدل

فى قسمتها فيأتم فى فاذوها عتى الحالة الثالثة ان يعتزل عنهم فلا يراهم ولا

ولا يرونه وهو الواجب اذ لا سلامة الا منه فعليه ان يعتقد بغضهم على

ظلمهم ولا يحب بقاءهم ولا يثنى عليهم ولا يستخبر عن احوالهم ولا يتقرب

الى المتصلين بهم ولا يتاسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم وذلك اذا تمكن

بباله امرهم وان غفل عنهم فهو الاحسن واذا خطر بباله امرهم وتنعمهم اذهبه

بذكر الله وبما قال حاتم الاصم انما بينى وبين الملوك يوم واحد اما امس فلا

يجدون لذته وانى واياهم فى غد على وجل وانما هو اليوم وما عسى ان يكون

فى اليوم وما قال ابو الدرداء اهل الاموال ياكلون وناكل ويبيرون ونتب

ويلبسون ونلبس لهم فضول اموال ينظرون اليها وننظر معهم اليها وعليهم

حسابها ونحن منه براء اذ كل من احاط علمه بظلم ظالم ومعصية عاص فينبغى

ان يحط ذلك من درجته فى قلبه فهذا واجب عليه لان كل من صدر

منه ما يكره نقص من رتبته فى القلب والمعصية ينبغى ان يكره فانها اما

ان يغفل عنها او يرضى بها او يكره ولا يغفله مع العلم ولا وجه للرضا فلا بد

من الكراهة فلكن جناية كل واحد على حق الله كجنايته على حق نفسه فان

قلت الكراهة لا تدخل تحت الاختيار فكيف يجب قلنا ليس كذلك فان المحب

يكره لضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوبه ومخالف وانما لا يكره معصية الله

انما من لا يحب الله ولا يحب الله من لا يعرفه والمعرفة لله واجبة والمحبة لله تعالى

واجبة واذا احبته كره ما يكرهه واحب ما احبته وسيأتى بيان ذلك

فى كتاب المحبة والرضا فصل فان قلت فلقد كان علماء السلف يدخلون

على السلاطين فاقول نعم نعلم الدخول منهم ثم ادخل حكى ان هشام بن عبد

الملك قدم مكة حاجا فلما دخلها قال ائتونى برجل من الصحابة فقيل قد فقدنا

قال فمن التابعين فاتى بطاوس اليمانى فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية

بساطه ولم يسلم بامرة المومنين ولكن قال السلم عليك ولم يكنه وجلس

بازائه وقال كيف انت يا هشام فغضب هشام حتى هم بقتله فقال له انت

فى حرم الله وحرم رسوله فلا تمكن ذلك فقال يا طاوس ما الذى حملك

على ما صنعت قال وما الذى صنعت فازداد غيظا وغضبا قال خلعت

نعليك بحاشية بساطى ولم تقبل يدى ولم تسلم على بامرة المومنين ولم

تكنينى وجلست بازائى بغير اذنى وقلت كيف انت يا هشام فقال اما

خلع نعلى بحاشية بساطك فانى خلعتها بين يدى رب العزة كل يوم خمس

مرات ولا يعاقبني ولا يغضب علي واما قولك ولم اقبل يدك فاني سمعت عليا عليه السلم
يقول لا يحل لرجل ان يقبل يد رجل الا امرأته بشهوة او ولده برحمة واما
قولك لم استسلم بامرة المومنين فليس كل الناس راضين بامرتك فكرهت
ان اكذب واما قولك لم اكنني فان الله سمى اولياءه فقال تعالى يا داود يا يحيى
يا عيسى وكنى اعداءه فقال تبت يدا ابي لهب واما قولك جلست بازاء
فاني سمعت عليا عليه السلم يقول اذا اردت ان تنظر الى رجل من اهل النار
فانظر الى رجل جالس حوله قوم قيام فقال هشام عظني فقال سمعت
عليا عليه السلم يقول اذا اردت ان تنظر ان في جهنم حيات كالقلال و
العقارب كالبغال تلدغ كل امير لا يعدل في رعيته فقام من بين يديه
وهرب واختفى ودخل ما لك بن دينار على امير البصرة فقال ايها الامر قرأت
في بعض الكتب من احمق من السلطان ومن اجهل ممن عصاه ومن اغتر
ممن اغتر بك ايتها الراعي السوء دفعت اليك غنما صحاحا سمانا فاكلت
اللحم ولبست الصوف وتركتها عظاما يتقعقع فقال لا ندري ما الدين عندك
علينا ويجيبنا عنك قال لا قال الله ثم قلة الطمع الينا وترك الالحاح لما
في ايدينا وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع

سلمان

سليمان ابتلاك الله بهم صوت الرعد فجزع ووضع صدره على مقدم
الرحل فقال عمر هذا صوت رحمة فكيف اذا سمعت صوت عذابه ثم نظر
سليمان الى الناس في عرفة فقال ما اكثر الناس فقال خصماؤك يا امير المومنين
فقال سليمان ابتلاك الله بهم وحكي ان سليمان قدم المدينة يريد مكة
فارسل الى ابي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال يا ابا حازم ما لنا نكره الموت
قال لانكم اخربتم اخرتكم وعمرتم الدنيا فكرهتم ان تنتقلوا من العمران الى الخراب
قال يا ابا حازم كيف القدوم على الله قال اما المحسن فكالغائب يقدم على
اهله واما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال ليت شعري
مالي عند الله قال ابو حازم اعرض نفسك على كتاب الله عز وجل قال في
اي الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قرب
من المحسنين ثم قال سليمان يا ابا حازم اي عباد الله اكرم قال اهل المروة
والتقى قال فاي الاعمال افضل قال اداء الفرايض مع اجتناب المحارم قال
فاي الدعا اسمع قال قول الحق عند من يخاف ويرجو قال فاي المومنين
اكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس اليها قال فاي المومنين اخسر
قال رجل خطا في هوى اخيه وهو ظالم فباع اخرته بدنيا غيره قال سليمان

فماذا تقول فيما نحن فيه قال او تعفيني قال لا ولكن نصيحة تلقيها الي قال
يا امير المومنين ان اباءك قهروا الناس بالسيوف واخذوا هذا الملك
عنوة من غير مشورة من المسلمين حتى قتلوا قتلة عظيمة وقد ارتحلوا
فلو شعرت ما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه بئس ما قلت قال
ابو حازم ان الله تعالى قد اخذ الميثاق على العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه
قال سلمان فكيف لنا ان نصلح هذا الفساد قال ان تاخذ من حله فتضعه
في حقه قال ومن يقدر على ذلك قال من يطلب الجنة ويخاف النار قال
سلمان ادع لي قال ابو حازم اللهم ان كان سلمان وليك فبشره بالجنة
في الدنيا والاخرة وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى قال
سلمان اوصني قال اوصيك واوجز عظم رب ونزهه ان يراك حيث نهاك
ويفقدك من حيث امرك وقال عمر بن عبد العزيز لابي حازم عظني فقال
اضطجع ثم اجعل الموت عند راسك ثم انظر ما تحب ان تكون فيه تلك الساعة
فخذ به الان وما تكره ان تكون فيه تلك الساعة فدعه الان فلعل تلك
الساعة قريبة ودخل اعرابي على سليمان فقال تكلم يا اعرابي فقال يا امير المومنين
ابن مكلمك بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته قال

يا اعرابي انا اليجود بالسعة في الاحتمال على من لا يرجو نصحه ولا ناس غشه
فقال يا امير المومنين انه يكفيك رجال قد اساءوا الاختيار لانفسهم
واتباعوا دنياهم بدنهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله
فنلت حرب الاخرة سلم للدنيا فلا امانهم على ما ائتمنك الله عليه فانهم لين
يا ولي الامانة تضييعا وفي الامة خسفا وعسفا وانت مسئول عما اجترحوا
وليسوا مسولين عما اجترحت ولا تصلح دنياهم بفساد اخرتك فان اعظم
الناس غبنا من باع اخرته بدنيا غيره فقال سلمان يا اعرابي لقد سللت
لسانك وهو اقطع من سيفك فقال اجل يا امير المومنين ولكن ذلك
لك لا عليك وحكي ان ابا بكرة دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم
انك في كل يوم تخرج عنك وفي كل ليلة تاتي عليك لا ترداد من الدنيا الا
بعدا ومن الاخرة الا قربا وان على اثرك طالبا لا تقوته وقد نصب لك
علما لا يجوزه فما اسرع ما تبلغ العلم وما اوشك ما يلحق بك الطالب
وانا وما نحن فيه زائل وما نحن صائرون اليه باق ان خيرا فخير وان
شرا فشر فهكذا كان دخول اهل العلم على السلاطين اعني علماء الاخرة واما
علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا الى قلوبهم فيدلونهم على الرخص ويتبطون

العفو الاخذ علما
الطريق ص

بدقائق الحيل طرق السعة فما توافق اغراضهم وان تكلموا بمثل ما ذكرناه
في معرض الوعظ لم يكن قصدهم الاصلاح بل اكتساب الجاه والقبول عندهم
وفي هذا غروران يغتر بهما الجهلي احدهما ان يظن ان قصدي في الدخول
عليهم اصلاحهم بالوعظ وانما يلبسون على انفسهم بذلك وانما الباعث
لهم شهوة خفية للشهرة وتحصيل المعرفة عندهم وعلامة الصدق
في طلب الصلاح انه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من اقرانه من العلماء
ووقع به القبول وظهر به اثر الصلاح فينبغي ان يفرح به ويشكر الله تعالى
على كفاسته هذا المهم من وجب عليه ان يعالج مريضا ضايعا فقام بعلاجه
غيره فانه يغتم به فرحه وان كان يصادف نجاحا الكلام على كلام غيره فغرور
الثالث ان اقصد الشفاعة لمسلم في دفع ظلامة وهذا ايضا مظنة الغرور
ومعياره ما تقدم ذكره **فصل** ثم ذكر ابو حامد مسائل في الاحوال
العارضة في مخالطة السلاطين ومباشرة اموالهم وبالغ في تحريم معاملتهم
ومعاملة قضاتهم وعمالهم وحكمهم بناء على اصله من حرمة ما اكثره حرام
وذكر في ذلك اخبارا من السلف ثم قال وهذه المبالغة لم ينقل عن
السلف مع الفساق والتجار والحاكة والحجامين واهل الحمامات والصياغ

والصباغين وارباب الحرف مع غلبة الفسق عليهم والكذب بل مع الكفار
من اهل الذمة وانما هذا في الظلمة خاصة الاكلين اموال اليتامى والمساكين
والمواظبين على ايذاء المسلمين الذين تعاونوا على طمس رسوم الشريعة
وشعائرها وهذا لان المعصية منقسمة الى لازمة ومتعدية والفسق
لازم لا يتعدى وكذا الكفر وهو جناية على حق الله تعالى وحسابه على الله تعالى
واما معصية الولاة الظلم فهو متعد وانما يغلظ امرهم لذلك وبقدر
عموم الظلم وعموم التعدي يزدادون من الله مقتا فيجب ان يزداد منهم
اجتنابا ومن معاملتهم احترازا فقد قال صلى الله عليه واله يقال للشرطي
دع سوطك وادخل النار وقال صلى الله عليه واله من اشراط الساعة
رجال معهم سياط كاذناب البقر فهذا حكمهم ومن عرف بذلك فقد
عرف ومن لم يعرف فعلامته القباء وطول الشوارب وسائر الهيئات
المشهورة فمن رؤي على تلك الهيئة يجب اجتنابه ولا يكون ذلك
من سوء الظن لانه الذي جنى على نفسه اذ تزيي بزيهم ومساواة الزي
تدل على مساواة القلب ولا يخفى الاعجمي ولا يتشبه بالفساق
الا فاسق ثم الفاسق هذا قد يلتبس فيتشبه باهل الصلاح واما هم

والصباغين

فليس له ان يتشبه باهل الفساد فان ذلك تكثير لسوادهم وانما تنزل
قوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم في قوم من المسلمين كانوا
يكثرون جماعة المشركين بالمخالطة وقد روى ان الله تعالى اوحى الى يوشع
بن نون اني مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا
من شرارهم فقال يارب ما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي
وكانوا يواكلونهم ويشاربونهم وبهذا تبين ان بغض الظلمة والغضب
عليهم لله واجب وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه واله انه قال
ان الله تعالى لعن علماء بني اسرائيل اذ خالطوا الظالمين في معايشهم
اقول وبهذا طريق الخاصة ما رواه في التهذيب عن محمد بن مسلم
قال مر بي ابو جعفر او ابو عبد الله عليهما السلام وانا جالس عند قاض المدينة
فدخلت عليه من الغد فقال ما مجلس رايتك فيه امس قال قد علمت ذلك
ان هذا القاضي لي مكرم فربما جلست اليه فقال لي ما يومنك ان تنزل
اللعنة فتعم من في المجلس وعن يونس بن يعقوب قال قال لي ابو عبد الله
عليه السلام لا تعنهم على بناء مسجد وعنه عليه السلام من سود اسمه في ديوان
القدمة ولد سابع حشره الله يوم القيامة خنزيرا وسابع كناية عن عباس وانما قلبه للتقية

وقد اسلفنا اخبارا اخر في هذا الباب من الكافي **الباب التابع** في مسائل متفرقة يكثر مسيس الحاجة اليها اقول ولما كانت المسائل التي ذكرها ابو حامد في هذا الباب مبنية على اصول العامة طويت ذكرها الا مسئلة واحدة مهمة نذكرها في فصل ونذكر بدل ما تركناه مسائل متفرقة في الحلال والحرام من اخبار اهل البيت عليهم السلام في فصل اخر

الفصل الاول في المسئلة التي ذكرها ابو حامد سئل عن الفرق بين الرشوة والهدية مع ان كل واحد منهما يصدر عن الرضا والاخلاء عن غرض وقد حرم احدهما دون الاخر فقلت باذل المال لا يبذل لفظ الا لغرض اما اجل كالثواب واما عاجل والعاجل اما مال واما فعل واعانة على مقصود معين واما تقرب الى قلب المهدى اليه بطلب محبته اما للمحبة في عينها واما للتوصل بالمحبة الى عوض وراءها فالاقسام الحاصلة من هذه الاربعة خمسة **الاول** ما غرضه الثواب في الاخرة وذلك اما ان يكون المنصرف اليه محتاجا او ما علم انه يعطي لشرف نسبه لا لحاجة له ان علم انه كاذب في دعوى النسب وما يعطى لعلمه لا لحاجة له ان يأخذه الا ان يكون في العلم كما يعتقده المعطي بان كان خيلا اليه كما لا في العلم حتى

او عالما او منتسبا بنسب ديني او صالحا في نفسه او مشتهرا بالعلم لا لاجل انه يعطى لحاجته فلا يجوز ان يأخذ لاجل ان يأخذ مخالفا

لعنه ذلك على التقريب وان لم يكن كالا كاملا لم يحل له وما يعطى لدينه وصلاة
لا يحل له ان ياخذه ان كان فاسقا في الباطن فسقا لو علم المعطى به لما اعطاه
وقلما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائلة اليه
وانما ستر الله القبيح هو الذي يحبب الخلق الى الخلق والمؤمنون وكلوا في
الشراء من لا يعرف انه وكيلهم حتى لا يسامحوا في البيع خيفة من ان يكون
ذلك اكلا بالدين فان ذلك محظور والتقوى خفي لا كالعلم والنسب والفقر
فينبغي ان لا يجتنب الاخذ بالدين مهما امكن الثاني ما يقصد به في
العاجل غرض معين كالفقير يهدى للغني طمعا في خلعة فهذه هبة بشرط
ثواب ولا يخفى حكمها وانما تحل عند الوفاء بالثواب المطموع فيه وعند وجود
شروط العقود اقول وفي الحسن عن الصادق عليه السلام قال الربوا
ربوان ربوا يوكل وربوا لا يوكل فاما الذي يوكل فهدية الى الرجل
تطلب بها الثواب افضل منها فذلك الربوا الذي لا يوكل فهو قوله تعالى
وما اتيتم من ربوا ليربوا في اموال الناس فلا يربوا عند الله واما الذي
لا يوكل فهو الذي نهى الله عنه واوعد الله عليه النار وعنه عليه السلام قال قال
رسول الله صلى الله عليه واله الهدية على ثلثة اوجه هدية مكافاة وهدية

مصانعة

مصانعة وهدية لله عز وجل وعن اسحق بن عمار قال قلت له الرجل الفقير
يهدي الي الهدية يتعرض لما عندي فاخذها ولا اعطيه شيئا اجمل لي
قال نعم هي لك حلال ولكن لا تدع ان تعطيه وعنه عليه السلام انه سئل عن
الرجل يرشو الرجل الرشوة على ان يحول من منزله فيسكنه قال لا باس به
الثالث ان يكون المراد اعانة بفعل معين كالمحتاج الى السلطان يهدي
الى وكيل السلطان وخاصته ومن كاله مكانة عنده فهذه هبة بشرط
ثواب يعرف بقرينة الحال فنظر في ذلك العمل الذي هو الثواب فان
كان حراما كالسعي في تجارة حرام او ظلم انسان وغير ذلك حرم الاخذ
وان كان واجبا كدفع ظلم متعين على من يقدر عليه او شهادة يتعين
فيحرم ما ياخذه وهي الرشوة التي لا يشك في تحريمها وان كان مباحا لا
واجبا ولا حراما وكان فيه تعب بحيث لو عرف جاز الاستيجار عليه
فما ياخذه حلال مهما وفي البغرض وهو جار مجرى الجعالة كما لو قوله او صل
هذه القصة الى السلطان ولك دينار وكان بحيث يحتاج الى تعب
وعمل متقوم او قال اقترح على فلان ان يعينني على كذا او ينعم علي بكذا
ويفتقر في تنجز غرضه الى كلام طويل فذلك جعل كما ياخذه الوكيل

بالخصومة بين يدى القاضى فليس بحرام اذا كان لا يسعى فى حرام وان كان
مقصوده يحصل بكلمة لا تعب فيها ولكن تلك الكلمة من ذى الجاه او تلك الفعلة
من ذى الجاه تفيد كقوله للبواب لا تغلق دونه باب السلطان او كوضع
قصته بين يدى السلطان فقط فهذا حرام لانه عوض عن الجاه ولم يثبت
فى الشرع جواز ذلك ويقرب من هذا اخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة
ينبه بها على دواء تفرد بمعرفته كواحد تفرد بالعلم بقلع النواسير او غيره فلا
بذكره الا بعوض فان عمله فى التلفظ به غير متقوم كحبة من سمسم فلا يجوز اخذ
العوض عليه ولا على علمه اذ ليس ينتقل علمه الى غيره وانما يحصل لغيره مثل علمه
ويبقى هو عالما به اقول ولى فيه نظر بل وفيما قبله ايضا الرابع ما يقصد
المحبة وجلبها من قلب المهدى اليه لا لعوض معين ولكن طلب الاستئناس
وتاكد المحبة وتودد الى القلوب فذلك مقصود للعقلاء وندب اليه
فى الشرع قال صلى الله عليه واله تهادوا وتحابوا وعلى الجملة فلا يقصد الانسان
محبة غيره لعين المحبة بل لفايدة فى محبته ولكن اذا لم يتعين تلك الفائدة
ولا تمثل فى نفسه عوض معين يبعثه فى الحال او المآل سمى ذلك هدية وحل اخذها
اقول روى الكافى عن الصادق عليه السلام قال من تكرمة الرجل اخيه المسلم

ان يقبل تحفته ويتحفه مما عنده ولا تكلف له شيئا وعنه عليه السلام قال قال
رسول الله صلى الله عليه واله تهادوا وتحابوا فانها تذهب بالضغائن
وعن امير المومنين عليه السلام قال كان اهدى لاخى المسلم هدية احب الى من
ان اصدق بمثلها الخامس ان يطلب التقرب الى قلبه وتحصيل محبته
لا لمحبته والانس به من حيث انه انس فقط بل ليتوصل بجاهه الى اغراض له
تحضر جنسها وان لم تحضر عينها وكان لولا جاهه وحشمته لكان لا يهدى اليه
فان كان جاهه لاجل علم او نسب فالامر فيه اخف واخذه مكروه فان فيه شبها
بالرشوة ولكنها هدية فى ظاهرها وان كان جاهه بولاية تولاها من قضاء
او ولاية صدقة او جباية مال او غيره من الاعمال السلطانية حتى ولاية
الاوقاف مثلا وان كان لولا تلك الولاية لكان لا يهدى اليه فهذه رشوة
عرضت فى معرض الهدية اذ القصد بها فى الحال طلب التقرب واكتساب المحبة
ولكن لا تنحصر جنسه اذ ما امكن التوصل اليه بالولايات لا يخفى وانه لا يبقى
المحبة ولو انه ولى غيره فى الحال لسلم المال الى غيره وعن النبى صلى الله عليه واله
سيأتى على الناس زمان يستحل السحت فيه بالهدية والقتل بالموعظة يقبل
البر ليوعظ به العامة وسئل ابن مسعود عن السحت فقال يقضى الرجل الحاجة

فهدى الساعدى فاهدى ابو حميد الساعدى ان رسول الله صلى الله عليه واله
بعث واليا الى صدقات الازد فلما جاء امسك بعض ما معه وقال هذا مالكم
وهذا هدية لى فقال صلى الله عليه واله الا جلست فى بيتك وبيت ابيك وبيت
امك حتى يأتيك هديتك ان كنت صادقا ثم قال صلى الله عليه واله مالى استعمل
الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذه هدية لى الا جلس فى بيت امه ليهدى له والذى
نفسى بيده لا ياخذ منكم احد شيئا بغير حقه الا اتى الله يحمله ولا ياتين احدكم
يوم القيمة ببعير له رغاء او بقرة لها خوار او شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رايت
بياض ابطيه ثم قال صلى الله عليه واله اللهم هل بلغت واذا ثبت هذه التشديدات
فالقاضى والوالى ينبغى ان يقدر بنفسه فى بيت امه وابيه فما كان يعطى بعد العزل
فى بيت امه يجوز له ان ياخذه فى ولايته وما يعلم انه يعطى لولايته يحرم اخذه
وبما اشكل عليه فى اصدقائه انهم يعطونه ذلك لو كان معزولا فهو شبهة فليجتنبه

الرغاء صوت البعير
والخوار صوت البقر

الفصل الثانى فى المسائل المتفرقة من اخبار اهل البيت عليهم السلام روى فى
الكافى عن معونة بن عمار قال قلت لابى عبد الله عليه السلام الرجل يكون لى عليه الحق
فيجحدنيه ثم يستودعنى مالا آلى ان اخذ مالى عنده قال لا هذه خيانة
وعن ابى بكر الحضرمى قال قلت لابى عبد الله عليه السلام رجل كان له على رجل مال فجحده

اياه وذهب به ثم صار بعد ذلك للرجل الذى ذهب بماله مال فبلغه ايا خذ منه
مكان ماله الذى ذهب به ذلك الرجل قال نعم ولكن لهذا كلام يقول اللهم انى
اخذ هذا المال الذى اخذه منى وانى لم اخذ ما اخذ خيانة ولا ظلما وفى
التهذيب عن داود بن زربى قال قلت لابى الحسن موسى عليه السلام انى اخالط
السلطان فيكون عندى الجارية فاخذ رهنا والدابة الفارهة فيأخذ رهنا
ثم يقع لهم عندى المال فلمن ان اخذه فقال خذ مثل ذلك ولا تزد عليه وعن اسحق
بن ابراهيم ان موسى بن عبد الملك كتب الى ابى جعفر عليه السلام يسأله عن رجل
دفع اليه مالا يصرفه فى بعض وجوه البر فلم يمكنه صرف ذلك المال فى الوجه الذى
امره به وقد كان له عليه مال بقدر هذا المال فسأل هل يجوز له ان اقبض
مالى او اردده عليه واقبضه فكتب عليه السلام اقبض مالك مما فى يديك وعن على بن
سليمان قال كتبت اليه رجل غصب رجلا مالا او جارية ثم وقع عنده مال
بسبب وديعة او قرض مثل ما خانه او غصبه اليجل له حبسه عليه ام لا
فكتب عليه السلام نعم يجل له ذلك ان كان بقدر حقه وان كان اكثر مما اخذ منه
ما كان عليه وسلم الباقى اليه انشا الله وعن حمزة بن دراج قال سالت ابا عبد الله عليه السلام
عن الرجل يكون له على الرجل الدين فيجحده فيظفر من ماله بقدر الذى جحده

اياخذه وان لم يعلم الجاحد بذلك قال نعم قال محمد بن الحسن لا ناخذ بين هذه
الاخبار لان لكل منها وجها والذي اقوله ان من كان له على رجل مال فانكره فاستحلفه
على ذلك فحلف فلا يجوز له ان ياخذه من ماله شيئا على حال لما روي عن
النبي صلى الله عليه وآله انه قال من حلف فليصدق ومن حلف له فلم يرض فليس
لم يرض فليس من الله في شيء فاما اذا انكر المال ولم يستحلفه عليه ووقع له
عنده مال جاز له ان ياخذ منه بقدر ماله بعد ان يقول الكلمات التي ذكرناها
ومتى كان له مال فجحده ثم استودعه الجاحد مالا كره له ان ياخذ منه لان هذا
يجري مجرى الخيانة ولا يجوز له الخيانة على حال وعن عيسى بن اعين قال سالت
اباعبد الله عليه السلام عن رجل اهدي الى رجل هدية وهو يرجو ثوابها فلم يثبه حتى
حتى هلك واصاب الرجل هديته بعينها الا ان يرتجعها ان قدر على ذلك قال
لا باس ان ياخذه وفي الكافي عن هدبة بن حسان اخي جعفر بن حسان الصيرفي
قال قلت لابي عبد الله عليه السلام اني دفعت الى اخي جعفر مالا فهو يعطيني ما انفقه
واحج منه وانصدق وقد سالت من قبلنا فذكروا ان ذلك فاسد لا يحل وانا
احب ان انتهي الى قولك فقال لي اكان يصلك قبل ان تدفع اليه ماله قلت
نعم قال فخذ منه ما يعطيك فكل منه واشرب وحج وتصدق فاذا فقدت العرف

نقل

نقل جعفر بن محمد افتانا بهذا وعن اسحق بن عمار عن ابي الحسن عليه السلام
قال سالته عن الرجل يكون له مع رجل مال قرضا فيعطيه الشيء من ربحه مخافة
ان يقطع ذلك عنه فياخذ ماله من غير ان يكون شرط عليه قال لا باس بذلك
ما لم يكن شرط وفي عدة من اصحابنا عن عليه السلام ان خير القرض ما جر منفعة واما
ما روي ان رجلا اتى عليا عليه السلام فقال ان لي على رجل دينا فاهدى الي هدية
فقال عليه السلام احسبه من دينك عليه فحمله في الاستبصار على الهدية الغير
المعروفة المعهودة او الاستحباب وعن اسحق بن عمار قال قلت لابي عبد الله عليه السلام
الاملاك يكون والعرس فينثر على القوم فقال حرام ولكن ما اعطوك منه
فخذ وعنه قال قلت لابي عبد الله الصبيان يلعبون بالجوز والبيض ويقامرون
فقال لا ياكل منه فانه حرام وعن السكوني عنه عليه السلام قال السحت ثمن الميتة
وثمن الكلب وثمن الخمر ومهر البغي والرشوة في الحكم واجر الكاهن وفي رواية اخرى
السحت انواع كثيرة منها كسب الحجام اذا شارط واجر الزانية وثمن الخمر واما الربا
في الحكم فهو الكفر بالله العظيم وعن عبد الله بن يحيى الكاهلي قال قلت لابي عبد الله عليه السلام
انا ندخل على اخ لنا في بيت انام ومعهم خادم لهم فنقعد على بساطهم ونشرب
من مائهم ونخدمنا خادمهم وربما اطعمنا فاكهة الطعام من عند صاحبنا وفيه

من طعامهم فما ترى في ذلك فقال ان كان في دخولكم عليهم منفعة لهم فلا باس
وان كان فيه ضرر فلا وقال عليه السلام بل الانسان على نفسه بصيرة فانتم لا تخفى عليكم
وقد قال الله جل وعز وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح
وعن علي بن المغيرة قال قلت لابي عبد الله عليه السلام ان لي ابنة يتيمة فربما اهدي
لها شيء فاكل منه ثم اطعمها بعد ذلك شيئا من مالي فاقول يا رب هذا بهذا فقال
لا باس وعن سماعة قال سالت ابا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل وان تخالطوهم
فاخوانكم قال يعني المتامى اذا كان الرجل يلي الايتام في حجره فليخرج من ماله على قدر
ما يخرج لكل انسان منهم فيخالطهم وياكلون جميعا ولا يتزان من اموالهم شيئا
انما هي النار وعنه عليه السلام في قول الله تعالى ومن كان فقيرا فليكل بالمعروف
فقال من كان يلي شيئا للمتامى وهو محتاج ليس له ما يقيمه فهو يتقاضى
اموالهم ويقوم في ضيعتهم فليأكل بقدر ولا يسرف وان كانت ضيعتهم لا تشغله
عما يعالج لنفسه فلا يتزان من اموالهم شيئا وفي رواية اخرى قال المعروف
هو القوت وانما عنى الوصي او القيم في اموالهم وما يصلحهم وعن علي بن جعفر عن
ابي ابراهيم عليه السلام قال سالته عن الرجل ياكل من مال ولده قال لا الا ان يضطر اليه
فيأكل منه بالمعروف ولا يصلح للوالد ان ياخذ من مال ولده شيئا الا باذن

اخ م

والده

والده وعن ابي عبد الله عليه السلام انه سئل عن رجل لابنه مال يحتاج الاب
قال ياكل منه فاما الام فلا تاكل منه الا قرضا على نفسها وعنه عليه السلام انه سئل
عما يحل للمراة ان تتصدق به من مال زوجها بغير اذنه قال المد وروى في
التهذيب بسند صحيح عن عبد الرحمن بن الحجاج قال سالته عن رجل اعطاه
رجل مالا ليقسمه في محاويج او في مساكين وهو محتاج اما خذ منه لنفسه ولا
يعلمه قال لا ياخذ منه شيئا حتى ياذن له صاحبه وفي الصحيح عنه عن ابي عبد الله ع
في رجل اعطاه رجل مالا ليقسمه في المساكين وله عيال محتاجون ايعطيهم منه
من غير ان يستامر صاحبه قال نعم وعن هشام بن الحكم عن ابي عبد الله عليه السلام
قال اذا قال لك الرجل استرلي فلا تعطه من عندك وان كان الذي عندك
خيرا منه وعن الحسين بن المختار قال قلت لابي عبد الله عليه السلام انا نعمل القلانس
فنجعل فيها القطن العتق فنبيعها ولا نبين لهم ما فيها فقال احب لك ان تبين
لهم ما فيها وعن علي الصائغ قال سالته عن تراب الصواغين وانا نبيعه قال
اما تستطيع ان تستحله من صاحبه قال قلت لا اذا اخبرته انهمني قال بعه
قلت فباي شيء نبيعه قال بطعام قلت فاي شيء اصنع به قال تصدق به
اما لك واما لاهلك قلت ان كان ذا قرابة محتاجا فاصله قال نعم وعن الحلبي

عن ابي عبد الله عليه السلم قال سالته عن البستان يكون عليه المملوك او اجير
ليس له من البستان شئ فيتناول الرجل من بستانه فقال ان كان بهذا المنزله
لا يعمل من البستان شيئا فلا احب ان آخذ منه شيئا وعن محمد بن مروان
قال قلت لابي عبد الله عليه السلم امر بالثمرة فاكل منها قال كل ولا تحمل قلت فانهم
قد اشتروها قال كل ولا تحمل قلت جعلت فداك ان التجار قد اشتروها
ونقدوا من اموالهم قال اشتروا ما ليس لهم وعن يونس عن بعض رجاله عنه عليه السلم
قال سالته عن الرجل يمر بالبستان وقد حيط عليه او لم يحط عليه هل يصلح له ان
ياكل من ثمره ليس يحمله على الاكل من ثمره الا الشهوة له وله ما يغنيه عن الاكل
من ثمره وهل له ان ياكل منه من جوع قال لا باس ان ياكل ولا يحمله ولا يفسد
وعن بعض اصحابنا عنه عليه السلم قال قلت له الرجل يمر على قراح الزرع ياخذ منه السنبله
قال لا قلت اى شئ السنبله قال لو كان كل من مر به ياخذ منه سنبله كان لا يبقى
شئ وفي الصحيح عن علي بن يقطين قال سالت ابا الحسن عليه السلم عن الرجل يمر بالثمرة
من الزرع والنخل والكرم والشجر والمباطخ وغير ذلك من الثمر اله ان يتناول
منه شيئا وياكل بغير اذن من صاحبه وكيف حاله ان نهاه صاحب الثمرة
او امره القيم فليس له وكم الحد الذي يسعه ان يتناول منه قال لا يحل له ان يا

منه شيئا اقوى العمل على هذا الحديث اولى من العمل على حديث
حوازا الاكل لانه اصح سندا واوفق لعمومات الكتاب والسنه وعلى هذا
يحمل الجواز على ما اذا كان متعارف الزمان والبلد ذلك ليتوافق الخبران
وفي الصحيح عن محمد بن مسلم عن احدهما عليهما السلم قال سالته عن اللقطه قال لا
ترفعوها فان ابتليت فعرفها سنة فان جاء طالبها والا فاجعلها في عرض
مالك وتحرى عليها ما يجرى على مالك الى ان يجيئ طالبها قال وسالته عن
الورق يوجد في دار فقال ان كانت الدار معمورة منهى لاهلها وان كانت خربة
فانت احق بما وجدت وعن امير المومنين عليه السلم انه سئل عن اللقطه فقال
يعرفها فان جاء صاحبها دفعها اليه والا حبسها حولا فان لم يجئ صاحبها او من
يطلبها تصدق بها فان جاء صاحبها بعد ما تصدق بها اختار اغترمها
الذي كانت عنده وكان الاجر له وان كره ذلك احتسبها والاجر له وعن
محمد بن يحيى عن عبد الله بن جعفر قال كتبت الى الرجل عليه السلم اساله عن رجل
اشترى جزورا او بقرة للاضاحي فلما ذبحها وجد في جوفها صرة فيها دراهم
او دنانير او جوهر الم يكون ذلك قال فوقع عليه السلم عرفها البايع فان لم يكن
يعرفها فالشئ لك رزقك الله اياه وفي الصحيح عن عبد الله بن سنان عن ابي

عبد الله عليه السلم قال من اصاب مالا او بعيرا في فلاة من الارض فقد كلت
وقامت وتنها صاحبها المالم يتبعه فاخذها غيره فاقام عليها وانفق نفقة
حتى احياها من الكلال ومن الموت فهي له ولا سبيل له عليها وانما هي
مثل الشئ المباح وعنه عليه السلام قال ليس الزهد في الدنيا باضاعة المال
ولا تحريم الحلال بل الزهد فيها ان لا تكون بما في يدك اوثق بما عند الله عز وجل
وعنه عليه السلم قال ما اعطى الله عبدا ثلثين الفا وهو يريد به خيرا وقال ما جمع رجل
قط عشرة الاف درهم من حل وقد يجمعها الاقوام اذا اعطى القوت ورزق
العمل فقد جمع الله له الدنيا والاخرة هذا اخر كتاب الحلال والحرام
من المحجة البيضاء في احياء الاحياء تم على يدي
افقر عباد الله عملا واكثرهم زللا وخطا احمد المدرسي
يوم عشرة الثامن من شهر ربيع الثاني من سنة احدى
اى ٣٣ عشر بعد ماءتين والف الهجرية
على صاحبها والآله
النجفية

وقد نقلنا في هذه الوريقات ما هو أهم معرفة من كتاب آداب الصحبة والعشرة
وهو الكتاب الخامس من ربع العادات من المحجة البيضاء في إحياء الأحياء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

بيان معنى الأخوة في الله وتميزها عن الأخوة في الدنيا اعلم ان الحب
في الله والبغض في الله غامض وينكشف الغطاء عنه بما نذكره وهو ان
الصحبة تنقسم الى ما يقع بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار وبسبب الاجتماع
في المكتب او المدرسة او في السوق او على باب السلطان او في الأسفار
والى ما ينشأ اختيارا وبقصد وهو الذي نريد بيانه اذ الاخوة في الدين
واقعة في هذا القسم لا محالة اذ الثواب لا على الافعال الاختيارية ولا
نرغب الا فيها والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمحاورة وهذه
الامور لا يقصد بها الانسان غيره الا اذا احبه فان غير المحبوب يجتنب
ويباعد ولا يقصد بمخالطته والذي يحب فاما ان يحب لذاته لا ليتوصل
به الى محبوب ومقصود وراءه واما ان يحب ليتوصل به الى مقصود ومحبوب
المقصود اما ان يكون مقصورا على الدنيا وحظوظها واما ان يكون متعلقا
بالآخرة واما ان يكون متعلقا بالله تعالى فهذه اربعة اقسام اما القسم الاول

وهو حب الانسان لذاته وذلك ممكن وهو ان يكون هو في ذاته محبوبا
عندك على معنى انك تلتذ برؤيته ومعيته ومشاهدة اخلاقه لاستحسانك
له فان كل جميل لذيذ في حق من ادرك جماله وكل لذيذ محبوب واللذة بتبع
الاستحسان والاستحسان يتبع المناسبة والملايمة والموافقة بين
الطباع ثم ذلك المستحسن اما ان يكون هي الصورة الظاهرة اعني الخلقة
واما ان يكون هي الصورة الباطنة اعني كمال العقل وحسن الخلق ويتبع
حسن الاخلاق حسن الافعال لا محالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم
وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل المستقيم وكل مستحسن
مستلذ به ومحبوب بل في ايتلاف القلوب امر اغمض من هذا فانه قد
يستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة في صورة وحسن في خلق
وخلق ولكن لمناسبة باطنة توجب الالفة والموافقة فان سبب الشيء
يجذب اليه بالطبع والاسباب الباطنة خفية ولها اسباب دقيقة
ليس في قوة البشر الاطلاع عليها وعنه عبر رسول الله صلى الله عليه وآله
حيث قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها
اختلف فالتناكر نتيجة التباين والايتلاف نتيجة التناسب الذي عبر

عنه بالتعارف وفي بعض الالفاظ تلتقي فتتشام في الهواء وكني بعض العلماء
عن هذا بان قال ان الله خلق الارواح فعلق بعضها فلقا واطارها حول
العرش فاي ترصين من فلقتين تعارفا هنالك فالتقيا تواصلا في الدنيا
وقال صلى الله عليه واله ان ارواح المومنين ليلتقي على مسيرة يوم وما راى
احدهما صاحبه قط وروى ان امراة كانت بمكة تضحك الناس وكانت
بالمدينة اخرى فنزلت المكية على المدينية فدخلت على عايشة فاضحكتها
فقالت اين نزلت فاخبرتها فقالت صدق الله ورسوله سمعته يقول صلى الله
عليه واله الارواح جنود مجندة الحديث والحق في هذا ان المشاهدة والتجربة
يشهدان بالتلاف عند التناسب والتناسب في الطباع والاخلاق باطنا
وظاهرا امر مفروغ واما الاسباب التي اوجبت تلك المناسبة فليس في قوة
البشر الاطلاع عليها وغاية هذا باب المنجم ان يقول اذا كان طالعه على
لسدس طالع عنزه او ثلثيه فهذا نظر الموافقة والمودة فيقتضي التناسب
والتودد واذا كان على مقابلته او تربيعه اقتضى التباغض والعداوة
وهذا لو صدق تكونه كذلك في مجاري سنة الله تعالى في خلق السموات
والارض لكان الاشكال فيه اكثر من الاشكال في اصل التناسب فلا معنى

للخوض

للخوض فيما لم يكشف سره للبشر فما اوتينا من العلم الا قليلا ويكفينا في
التصديق بذلك التجربة والمشاهدة وقد ورد الخبر به قال صلى الله عليه واله
لو ان مومنا دخل الى مجلس فيه مائة منافق ومومن واحد لجاءه حتى يجلس اليه
وهذا يدل على ان مشابهة الشيء يجذب اليه بالطبع وان كان هو لا يشعر به
وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان في عشرة الا وفي احدهما وصف
من الاخر وان اشكال الناس كاجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير
في الطيران الا وبينهما مناسبة قال فراى غرابا مع حمام فعجب وقال
اتفقا وليس من شكل ثم طارا فاذا هما اعرجان فقال من ههنا اتفقا ولذلك
قال بعض الحكماء كل انسان يانس الى شكله كما ان كل طير يطير مع جنسه
واذا اصطحب اثنان برهة من الزمان ولم ينشاكلا في الحال فلا بد وان
يفترقا وهذا معنى جلي يفطن له الشاعر فقال شعر وقايل كيف تفارقتما
فقلت ولا فينا انصاف لم يلف من شكلي ففارقته والناس اشكال والا
فقد ظهر من هذا ان الانسان قد يحب لذاته لا لفائدة ينال منه فيما
ومآل بل لمجرد المجانسة والمناسبة في الطباع الباطنة والاخلاق الخفية
ويدخل في هذا القسم حب الجمال اذا لم يكن المقصد قضاء الشهوة فان

الصورة الجميلة مستلذة في عينها واوان فقد اصل الشهوة حتى
تستلذ بالنظر الى الفواكه والانوار والاطهار والتفاح المشوب بالحمرة
والى الماء والخضرة من غير غرض سوى عينها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب
لله تعالى بل هو الحب بالطبع وشهوة النفس ويتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله
الا انه ان اتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم اذ الحب اما
محمود واما مذموم واما مباح لا يحمد ولا يذم القسم الثاني ان يحب لينال
من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة الى المحبوب غيره والوسيلة الى المحبوب
محبوب وما يحب لغيره كان ذلك لغيره هو المحبوب بالحقيقة ولكن الطريق
الى المحبوب محبوب ولذلك يحب الناس الذهب والفضة من حيث انه
وسيلة الى المقصد اذ يتوصل به الى نيل جاه او مال وعلم كما يحب الرجل سلطانا
للانتفاع بماله او جاهه ويحب مواصلته لتحسينهم حاله عنده وعند غيره
امره في قلبه فالمتوسل اليه ان كان مقصوده الفائدة في الدنيا لم يكن من
جملة الحب في الله وان لم يكن مقصودا في الدنيا ولكن ليس يقصد به الا الدنيا
كحب التلميذ لاستاذه فهو ايضا خارج عن الحب لله فانه انما يحبه ليحصل منه
العلم لنفسه فمحبوبه العلم فاذا كان لا يقصد العلم للتقرب الى الله بل لنيل الجاه

والمال والقبول عند الخلق فمحبوبه الجاه والقبول عند الخلق والعلم
وسيلة اليه والاستاذ وسيلة الى العلم فليس في شئ من ذلك حب لله
اذ يتصور كل ذلك ممن لا يؤمن بالله اصلا ثم ينقسم هذا القسم الى مذموم
ومباح فان كان يقصد به التوصل الى مقاصد مذمومة من فقر الاوان
وحيازة اموال الناس والاوقاف وظلم الرعية بولاية القضاء او غيره كان
الحب مذموما بنفسها القسم الثالث ان يحبه لا لذاته بل لغيره و
ذلك الغير غير راجع الى حظوظه في الدنيا بل يرجع الى حظوظه في الاخرة
وهذا القسم ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب استاذه وشيخه لانه يتوسل
به الى تحصيل العلم ويحسن العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الاخرة
فهذا من جملة المحبين في الله وكذلك من يحب تلميذه لانه يتلقف منه
العلم وينال بواسطته رتبة التعليم وترقى به الى درجة التعظيم في ملكوت
السماء قال عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت
السماء والاتم التعليم لا بتعلم فهو اذن الة في تحصيل هذا الكمال فان احبه
لانه الة له اذ جعل صدره مزرعة لحرثه اذ هو سبب ترقيه الى رتبة رفيعة
في ملكوت السماء فهو محب لله بل الذي يتصدق بامواله لله ويجمع الضيفان

ويعتني لهم الاطعمة اللذيذة الغريبة تقربا الى الله فاحب طباخا يحسن صنعته
في الطبخ فهو من جملة المحبين في الله وكذا الواحب من يتولى له اتصال الصدقة
الى المستحقين فقد احبه في الله بل نزيد على هذا فنقول من احب من
يخدمه بنفسه في غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه ويفرغه بذلك للعلم
او العمل المقصود من استخدامه في هذه الاعمال الفراغ للعبادة فهو
محب في الله بل اذا احب من ينفق عليه ويواسيه بكسوته وطعامه وسكنه
وجميع اغراضه التي يقصدها في دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغة
للعلم والعمل للتقرب الى الله تعالى فهو محب في الله تعالى فقد كان جماعة من السلف
يكفل بكفاية بعض جماعة من اولي المروة وكان المواسي والمواسى جميعا متحابين
في الله بل نزيد ونقول من نكح امراة صالحة لتحصن بها عن وساوس الشيطان
ويصون بها دينه او ليولد له ولد صالح يدعو له واحب زوجته لانه انما
في هذه المقاصد لدينه فهو محب في الله تعالى ولذلك ورد في الاخبار وفور
الاجر والثواب على الانفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل في في امراته
بل نقول كل من استهتر بحب الله وحب رضاه وحب لقائه في دار
الاخرة فاذا احب غيره كان محبا في الله لانه لا يتصور ان يحب شيئا الا لما

لما هو محبوب عنده وهو رضاء الله بل ازيد على هذا واقول اذا اجتمع في قلبه
محبة الله ومحبة الدنيا واجتمع في شخص واحد المعنيان جميعا حتى صلح الان
يتوسل به الى الله والى الدنيا فاذا احبه لصلاحه للامرين فهو من المحبين
في الله كمن يحب استاده الذي يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة
بالمال فاحبه من حيث ان في طبعه طلب الراحة في الدنيا والسعادة في
الاخرة وهو وسيلة اليها فهو محب في الله وليس من شرط حب الله ان لا يحب
في العاجل حظا البتة اذ الدعاء الذي امر به الانبياء فيه جمع بين الدنيا والاخرة
من ذلك قولهم ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقال عيسى عليه السلام
في دعائه اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤني صديقي ولا تجعل مصيبتي
في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي فدفع شماتة الاعداء من حظوظ الدنيا
ولم يقل ولا تجعل الدنيا اصلا من همي بل اقال لا تجعلها اكبر همي وقال نبينا
صلى الله عليه وآله في دعائه اللهم عافني من بلاء الدنيا وبلاء الاخرة وعلى
الجملة فاذا لم يكن حب السعادة في الاخرة مناقضا لحب الله فحب السلامة
والصحة والكفاية في الدنيا كيف يكون مناقضا لحب الله والدنيا والاخرة
عبارتان عن حالتين احدهما اقرب من الاخرى فكيف يتصور ان يحب

الا هو

الانسان حظوظ الاحسان نفسه غدا ولا يحبه اليوم وانما يحبه غدا لان الغد
سيصير حالا راهنة فالحالة الراهنة لابد وان يكون مطلوبة البتة الا ان
الحظوظ العاجلة منقسمة الى ما يضاد حظوظ الاخرة ومنع منها وهو الذي
احترز عنه الانبياء والاولياء وامروا بالاحتراز عنه والى ما لا يضاد وهو الذي
لم يمتنعوا منها كالنكاح الصحيح واكل الحلال وغير ذلك مما لا يضاد حظوظ الاخرة
فحق العاقل ان يكرهه ولا يحبه اعني انه يكرهه بعقله لا بطبعه كما يكره التناول
من طعام لذيذ للملك من الملوك يعلم انه لو اقدم عليه لقطعت يده او جنت
رقبته لا بمعنى ان الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهيه ولا يستلذه
لو اكله فان ذلك محال ولكن على معنى انه يزجره عقله عن الاقدام عليه والحصول
منه كراهية للضرر المتعلق به والمقصر من هذا انه لو احب استاذه لانه يواسيه
ويعلمه او تلميذه لانه يتعلم منه ويخدمه واحدهما حظ لنفسه عاجل والاخر اجل
فيكون من جملة المتحابين في الله ولكن لشرط واحد وهو ان يكون بحيث لو
منعه العلم مثلا او تعذر عليه تحصيله منه لنقص حبه بسببه فالقدر الذي
ينقص بسبب فقده هو لله تعالى وله على ذلك القدر ثواب الحب في الله
وليس بمستنكر ان يشتد حب الانسان لجملة اغراض ترتبط به فان امتنع

بعضها

بعضها نقص حبك وان زاد ازداد الحب فليس حبك للذهب كحبك للفضة
اذا استوى مقدارهما لان الذهب يوصل الى اغراض اكثرها مما يوصل اليه
الفضة فاذن يزيد الحب بزيادة الغرض ولا يستحيل اجتماع الاغراض
الدنيوية والاخروية فهو داخل في جملة الحب لله وحده ان كل حب لولا الايمان
بالله واليوم الاخر لم يتصور وجوده فهو حب في الله وكذلك كل زيادة في
الحب لولا الايمان بالله لم يكن ملاك الزيادة فتلك الزيادة من الحب في الله
فذلك وان دق فهو عزيز قال الحربي تعامل الناس في القرن الاول
بالدين حتى رق الدين وتعاملوا في القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب وفي الثالث
بالمروة حتى ذهبت ولم يبق الا الرغبة والرهبة القسم الرابع ان يحب الله
وفي الله لانال منه علما او عملا او يتوسل به الى امر وراء ذاته وهذا اعلى
الدرجات وهو دقها واعمقها وهذا القسم ايضا ممكن فان من انار غلبة
الحب ان يتعدى من المحبوب الى كل من يتعلق بالمحبوب وبناسبه ولو
من بعد فمن احب انسانا حبا شديدا احب محب ذلك الانسان واحب
محبوبه واحب من يخدمه واحب من يثني عليه محبوبه واحب من يتسارع
الى رضا محبوبه حتى قال بقية بن الوليد ان المؤمن اذا احب المؤمن احب

سعدی بجهان خرم ازانم که جهان خرم ازوست عاشقم بر همه عالم که همه عالم ازوست

کلبه وهو کما قال ویشهد له التجربة فی احوال العشاق ویدل علیه اشعار الشعراء
ولذلک یحفظ ثوب المحبوب ویخفنه تذکرة من جهته ویحب منزله ومحلته
وجیرانه حتی قال المجنون شعر امر علی الدیار دیار لیلی اقبل ذا الجدار
وذا الجدار وما حب الدیار شغفن قلبی ولکن حب من سکن الدیار
فاذن المشاهدة والتجربة تدل علی ان الحب تتعدی من ذات المحبوب
الی ما یحیط به ویتعلق باشیاء تناسبه ولو من بعد ولکن ذلک من
خاصیة فرط المحبة فاصل المحبة لا یکفی فیه ویکون اتساع الحب فی تعدیه من
المحبوب الی ما یکتنفه ویحیط به ویتعلق باسبابه بحسب افراط المحبة وقوتها
فکذلک حب الله سبحانه اذا قوی وغلب علی القلب واستولی علیه حتی انتهی
الی الحد الاستهتار فتتعدی الی کل موجود سواه فان کل موجود سواه
انما هو من آثار قدرته ومن احب انسانا احب خطه وصنعته وجمیع افعاله
ولذلک کان صلی الله علیه وآله اذا حمل الیه باکورة مسح بها عینه واکرمها
وقال انه قریب العهد بربنا وحب الله تعالی تارة یکون لصدق الرجاء فی
مواعیده وما سوقع فی الاخرة من نعمه وتارة لما ینیل من ایادیه وصنوف
نعمه وتارة لذاته لا لامر اخر وهو ادق ضروب المحبة واعلاها وسنأتی تحقیقها

فی

فی کتاب المحبة من ربع المنجیات وکیفما اتفقت محبة الله فاذا قویت تعدت
الی کل متعلق به ضربا من التعلق حتی تتعدی الی ما هو فی نفسه مولم مکروه
ولکن فرط الحب یضعف الاحساس بالالم والفرح بفعل المحبوب وقصده
ایاه بالایلام یعم ادراک الالم وذلک کالفرح بضربة من المحبوب او قرصة
منها نوع معاینة فان قوة المحبة تنشر فرحا یعم الالم فنه وقد انتهت محبة الله
بقوم الی ان قالوا لا نفرق بین البلاء والنعمة فان الکل من الله ولا نفرح
الا بما منه رضاه حتی قال بعضهم لا اربد ان انال مغفرة الله بمعصیته فانی
سمنون شعر ولیس لی فی سوال حظ فکیف ما شئت فاختبرنی وسیأتی
تحقیق ذلک فی کتاب المحبة والمقصد ان حب الله اذا قوی اثمر حب کل من یقوم
بعبادة الله فی علم او عمل واثمر حب کل من فیه صفة مرضیة عند الله تعالی
من حسن خلق او تادب بادب الشرع وما من مومن یحب الاخرة ویحب الله تعالی
الا اذا اخبر عن حال رجلین احدهما عالم عابد والاخر جاهل فاسق الا
وجد فی نفسه میلا الی العالم العابد ثم یضعف ذلک المیل ویقوی بحسب
ضعف ایمانه وقوته وبحسب ضعف حبته لله تعالی وقوته وهذا المیل
حاصل وان کانا غائبین عنه بحیث یعلم انه لا یصیبه منهما خیر ولا شر

في الدنيا ولا الاخرة فذلك المبل هو حب في الله ولله عز وجل من غير حظ
فانه انما يحبه لان الله يحبه ولانه مرضي عند الله ولانه يحب الله لانه مشغول
بعبادة الله الا انه اذا ضعف لم يظهر اثره فلا نظهر به ثواب واجر فاذا قوي
حمل على الموالاة والنصرة والزب في النفس والمال واللسان ويتفاوت الناس
فيه بحسب تفاوتهم في حب الله تعالى ولو كان الحب مقصورا على حظ بنال من
من المحبوب في الحال او المال او الملك لما تصور حب المولى من العلماء والعباد
من الانبياء والاولياء صلوات الله عليهم وحبهم جميعهم مكنون في قلب كل
مسلم متدين وتبيين ذلك ببغضه عند طعن اعدائهم في واحد منهم
ويفرحه عند الثناء عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حب لله تعالى لانهم خواص
عباد الله ومن احب ملكا او شخصا لعلمه احب خواصه وخدمه واحب من احبه
الا انه يمحق الحب بالمقابلة بمحظوظ النفس وقد يغلب بحيث لا يبقى للنفس
حظ الا انما هو حظ المحبوب وعنه عبر قول من قال شعر اريد وصاله وتريد
هجري فاترك ما اريد لما يريد وقول من قال وما يخرج اذا ارضاكم الم
وقد يكون الحب بحيث يترك بعض الحظوظ دون بعض كمن يسمح نفسه
بان يسلط محبوبه بنصف ماله او ثلثه او عشره فمقادير الاموال موازين المحبة

اذ لا يوقف درجة المحبوب الا ترك المحبوب في مقابلته فمن استغرق المحبة
جميع قلبه لم يبق للمحبوب سواه فلا يسأل لنفسه شيئا فحصل من هذا
ان كل من احب عالما او عابدا او احب شخصا راغبا في علم او عبادة او في
خير فانما احبه لله وفي الله وله من الاجر والثواب بقدر قوة حبه فهذا
شرح الحب لله وفي الله ودرجاته وبهذا يتضح البغض في الله ايضا

بيان الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته

اعلم انه لا يصلح للصحبة
كل انسان قال صلى الله عليه واله المرء على دين خليله فلينظر احدكم
من يخالل فلابد ان يتميز بخصال يرغب بسببها في صحبته ويشترط
تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة اذ معنى الشرط ما لابد منه
للوصول الى المقصد والاضافة الى المقصد يظهر الشروط ويطلب من الصحبة
فوائد دينية ودنيوية اما الدنيوية فكالانتفاع بالمال او الجاه او مجرد
الاستيناس بالمشاهدة والمحاورة وليس ذلك من غرضنا واما الدينية
فيجتمع فيها اغراض مختلفة اذ منها الاستفادة من العلم والعمل ومنها
الاستفادة من الجاه بحصانته عن ايذاء من به تتشوش القلب
ويصد عن العبادة ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الاوقات

في طلب القوت ومنها الاستعانة في المهمات فتكون عدة في المصائب
وقوة في الاحوال ومنها التبرك بمجرد الدعاء ومنها انتظار الشفاعة في الاخرة
فقد قال بعض السلف استكثروا من الاخوان فان لكل مومن شفاعة
فلعله يدخل في شفاعة اخيك وروى في غريب القشيري في قوله تعالى ويستجيب
الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله قال يشفعهم في
اخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ويقال اذا غفر للعبد شفع في اخوانه ولذلك
حث جماعة من السلف على الصحبة والالفة والمخالطة وكره العزلة والانفراد
فهذه فوائد يستدعى كل فايدة شروطا لا يحصل الا بها ولا يخفى تفصيلها
اما على الجملة فينبغي فيمن يؤثر صحبته خمس خصال ان يكون عاقلا حسن
الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا اما العقل فهو راس المال
وهو الاصل ولا خير في صحبة الاحمق والى القطيعة والوحشة ترجع عاقبتها
وان طالت قال عليه السلام نظم فلا تصحب اخا الجاهل واياك واياه فكم من جاهل
اردى حكيما حين واخاه يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ماشاه وللشيء على الشيء
مقاييس واشباه وللقلب على القلب دليل حين يلقاه كف والاحمق يضرك
وهو يريد نفعك واعلنك من حيث لا يدري ولذلك قال الشاعر

الى

اني لامن من عدو عاقل واخاف خلا يعتريه جنون فالعقل في واحد وطرائقه
ادرى وارصد والجنون فنون ولذلك قل مقاطعة الاحمق فريبة الى الله تعالى
وقيل النظر الى وجه الاحمق خطيئة مكتوبة ونعني بالعاقل الذي يفهم الامور
على ما هي عليه اما بنفسه واما اذا علم وفهم اقول وفي الكافي عن
الصادق عليه السلام قال قال امير المومنين عليه السلام لا علة ان تصحب ذا العقل
وان لم تحمد مكرمه ولكن انتفع بعقله واحترس من سيء اخلاقه ولا تدع
صحبة الكريم فان لم تنتفع بفعله ولكن انتفع بكرمه بعقلك وافرر كل
الفرار من اللئيم الاحمق وعنه عليه السلام قال اياك ومصادقة الاحمق فانك
اسرع ما تكون من ناحيته اقرب ما تكون الى مسارتك وعنه عليه السلام قال لا
ينبغي للمسلم ان يواخي الفاجر ولا الاحمق ولا الكذاب وعنه عليه السلام قال كان
امير المومنين عليه السلام اذا صعد المنبر قال ينبغي للمسلم ان يجتنب مواخاة ثلثة
الماجن والاحمق والكذاب فاما الماجن فيزين لك فعله ويحب ان تكون
مثله ولا يعينك على امر دينك ومعادك ومقاربته جفاء وقسوة ومدخله
ومخرجه عليك عار واما الاحمق فانه لا يشير عليك بخير ولا يرجى لصرف
السوء عنك ولو اجهد نفسه وربما اراد منفعتك فضرك فموته خير من حياته

على

وسكوته خير من نطقه وبعده خير من قربه واما الكذاب فانه لا يزيدك معه عيش
المطكشدي
ينقل حديثك وينقل اليك الحديث كلما افنى احدوثة مطها باخرى حتى انه
يحدث بالصدق فلا يصدق ويغرى بين الناس بالعداوة وينبت الشحناء
في الصدور فاتقوا الله وانظروا لانفسكم وعن الكاظم عليه السلام قال قال عيسى عليه السلام
ان صاحب الشر يعدى وقرين السوء يردى فانظر من تقارن قال
ابو حامد واما حسن الخلق فلا بد منه اذ رب عاقل يدرك الاشياء
على ما هي عليه ولكن اذا غلبه غضب او شهوة او بخل اوجبن اطاع هواه وخالف
ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته وتقويم اخلاقه فلا خير في صحبته
واما الفاسق المصر على الفسق فلا فائدة في صحبته لان من يخاف الله تعالى ينتهي
عن مثل سره لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا يؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته
بل يتغير بتغير الاغراض قال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان
امره فرطا وقال تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا
وقال عز وجل واتبع سبيل من اناب الي وفي مفهوم ذلك زجر عن الفسق
ولان مشاهدة الفسق والفساق تهون امر المعصية على القلب وتبطل نفرة
القلب عنها قال سعيد بن المسيب لا تنظروا الى الظلمة فتحبط اعمالكم الصالحة

بل الاسلامة في مخالطتهم وانما السلامة في الانقطاع عنهم قال الله تعالى واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي سلامة والالف بدل من الهاء ومعناه
انا سلمنا من اثمكم وانتم سلمتم من شرنا اقول قد ورد حديث عن اهل
البيت عليهم السلام في ذلك وفي الكافي مرفوعه قال قال لقمان لابنه يا بني لا تقترب
فتكون ابعد لك ولا تبعد فتهان كل دابة يجب مثلها وان ابن ادم يجب مثله
ولا تشتهر ذلك الا عند ناعنه كما ليس بين الذئب والكبش خلة كذلك ليس بين
البار والفاجر خلة من يقترب من الزفت يعلق به بعضه كذلك من
يشارك الفاجر يتعلم طريقه من يجب المراء يشتم ومن يدخل مداخل السوء
يتهم من يقارن قرين السوء لا يسلم ومن لا يملك لسانه يندم قال
ابو حامد واما المبتدع ففي صحبته خطر سراية البدعة وتعدي شؤمها
اليه والمبتدع مستحق للاجرة والمهجرة والمباعدة والمقاطعة فكيف يؤثر
صحبته اقول وفي الكافي عن الحضرمي قال سمعت ابا الحسن عليه السلام
يقول ما لي رايتك عند عبد الرحمن بن ابي يعفور فقال انه خالي
فقال انه يقول في الله قولا عظيما يصف الله ولا يوصف فاما جلست معه
وتركتنا واما جلست معنا وتركته فقلت هو يقول ما شاء اي شيء علي منه

کتابخانه
مجلس شورای ملی

اذا لم اقل ما يقول فقال ابو الحسن عليه السلام اما اخاف ان تنزل به نقمة فتهلكه معهم
جميعا اما علمت ما الذى كان من اصحاب موسى ع وكان ابوه من اصحاب
فرعون فلما لحقت خيل فرعون موسى تخلف عنه ليعظ اباه فلحقه موسى
فمضى ابوه وهو براغمه حتى بلغا طرفا من البحر فغرقا جميعا وانى موسى عليه السلم
الخبر فقال هو فى رحمة الله ولكن النقمة اذا نزلت لم يكن لها عمن قارب
الذنب دفاع وفى الصحيح عن الصادق عليه السلام قال لا تصحبوا اهل البدع ولا
تجالسوهم فتصيروا عند الله كواحد منهم قال رسول الله صلى الله عليه واله
المرء على دين خليله وقرينه قال ابو حامد وقد مثل فى الحث على
طلب التدين فى الصديق عليك باخوان الصدق تعش فى اكنافهم فانهم
زينة فى الرخاء وعدة فى البلاء وضع امر اخيك على احسنه حتى يجيئك
ما يقلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك الا الامين ولا امين
الا من خشى الله ولا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك
واستشر فى امرك الذين يخشون الله تعالى واما الحريص على الدنيا
فصحبته سم قاتل لان الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع
يسرق من الطبع من حيث لا يدرى فمجالسة الحريص تحرك الحرص و

مجالسة

مجالسة الزاهد ترهد فى الدنيا فلذلك يكره صحبة طلاب الدنيا ويستحب
صحبة الراغبين فى الدار الاخرة قال عليه السلام لحيوا الطباع بمجالسة من يستحيى منه
وقال لقمان يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان القلوب تحيى بالحكمة
كما يحيى الارض الميتة بوابل المطر اقول وفى الكافى عن الصادق ع
عن ابائه عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله ثلثة مجالستهم تميت
القلوب الجلوس مع الاغنياء والحدث مع النساء والجلوس مع الاحياء قال
ابو حامد واما حسن الخلق فقد جمعه علقمة العطاردى فى وصيته لابنه
لما حضرته الوفاة قال يا بنى ان عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب
من اذا خدمته صانك واذا صحبته زانك وان تعدت بك مونة مانك
اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها وان راى منك حسنة عدها
وان راى سيئة سدها اصحب من اذا سالته اعطاك واذا سكت ابتدأك
واذا نزلت بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت صدق قولك واذا
صلت شد صولك من لا ياتك منه البوائق ولا يلتبس عليك منه الطرائق
ولا يخذلك عند الحقائق وان حاولتما امرا امرك وان تنازعتما ائتمرك
وكانه جمع بهذا الكلام جميع حقوق الصحبة وشرط ان يكون قائما بجميعها

الارذال

قال ابن اكثم قال المامون فاين هذا فقيل له تدري لم اوصاه بذلك قال لا
اراد ان لا يصحب احدا وقال بعض الادباء لا تصحب من الناس الا من يكتم سرك
ويستر عليك عيبك ويكون معك في النوائب ويوثرك في الرغائب وينشر
حسنتك ويطوي سيئتك فان لم تجده فلا تصحب الا نفسك وقال علي ع
رجزا ان اخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك ومن اذا
ريب الزمان صدعك شتت فيه شمله ليجمعك وقال بعضهم الناس اربعة
فواحد حلو كله ولا يشبع منه واخر مر كله فلا يوكل منه واخر فيه حموضة فخذ
من هذا قبل ان ياخذ منك واخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط
وقال جعفر الصادق عليه السلام لا تصحب خمسة الكذاب فانك منه على غرور وهو
مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب والاحمق فانك
لست منه على شئ تريد ان ينفعك فيضرك والبخيل فانه يقطع بك احوج
ما تكون اليه والجبان فانه يسلمك ويفر عند الشدة والفاسق فانه يبيعك
بأكلة او اقل منها قال الطبع نهائم لانيابها اقول وهذا الحديث مروي
فقيل وما اقل منها
في الكافي على اختلاف في الفاظه واسنده الصادق عليه السلام الى الحجة على
الحسين عليهما السلام وذكر بدل الجبان القاطع لرحمه وقال فاني وجدته ملعونا

في كتاب الله تعالى في ثلثة مواضع قال الله تعالى فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا
في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم
وقال الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله
ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار وقال
في البقرة الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله
به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون وعن امير المؤمنين ع
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله انظروا من تخادنون فانه ليس
من احد ينزل به الموت الا سئل له اصحابه في الله ان كانوا اخيارا فخيارا
وان كانوا اشرارا فشرارا وليس احد يموت الا سئل له عند موته وعن الصادق ع
عليك بالتلاد واياك وكل محدث لا عهد له ولا امان له ولا ذمة ولا ميثاق
وكن على حذر من اوثق الناس وعنه عليه السلام قال لا يكون الكاذب الصدوق
الا بحدوثها فمن كانت فيه هذه الحدود او شئ منها فانسبه الى الصدق
ومن لم يكن فيه شئ منها فلا تنسبه الى شئ من الصدق فاولها ان يكون
سريرته وعلانيته لك واحدة والثانية ان يرى زينك زينه وشينك شينه
والثالثة ان لا يغيره عليك ولاية ولا مال والرابعة ان لا يمنعك شيئا

تنا له مقدرية والخاسة وهي تجمع هذه الخصال ان لا تسلك عند النكبات
وعنه عليه السلام قال لعمار بن موسى يا عمار ان كنت تحب ان تستتب لك النعمة
وتكمل لك المروة وتصلح لك المعيشة فلا تشارك العبد والسفله في امرك
فانك ان ائتمنتهم خانوك وان حدثوك كذبوك وان نكبت خذلوك
وان وعدوك اخلفوك وقال حب الابرار للابرار ثواب للابرار وحب الفجار
للابرار فضيلة للابرار وبغض الفجار للابرار زين للابرار وبغض الابرار للفجار
خزي على الفجار وفي مصباح الشريعة عنه عليه السلام قال الصدق ان تواخي من اردت
لطمع او خوف او تسئل او كل او شرب واطلب مواخاة الاتقياء ولو في ظلمات
الارض وان افنيت عمرك في طلبهم فان الله عز وجل لم يخلق على وجه الارض
افضل منهم بعد النبيين وما انعم الله على العبد بمثل ما انعم به من التوفيق
لصحبتهم قال الله عز وجل الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين واظن
ان من طلب في زماننا هذا صديقا لا عيب فيه بقي بلا صديق الا ترى ان اكرم
كرامة اكرم الله بها انبيائه عند اظهار دعوتهم بصديق امين او ولي وكذلك
من اجل ما اكرم الله به اصدقائه واوليائه وامنائه صحبة انبيائه وهو دليل
على ان ما في الدارين نعمة اجل واطيب وازكى من الصحبة في الله والمواخاة

لوجهه

لوجهه وفي الكافي عن الباقر عليه السلام قال اتبع من يبكيك وهو الناصح ولا
تتبع من يضحكك وهو الغاش وستردون على الله جميعا فتعلمون و
لنرجع الى كلام ابي حامد قال وقال الجنيد لان يصحبني فاسق حسن الخلق
احب الي من ان يصحبني قارئ سيئ الخلق وقال بعض العلماء لا تصحب الا احد
رجلين رجل تتعلم منه شيئا من امر دينك فينفعك او رجل تعلمه شيئا
من امر دينك فيقبل منك والثالث فاهرب منه وقال ابن ابي الحواري
قال لي استاذي ابو سليمان يا احمد لا تصحب الا احد رجلين رجل ترتفق به
في امر دنياك او رجل تريد معه وتنتفع به في اخرتك والاشتغال بغير
هذين حمق كبير وقال سهل بن عبد الله التستري اجتنب صحبة ثلثة
اصناف من الناس الجابرة الغافلين والفقراء المداهنين والمتصوفة
الجاهلين واعلم ان هذه الكلمات اكثرها عن بحطه بجميع اغراض الصحبة
والمحيط ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالاضافة اليها
فليس ما يشترط للصحبة في مقاصد الدنيا مشروطا في الصحبة للاخوة
والاخوة كما قال بشر ثلثة اخ لاخرتك واخ لدنياك واخ لتانس به وقلما يجتمع
هذه المقاصد في واحد بل تفرق على جمع فتفرق الشروط فيهم لاستحالة

وقد قال المأمون الاخوان ثلثة احدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه
والاخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه فى وقت دون وقت والثالث مثله مثل
الداء لا يحتاج اليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذى لا انس فيه
ولا نفع وقد قيل مثل جملة الناس كمثل الشجر والنبات فمنها ما له ظل وليس له
ثمر وهو مثل الذى ينفع فى الدنيا دون الاخرة فان نفع الدنيا كالظل السريع
الزوال ومنها ما له ثمر وليس له واحد منها كام غيلان تمزق الثياب
لا طعم لها ولا شراب ومثاله من الحيوانات الفار والعقرب كما قال تعالى
يدعو لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير وقال الشاعر
الناس شتى اذا ما انت ذقتهم لا يستوون كما لا يستوى الشجر هذا له ثمر
مر مذاقته وذاك ليس له طعم ولا ثمر فاذن من لم يجد رفيقا يواخيه و
يستفيد به احد هذه المقاصد فالوحدة اولى به قال ابو ذرة الوحدة
خير من جليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة فهذا ما اردنا ان
نذكره من معانى الاخوة وشروطها وفوائدها فلنشتغل فى ذكر حقوقها و
لوازمها وطرق القيام بحقها **الباب الثانى** فى حقوق الاخوة والصحبة
اعلم ان عقد الاخوة رابطه بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين

فكما تقتضى النكاح حقوقا يجب الوفاء بها فيتأكد بالنكاح كما سبق ذكرها
فى كتاب اداب النكاح فكذا اداب عقد الاخوة فلاصنك عليك حق
فى المال وفى النفس وفى اللسان وفى القلب بالعفو والدعاء وبالاخلاص
والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك يجمعه ثمانية حقوق
الاول فى المال قال رسول الله صلى الله عليه واله مثل الاخوين مثل
اليدين تغسل احديهما الاخرى وانما شبههما باليدين لا باليد والرجل
لانهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الاخوان انما تتم اخوتهما اذا اتفقا
فى مقصد واحد منهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضى المشاركة
فى السراء والضراء والمشاركة فى الحال والمال وارتفاع الاختصاص والاستيثار
والمواساة بالمال مع الاخوة على ثلث مراتب ادناها ان تنزل منزلة
عبدك وخادمك فتقوم بحاجته من فضل مالك فاذا سنحت له حاجة
وكانت عندك فضلة على حاجتك اعطيته ابتداء ولم تحوجه الى السؤال
فان احوجته الى السؤال فهو غاية التقصير فى الاخوة الثانية ان تنزله
منزلة نفسك وترضى بمشاركته اياك فى مالك ونزوله منزلك حتى تسمح
بمشاطرته على المال فقد قيل كان احدهم ليشق ازاره لاخيه بنصفين

الثالثة وهي العليا ان تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك فهذه
رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين ومن تمام هذه الرتبة الايثار
بالنفس ايضا كما روى انه سعى بجماعة من الصوفية الى بعض الخلفاء فامر بضرب
رقابهم وفيهم ابو الحسين النوري فبادر الى السياف ليكون هو اول مضروب
فقيل له في ذلك فقال احببت ان اوثر اخواني بالجوة في هذه اللحظة فكان ذلك
سبب نجاة جميعهم في حكاية طويلة فان لم تصادف نفسك في رتبة من هذه
الرتب مع اخيك فاعلم ان عقد الاخوة لم ينعقد بعد في الباطن وانما الجاري
بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين فقد قال ميمون بن مهران
من رضي من الاخوان بترك الافضال فليس اخا اهل العقول واما الدرجة
الدنيا فليست ايضا مرضية عند ذوي الدين روى ان عبدة الغلام جاء
منزله الى رجل كان قد اخاه فقال الحاجة من مالك الى اربعة الاف فقال الخادم الفلاني
فاعرض عنه وقال ابرأت الدنيا على الله اما استحييت ان تدعي الاخوة
الدرجة في الله وتقول هذا ومن كان في الدنيا من الاخوة فينبغي ان لا تعامله في الدنيا
قال ابو حازم اذا كان الاخ في الله فلا تعامله في امور دنياك وانما اراد بهذا
من في هذه الرتبة واما الرتبة العليا فهي التي وصف الله المؤمنين بها في قوله

وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون اي كانوا مختلطين في الاموال لا يميز
احدهم رحله عن رحل بعضهم وجاء فتح الموصلي الى منزل اخ له وكان غائبا فقام
اهله فاخرجت صندوقه ففتحه واخذ حاجته فقالت الجارية لمولاها فقال
ان صدقتِ فانتِ حرة لوجه الله سرورا بما فعل وقال علي بن الحسين عليهما السلام
لرجل هل يدخل احدكم يده في كم اخيه ويكيسه فيأخذ منه ما يريد من غير اذن
قال لا قال فلستم باخوان وروى انه اهدى لرجل من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وآله راس شاة فقال اخي فلان احوج مني اليه فبعث به اليه فبعثه
ذلك الانسان الى اخ فلم يزل يبعث به واحدا الى اخر حتى رجع الى الاول بعد ان
تداوله سبعة وروى ان مسروقا اداان دينا ثقيلا وكان على اخيه خيثمة
دين فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة فقضى دين
مسروق وهو لا يعلم وقال ابو سليمان الدارا اني لو ان الدنيا كلها لي فجعلتها
في فم اخ من اخواني لاستقللتها له وقال ايضا اني لالقم اللقمة اخاف من اخواني
فاجد طعمها في حلقي ولما كان الانفاق على الاخوان افضل من الصدقات
على الفقراء قال علي عليه السلام لعشرون درهما اعطيها اخي في الله احب الي من مائة
درهم اتصدق بها على المساكين وقال ايضا لان اصنع صاعا من طعام واجمع

وامرهم

اغتسل
عليه اخواني في الله احب الي من ان اعتق رقبة واقتداء الكل في الايثار برسول الله
صلى الله عليه واله فانه دخل غيضة مع بعض اصحابه فاجتنى منها سواكين احدهما
معوج والاخر مستقيم فدفع المستقيم الى صاحبه فقال يا رسول الله كنت احق
بالمستقيم مني فقال ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا سئل
عن صحبته هل اقام فيه حق الله ام اضاعه فاشار الى ان الايثار هو القيام بحق الله
في الصحبة وخرج رسول الله صلى الله عليه واله الى بئر يغتسل فتناول رسول الله
صلى الله عليه واله الثوب وقام لستره حذيفة من الناس فابى حذيفة وقال
بابي انت وامي يا رسول الله لا تفعل فابى صلى الله عليه واله الا ان يستره
بالثوب حتى اغتسل فاشار بهذا الى ان الايثار هو القيام بحق الله في الصحبة
وقال صلى الله عليه واله ما اصطحب اثنان قط الا وكان احبهما الى الله ارفقهما
بصاحبه الحق الثاني في الاعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل
السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة وهذه افضلها درجات كما للمواساة
بالمال فادناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة
والاستبشار واظهار الفرح وقبول المنة قال بعضهم اذا استقضيت
اخاك حاجة فلم يقضها فذكرها ثانية فلعله ان يكون نسي فان لم يقضها فكبر عليه

دانزا

وانزاهذه الابه والمومن يبعثهم الله قال جعفر بن محمد عليهما السلام اني لاسارع الى قضاء
حوائج اعدائي مخافة ان ارد هم فستغنوا عني هذا في الاعداء فكيف في الاصدقاء
وكان في السلف من يتعهد عيال اخيه واولاده بعد موته اربعين سنة
يقوم بحاجاتهم ويتردد كل يوم اليهم ويمونهم بماله وكانوا لا يفقدون من ابيهم
الا عينه بل كانوا يرون منه ما يرون من ايام في حياته وكان الواحد منهم
يتردد الى باب دار اخيه ويسئل ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة وكان
يقوم بها من حيث لا يعلمه اخوه وبهذا تظهر الشفقة والاخوة اذا لم تتم الشفقة
حتى يشفق على اخيه كما يشفق على نفسه فلا ضير فيها قال يعقوب بن سوران
من لم تنفعه بصداقته لم يضرك عداوته وقال رسول الله صلى الله عليه واله
الا وان لله اوانى في ارضه وهي القلوب واحب الاواني الى الله اصفاها واصلبها
وارقها اصفاها من الذنوب واصلبها في الدين وارقها على الاخوان والجملة
ينبغي ان يكون حاجة اخيك مثل حاجتك او اهم من حاجتك وان تكون مستفقدا
الاوقات الحاجة غير غافل عن احواله كما لا تغفل عن احوال نفسك وتغنيه عن
السؤال واظهار الحاجة الى الاستعانة بل يقوم بحاجته كانك لا تدري انك
قمت بها ولا ترى لنفسك حقا بسبب قيامك بل تتقلد منة بقبول سعيك

في حقه وقتامل بامره ولاسغي ان يقتصر على قضاء الحاجة بل يجتهد في البذل
بالاكرام في الزيارة والايثار والتقدم على الاقارب والولد وفي الاثار ما زاد
رجل اخاه في الله شوقا الى لقائه الا اداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة
وقال عطاء تفقدوا اخوانكم بعد ثلاث فان كانوا مرضى تعودوهم او مشاغل
فاعينوهم او كانوا نسوا فذكروهم وعن النبي صلى الله عليه والد اذا احببت احدا
فسله عن اسمه واسم ابيه وعن منزله فان كان مريضا عدته وان كان مشغولا
اعنته وفي رواية وعن اسم جده وعشيرته وقال الشعبي في الرجل يجلس مع الرجل
فيقول اعرف وجهه ولا اعرف اسمه تلك معرفة النوكى وقيل لابن عباس من
احب الناس اليك قال جليسي وقال سعيد بن العاص لجليسي علي ثلاث اذا دنى
رحبت به واذا حدث اصغيت اليه واذا جلس اوسعت له وقد قال الله تعالى في رحماء
منهم اشارة الى الشفقة والاكرام ومن تمام الشفقة ان لا ينفرد بطعام لان الحضور
في مسرة دونه بل ينغص لفراقه ويستوحش بانفراده من اخيه **الحق الثالث**
على اللسان بالسكوت مرة والنطق اخرى اما السكوت فهو ان يسكت عن ذكر
عيوبه في حضرته وغيبته بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به فلا
يماريه ولا ينافسه وان يسكت عن التجسس والسؤال عن احواله واذا اراه في ضر

او حاجة ولم يفاتحه بذكر غرضه ومصدره وموارده فلا يسأله عنه فربما
يثقل عليه ذكره او يحتاج الى ان يكذب فيه وان يسكت عن اسراره التي
يبثها اليه ولا يبثها الى غيره البتة ولا الى اخص اصدقائه ولا يكشف شيئا من
ولو بعد القطيعة والوحشة فان ذلك من لوم الطبع وخبث الباطن
وان يسكت عن القدح في احبائه واهله وولده وان يسكت عن حكاية
قدح غيره فيه فان الذي سبك من بلغك فمثل كان النبي صلى الله عليه وآله
لا يواجه احدا بشيء يكرهه والتادي يحصل اولا من المبلغ ثم من القايل
نعم لا ينبغي ان يخفي ما يسمع من الثناء عليه فان السرور يحصل اولا من
المبلغ للمدح ثم من القايل فاخفاء ذلك من الحسد وبالجملة فليسكت
عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا الا اذا وجب عليه النطق في امر بمعروف
او نهي عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فاذ ذاك لا يبالي بكراهته فان
ذلك احسان اليه في التخفيف وان كان يظن انه اساءة في الظاهر واما
ذكر مساويه وعيوبه ومساوي اهله ونقوص الغيبة وذلك حرام في حق
كل مسلم ويزجر عنه امران احدهما ان تطالع احوال نفسك فان
وجدت فيها شيئا واحدا من نوعها فهون على نفسك ما تراه من اخيك

وقد رأنه عاجز عن فهم نفسه في تلك الخصلة الواحدة كما انك عاجز فيما
انت مبتلى به ولا تستقل بخصلة واحدة مذمومة فاي الرجال المهذب
وكل ما لا تضاد فيه من نفسك في حق الله فلا تنتظر من اخيك في حق نفسك
فليس حقك عليه باكثر من حق الله عليك والامر الثاني ان تعلم انك لست
منزها من كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولم تجد من تصاحبه اصلا
فناس احد الاولة محاسن ومساوى فاذا غلبت المحاسن المساوى فهو
الغاية والمنتهى فالمومن الكريم ابدا يحفر في نفسه محاسن اخيه لينبعث
في قلبه التوقير والود والاحترام واما المنافق اللئيم فانه ابدا يلاحظ المساوى
والعيوب قال ابن المبارك المومن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات
وقال الفضيل الفتوة الصفح عن زلات الاخوان ولذلك قال صلى الله
عليه واله استعيذوا بالله من جار سوء الذي ان راى خيرا ستره
وان راى شرا اظهره وما من شخص الا ويمكن تحسين حاله بخصال فيه
ويمكن تقبيحه ايضا وروى ان رجلا اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله
عليه واله فلما كان من الغد ذمته فقال صلى الله عليه واله انت بالامس
تثني عليه واليوم تذمه فقال والله لقد صدقت عليه بالامس وما كذبت

عليه

عليه اليوم انه ارضاني بالامس فقلت احسن ما علمت فيه واغضبني
اليوم فقلت افجع ما علمت فيه فقال صلى الله عليه واله ان من البيان لسحرا
وكانه كره ذلك فشبهه بالسحر ولذلك قال صلى الله عليه واله في خبر اخر
البذاء والبيان شعبتان من النفاق وفي الحديث الاخر ان الله يكره
لكم البيان ولذلك قيل ما ناس احد من المسلمين يطيع الله فلا يعصيه
ولا احد يعصي الله فلا يطيعه فمن كانت طاعته اغلب من معاصيه فهو
عدل فاذا جعل مثل هذا عدلا في حق الله فبان تراه عدلا في حق نفسك
ومقتضى اخوتك اولى وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه
يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك اساءة الظن فسوء الظن غيبة
بالقلب وهو منهي عنه ايضا وحده ان لا تحمل فعله على وجه فاسد ما
امكن ان تحمل على وجه حسن فاما ما انكشف بيقين ومشاهدة فلا يمكنك
ان لا تعلمه وعليك ان تحمل ما تشاهده منه على سهو ونسيان ان امكن
وهذا الظن ينقسم الى ما يسعى تفرسا وهو الذي يستند الى علامة فان
ذلك يجري الظن تحريكا ضروريا لا يقدر على دفعه والى ما ينشاء سوء
اعتقادك فيه حتى يصدر منه فعل له وجهان فيحملك سوء الاعتقاد على

ان تنزله على الوجه الاردى من غير علامة تخصصه به وذلك جناية عليه
بالباطن وذلك جار في حق كل مسلم اذ قال صلى الله عليه واله ان الله قد حرم
من المؤمن دمه وماله وعرضه وان يظن به ظن السوء وقال صلى الله عليه واله
اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث وسوء الظن يدعو الى التجسس
وقد قال صلى الله عليه واله لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا
وكونوا عباد الله اخوانا والتحسس في تطلع الاخبار والتجسس في المراقبة بالعين
فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها سمة اهل الدين وبكفيك تنبيها
على كمال الرتبة في ستر القبيح واظهار الجميل ان الله تعالى وصف به في الدعا
فقال يا من اظهر الجميل وستر القبيح والمرضي عند الله من تخلق باخلاقه وانه
ستار العيوب وغفار الذنوب ويتجاوز عن العبيد فكيف لا تتجاوز
انت عمن هو مثلك او فوقك وما هو بكل حال عبدك ومخلوقك وقد
قال عيسى عليه السلام كيف تصنعون اذا رايتم اخاكم نائما فكشفت الريح عنه ثوبه
قالوا نستره ونغطيه قال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل
هذا فقال احدكم يسمع في اخيه فيرند عليها ويشيعها باعظم منها واعلم انه
لا يتم ايمان المرء ما لم يحب لاخيه ما يحبه لنفسه واول درجات الايمان ان

يعامل اخاه بما يحب ان يعامله به ولا شك في انه ينتظر منه ستر العورة و
السكوت عن المساوى والعيوب ولو ظهر له منه نقيض ما ينتظره اشتد عليه
غيظه وغضبه فما ابعده عن الحق اذا كان ينتظر منه ما لا يضره له ولا يغرم عليه
لاجله وويل له في نص كتاب الله تعالى حيث قال وويل للمطففين الذين اذا
اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون فكل من
يلتمس الانصاف اكثر مما يسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية
ومنشا التقصير في ستر العورة او السعي في كشفها الداء الدفين في الباطن
وهو الحقد والحسد فان الحقود والحسود يمتلي باطنه بالخبث ولكنه يحبس
في باطنه ويخفيه ولا يبديه ما لم يجد مجالا فاذا وجد فرصة انحلت الرابطة
وارتفع الحياء ورشح الباطن بخبثه الدفين وما انطوى الباطن على حقد
وحسد فالانقطاع اولى قال بعض الحكماء ظاهر العتاب خير من مكنون
الحقد ولا يزيد لطف الحقود الا وحشة منه ومن في قلبه سخيمة على مسلم
فاما انه ضعيف وامن مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله تعالى وقد روى
عبد الله بن حبير عن ابيه قال كنت باليمن ولي جار يهودي يخبرني عن
التورية فقدم على اليهودي من سفر فقلت ان الله قد بعث فينا نبيا

دعانا الى الاسلام فاسلمنا وقد نزل كتابنا بامصداقا للتوراة فقال اليهودي
صدقت ولكنكم لا تستطيعون ان تقوموا بما جائكم به انا نجد نعته
ونعت امته في التوراة انه لا اجل لا مرى يخرج من عنبة بابه وفي قلبه سخيمة
على امته المسلم ومن ذلك ان يسكت عن افشاء سر الذي استودعه وله
ان يكره وان كان كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام فانه كما يجوز للرجل
ان يخفي عيوب نفسه واسراره وان احتاج الى الكذب فله ان يفعل ذلك
في حق اخيه فان اخاه نازل منزلته وهما كشخص واحد لا يختلفان الا بالبدن
هذه حقيقة الاخوة ولذلك لا يكون بالعمل بين بدير مرايا وضار جا عن
اعمال السر الى اعمال العلانية فان معرفة اخيه بعمله كمعرفة نفسه من غير
فرق وقد قال صلى الله عليه واله من ستر عورة اخيه ستره الله في الدنيا
والاخرة وفي خبر اخر كانما احيى مودة من قبرها وقال صلى الله عليه واله
اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو امانة وقال المجالس بالامانة الا ثلثة
مجلس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال
من غير حله وقال صلى الله عليه واله انما يتجالس المتجالسان بالامانة لا يحل
لاحدهما ان يفشي على صاحبه ما يكره وقيل لبعض الحكماء كيف حفظك للسر

قال انا قبره وقد قيل صدور الاحرار قبور الاسرار وقيل ان قلب الاحمق
في فمه ولسان العاقل في قلبه اقول هذا من كلام امير المؤمنين ع
وكان الاولى ان ينسب اليه قال اي لا تستطيع الاحمق اخفاء ما في
نفسه فيبدي من حيث لا يدري به فمن هذا يجب مقاطعة الحمق والتوقي
عن صحبتهم بل عند مشاهدتهم وقد قيل لاخر ما يجعل كيف تحفظ السر فقال
اجحد المخبر واحلف للمستخبر وقال اخر استرة واستر اني استره وعير
ابن المعتز فقال وستودعي سرا فبتوأت كتمه فاودعه صدري
فصار له قبرا وقال اخر واراد الزيادة عليه وما السر في صدري كتاوبقبره
لاني اري المقبور ينتظر النشرا ولكني انساه حتى كانني بما كان منه لم احط
ساعة خبرا ولو جاز كتم السر بيني وبينه عن السر والاحشاء لم تعلم السرا
وافشى بعضهم سرا الى اخيه ثم قال له حفظت فقال بل نسيت وكان ابو سعيد
الثوري يقول اذا اردت ان تواخي رجلا فاغضبه ثم دس عليه من يساله
عنك وعن اسرارك فان قال خيرا وكتم سرك فاصحبه وقيل لابي يزيد من
نصحب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستر الله
وقال ذو النون لا خير في صحبة من لا يحب ان يراك الا معصوما وما افشى السر

عند الغضب يضع اللئيم لان اخفاءه عند الرضا يقتضيه الطباع كلها وقال
بعض الحكماء لا تصحب من يتغير عليك عند اربع عند غضبه ورضاه وعند
طبعه وهواه بل ينبغي ان يكون صدق الاخوة ثابتا عند اختلاف هذه
الاحوال ولذلك قيل وترى الكريم اذا تقرم وصله يخفي العيب ويظهر الاحسانا
وترى اللئيم اذا تقضى وصله يخفي الجميل ويظهر البهتانا ومن ذلك السكوت
عن المماراة والمدافعة في كل ما يتكلم به اخوك قال ابن عباس لا تمار سفيها
فيوذيك ولا حليما فيقليك وقد قال صلى الله عليه واله من ترك المراء وهو
مبطل بني الله له بيتا في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بني له بيت في
اعلى الجنة هذا مع ان تركه مبطلا واجب وقد جعل ثواب الفضل اعظم لان
السكوت على الحق اشد على النفس من السكوت على الباطل وانما الاجر
على قدر النصب واشد الاسباب لاثارة نار الحقد بين الاخوان المماراة
والمناقشة فانهما عين التدابر والتقاطع فان التقاطع يقع اولا بالآراء
ثم بالاقوال ثم بالابدان وقد قال صلى الله عليه واله لا تدابروا ولا تباغضوا
ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يحرمه
ولا يخذله بحسب المرء من الشر ان يحقر اخاه المسلم واشد الاحقار المماراة

فان

فان من رد على غيره كلامه فقد نسبه الى الجهل والحمق او الى الغفلة والسهو
عن فهم الشيء على ما هو عليه وكل ذلك استخفاف وايغاد للصدر وايحاش
وفي حديث ابي امامة الباهلي قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه واله
ونحن نتمارى فغضب فقال ذروا المراء لقلة خيره ذروا المراء فان نفعه
قليل وانه يهيج العداوة بين الاخوان وقال بعض السلف من لا اخا له
وماراهم قلت مروته وذهبت كرامته وقال عبد الله بن الحسن اياك
ومماراة الرجال فانك لن تقدم مكرحلم او مفلجا لئيم وقال بعض السلف
اعجز الناس من قصر في طلب الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم
وكثرة المماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة وعلى الجملة
فلا باعث على المماراة الا اظهار التميز بمزيد العقل والفضل واحتقار المردود عليه
باظهار جهله وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والايذاء والشتم بالحمق
والجهل ولا معنى للمماراة الا هذا فكيف يضامه الاخوة والمصافاة وقد روي
ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه واله انه قال لا تمار اخاك ولا تمازحه
ولا تعده موعدا فتخلفه وقد قال صلى الله عليه واله انكم لا تسعون الناس
باموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط وجوه وحسن خلق والمماراة مضادة

لحسن الخلق واعلم ان قوام الاخوة بالموافقة فى الكلام والفعل والشفقة
قال ابو عثمان الحيرى موافقة الاخوان خير من الشفقة عليهم وهو كما قال
الحق الرابع على اللسان بالنطق فان الاخوة كما تقتضى السكوت عن
المكاره تقتضى ايضا النطق بالمحاب بل هو اخص بالاخوة لان من قنع
بالسكوت صحب اهل القبور وانما يراد الاخوة لاستفادة منهم لا لتخلص
من اذاهم والسكوت معناه كف الاذى فعليه ان يتودد اليه بلسانه
ويتفقد فى احواله التى يجب ان يتفقد فيها كالسؤال عن عارض ان
عرض واظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه وكذا جملة
احواله التى يكرهها ينبغى ان يظهر بلسانه وافعاله كراهتها وجملة احواله
التى يسرها ينبغى ان يظهر بلسانه مشاركته له بالسرور بها فمعنى الاخوة
المساهمة فى السراء والضراء وقد قال صلى الله عليه واله اذا احب احدكم
اخاه فليخبره وانما امر بالاخبار لان ذلك يوجب زيادة حب فان عرف
انك تحبه احبك بالطبع لا محالة فاذا عرفت ايضا انه يحبك زاد حبك
لا محالة فلا تزال المحبة تتزايد من الجانبين وتتضاعف والمحاب بين المؤمنين
مطلوب فى الشرع ومحبوب فى الدين ولذلك علم منه الطريق فقال صلى الله عليه واله

تهادوا وتحابوا ومن ذلك ان يدعوه باحب اسمائه اليه فى غيبته وحضوره
فقد قيل ذلك يصفى لك ودك واضف ان تسلم عليه اذا لقيته اولا او
توسع له المجلس وتدعوه باحب اسمائه اليه ومن ذلك ان تثنى عليه بما تعرف
من محاسن احواله عندك وتؤثر هو الثناء عنده فان ذلك من اعظم
الاسباب فى جلب المحبة وكذلك الثناء على اولاده واهله وصنعته
وفعله حتى على عقله وخلقه وهيأته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع
ما يفرح به وذلك من غير كذب وافراط ولكن تحسن ما يقبل التحسين
لابد منه والاكد منه ان يبلغه ثناء من اثنى عليه مع اظهار الفرح به
فان ذلك محض الحسد ومن ذلك ان يشكره على صنيعه فى حقك بل على
نيته وان لم يتم قال على عليه السلام من لم يحمد اخاه على حسن النية لم يحمده على
حسن الصنيعة واعظم من ذلك تأثيره فى جلب المحبة الذب عنه فى غيبته
بها فصد بسوء او تعرض لعرضه بكلام صريح او تعريض فحق الاخوة التشمر
فى الحماية والنصرة وتبكيت المغتاب وتغليظ القول عليه فالسكوت عن
ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير فى حق الاخوة وانما شبه رسول الله
صلى الله عليه واله الاخوين باليدين تغسل احديهما الاخرى لينظر احدهما

الاخر وسوء احدهما وقد قال صلى الله عليه واله المسلم اخو المسلم لا يظلمه
ولا يخذله ولا يسلمه وهذا من الاسلام والخذلان فان اهماله ليمزق عرضه
كما هماله لتمزيق لحمه واخس باخ يراك والكلاب تفترسك ويمزق لحمك اخس
وهو ساكت لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك وتمزيق الاعراض اشد
على النفوس من تمزيق اللحوم ولذلك شبهه الله باكل لحوم الميتة فقال
ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه والملك الذى مثل فى المنام
مايطالعه الروح من اللوح المحفوظ بالامثلة المحسوسة مثل الغيبة باكل
لحم الميتة حتى ان من يرى انه ياكل لحم ميتة فانه يعتاب الناس فان الدال
الملك يرعى المناسبة والمشاركة فى تمثله بين الشئ وبين مثاله فى المعنى
الذى يجرى من المثال مجرى الروح لا فى ظاهر الصورة فاذن حماية الاخوة
بدفع ذم الاعداء وتغيب المتغيبين واجب فى عقد الاخوة وقد قال المجاهد
لا تذكر اخاك فى غيبته الا كما تحب ان يذكرك فى غيبتك فان لك فيه معيارا
احدهما ان تقدر ان الذى قيل فيه لو قيل فيك وكان اخوك حاضرا اما الذى
تحب ان يقوله اخوك فيه فينبغى ان تقابل المتعرض لعرضه به والثانى ان
تقدر انه حاضر من وراء جدار يسمع اليك ويظن انك لا تعرف حضوره

فما يجرى فى قلبك من النصرة له بسمع منه ومراى ينبغى ان تكون فى مغيبه
كذلك قال بعضهم ما ذكر اخ لى بعيب الا تصورته جالسا فقلت منه ما يجب
ان يسمع لو حضر وقال اخر ما ذكر اخ لى الا تصورت نفسى فى صورته فقلت
منه مثل ما احب ان يقال فى وهذا من صدق الاسلام وهو ان لا يرى
لاخيه الا ما يراه لنفسه نظر ابو الدرداء الى ثوب حرير بحريان فى فدان فوقف
احدهما يجك جسمه فوقف الاخر فبكى وقال هكذا الاخوان فى الله يعملان الله
فاذا وقف احدهما وافقه الاخر وبالموافقة يتم الاخلاص ومن لم يكن مخلصا
فى اخائه فهو منافق والاخلاص استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب
والسر والعلانية والجماعة والخلوة والاختلاف والتفاوت فى شئ من الدنيا
مما زقة فى المودة وهو دخل فى الدين ودليجة فى طريق المومنين ومن لا يقدر
من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة اولى به من المواخاة والمصاحبة فان
من الصحبة ثقيل لا يطيقه الا محقق ولا جرم اجره جزيل لا ينا له الا موفق
ولذلك قال صلى الله عليه واله احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما واحسن
مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا فانظر كيف جعل الايمان جزاء الصحبة
والاسلام جزاء الجوار والفرق بين فضل الايمان وفضل الاسلام على حد الفرق

الفدان الة الثور بالحرث
ص

بين المشفقة في القيام بحق الجوار والقيام بحق الصحبة فان الصحبة تقتضي
حقوقا كثيرة في احوال متفاوتة متزايدة بل على الدوام والجوار لا يقتضي الا حقوقا
قريبة في اوقات متباعدة لا تدوم ومن ذلك التعلم والنصيحة فليس حاجة
احدك الى العلم باقل من حاجته الى المال فان كنت غنيا بالعلم فعلمك مواساته
من فضلك وارشاده الى كل ما ينفعه في الدين والدنيا فان علمته وارشدته
ولم تعمل بمقتضى العلم فعلمك نصحه وذلك بان تذكر افات ذلك الفعل وفوائد
تركه وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والاخرة لينزجر عنه وتنبهه على عيوبه وتقبح القبيح
في عينه وتحسن الحسن ولكن ينبغي ان يكون ذلك سرا لا يطلع عليه احد
فما كان على الملا فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة اذ
قال صلى الله عليه واله المومن مراة المومن اي يرى منه ما لا يرى من نفسه
فيستفيد المرء باحيته معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد
بالمراة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة وقيل لمسيء تحب من يخبرك
بعيوبك فقال ان نصحني فيما بيني وبينه فنعم وان وبخني بين الملا فلا وقد
صدق فان النصح على الملا افتضاح والله يعاتب المومن يوم القيمة بحضرة كفيه
في ظل ستره فيواقفه على ذنوبه سرا وقد يدفع كتاب عمله مختوما الى الملائكة

الاعضاء ادناها الكفوف
ص

الذين يحفون به الى الجنة فاذا قاربوا ابواب الجنة اعطوه الكتاب مختوما ليقرأ
واما اهل المقت فينادون على رؤوس الاشهاد وينتطق جوارحهم بفضائحهم
فيزدادون بذلك خزيا وافتضاحا ونعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر
فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالاسرار والاعلان كما ان الفرق بين المداراة
والمداهنة بالغرض الباعث على الاغضاء فان اغضيت لسلامة دينك ولما
ترى منه من اصلاح اخيك بالاغضاء فانت مداري وان اغضيت لحظ نفسك
واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فانت مداهن وقال ذو النون
لا تصحب مع الله الا الموافقة ولا مع الخلق الا بالمناصحة ولا مع النفس الا بالمخالفة
ولا مع الشيطان الا بالعداوة فان قلت اذا كان في النصح ذكر العيوب وفيه
ايحاش للقلب فكيف يكون ذلك من حق الاخوة فاعلم ان الايحاش انما يحصل
بذكر عيب يعلمه اخوك من نفسه فاما تنبيهه على ما لا يعلمه فهو عين الشفقة
وهو استمالة القلوب اعني قلوب العقلاء واما الحمقى فلا يلتفت اليهم فان من
نبهك على مذموم تغاطيته او صفة مذمومة اتصفت بها لتزكي نفسك
عنها كان كمن ينبهك على حية او عقرب تحت ذيلك وقد همت باهلاكك
فان كنت تكره ذلك فما اشد حمقك والصفات المذمومة عقارب وحيات

وهى الاخرة مهلكات فانها تلدغ القلوب والارواح والمها اشد مما تلدغ
الظواهر والاجساد وهى مخلوقة من نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة و
لذلك قيل رحم الله امرا اهدى الى اخيه عيوبه وهذا فى عيب هو غافل عنه فاما
ما علمت انه يعلمه من نفسه وانما هو مقهور عليه من طبعه فلا ينبغى ان يكشف
فنه ستره ان كان يخفيه وان كان يظهره فلا بد من التلطف فى النصح بالتعريض
مرة وبالتصريح اخرى الى حد لا يودى الى الاستحاش فان علمت ان النصح غير مؤثر
فنه وانه مضطر من طبعه الى الاصرار فالسكوت عنه اولى وهذا كله فيما يتعلق
بصلاح اخيك فى دنياه ودينه واما ما يتعلق بتقصيره فى حقك فالواجب فيه
الاحتمال والعفو والصفح والتغامى عنه فالتعرض لذلك ليس من النصح فى شىء
نعم ان كان بحيث يودى استمراره عليه الى القطيعة فالعتاب فى السر خير
من القطيعة والتعريض به خير من التصريح والمكاتبة خير من المشافهة
والاحتمال خير من الكل اذ ينبغى ان يكون قصدك من اخيك اصلاح
نفسك بمراعاتك اياه وقيامك بحقه واحتمالك لتقصيره لا الاستعانة به
والاسترفاق منه قال ابو على الرياحى صحبت عبد الله المروزى فكان يدخل
البادية فقال على ان تكون انت الامير او انا فقلت بل انت فقال وعليك

الطاعة

الطاعة فقلت نعم فاخذ مخلاة ووضع فيها الزاد وحمل على ظهره فاذا قلت له
اعطنى قال لست انا الامير فعليك الطاعة فاخذنا المطر ليلة فوقف على رأسى
الى الصباح وعليه كساء وانا جالس امنع عنى المطر فكنت اقول مع نفسى ليتنى
مت ولم اقل لابنى الامير الحق الخامس العفو عن الزلات والهفوات وهفوة
الصديق لا تخلو اما ان تكون فى دينه بارتكاب معصية او فى حقك
بتقصيره فى الاخوة اما ما تكون فى الدين من ارتكاب معصية والاصرار عليها
فعليك التلطف فى نصحه بما يقيم اوده ويجمع شمله ويعيد الى الصلاح
والورع حاله فان لم تقدر وبقى مصرا فقد اختلفت طرق الصحابة والتابعين
فى ادلة حق مودته او مقاطعته فذهب ابو ذر رضى الله عنه الى الانقطاع
وقال اذا انقلب اخوك عما كان عليه فانفضه من حيث احببته ورأى
ذلك من مقتضى الحب فى الله والبغض فى الله واما ابو الدرداء وجماعة من الصحابة
فذهبوا الى خلافه فقال ابو الدرداء اذا انقلب اخوك وحال عما كان عليه
فلا تدعه لاجل ذلك فان اخاك يعوج مرة ويستقيم اخرى وقال ابراهيم
النخعى لا تقطع اخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه فانه يركبه اليوم ويتركه
غدا وقال الضر لا تحدثوا الناس بزلة العالم فان العالم لم يزل الزلة ثم يتوبها

وفى الخبر انقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئه وحكى ان اخوين ابتلى
احدهما بهوى فاطلع عليه اخاه وقال انى اعتللت فان شئت ان لا تقعد
على محبتى لله فافعل فقال ما كنت لاحل عقد اخوتك لاجل خطيئتك ابدا ثم
اعتقد اخوة بينه وبين الله ان لا اكل ولا اشرب حتى يعافى الله اخاه من
هواه فطوى اربعين يوما فى كلها يساله عن هواه فكان يقول القلب مقيم
على حاله وما زال هو ينحل من الغم والجوع حتى زال الهوى عن قلب اخيه بعد
الاربعين فاخبره بذلك فاكل وشرب بعد ان كاد يتلف هزلا وضرا وكذلك
حكى عن اخوين من السلف انقلب احدهما عن الاستقامة فقطع
لاخيه الانقطاعه وتهجم فقال اخوج ما كان الى فى هذا الوقت لما وقع فى
عثرته ان اخذ بيده واتلطف له فى المعاتبة وادعوله بالعود الى ما كان عليه
وروى فى الاسرائيليات ان اخوين عابدين فى جبل نزل احدهما اليشرب
من المصر الحاجة دعته فراى بغية عند اللحام فرمقها وعشقها وواقعها
ثم اقام عندها ليلتا واستحيى ان يرجع الى اخيه من جنايته قال فافتقده
اخوه واهتم بشانه فنزل الى المدينة فلم يزل يسال عنه حتى دل عليه فدخل
الدار وهو جالس معها فاعتنقه وجعل يقبله ويلتزمه وانكر الاخ انه يعرفه

لفرط استحيائه منه فقال قم يا اخى فقد علمت شانك وفضل وما كنت
قط احب الى ولا اعز عندى من ساعتك هذه فلما راى ان ذلك
لم يسقطه عن عينه قام فانصرف معه فهذا طريقة قوم وهى الطف
وافقه من طريقة الى اذن وطريقته احسن واسلم فان قلت فلم قلت
هذا الطف وافقه ومعارف هذه المعصية لا يجوز مواخاته ابتدا فيجب
مقاطعته انتهاء لان الحكم اذا ثبت بعلة فلا بد ان يزول بزوالها وعلة عقد
الاخوة التعاون فى الدين ولا يستمر ذلك مع معارفة المعصية فاقول اما
كونه الطف فلما فيه من الرفق والاستمالة والتعطف المفضى الى الرجوع
والتوبة لا يستمر الحياء عند دوام الصحبة ومهما قوطع وانقطع طمعه عن الصحبة
اصر واستمر واما كونه افقه فمن حيث ان الاخوة عقد ينزل منزلة القرابة
فاذا انعقدت تاكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ومن الوفاء بان
لا يهمل ايام حاجته وفقره وفقر الدين اشد من فقر المال وقد اصابته
جايحة والمت به افة افتقر بسببها فى دينه فينبغى ان يراقب ويراعى
ولا يهمل بل لا يزال يتلطف به لعله على الخلاص من الواقعة التى المت به
فالاخوة عدة للنائبات وحوادث الزمان وهذا من اشد النوائب

والفاجر اذا صحب تقيا وهو ينظر الى خوفه ومداومته فيرجع على قرب
ويستحي من الاصرار بل الكسلان يصحب الحريص في العمل فيحرص حياء منه
قال جعفر بن سليمان رحمه فنزت في العمل نظرت الى محمد بن واسع واقباله
على الطاعة فرجع نشاطي الى العبادة وتفارفني الكسل وعملت عليه اسبوعا
وهذا التحقيق وهو ان الصداقة لحمة كلحمة النسب والقريب لا يجوز ان يهجر
بالمعصية ولذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه واله في عشيرته فان
عصوك فقل اني بريء من عملكم ولم يقل اني بريء منكم مراعاة لحق القرابة ولحمة
النسب والى هذا اشار ابو الدرداء لما قيل له الا تبغض اخاك وقد عمل كذا
فقال انما ابغض عمله والا فهو اخي واخوة الدين اكد من اخوة القرابة ولذلك
قيل الحكيم ايما احب اليك اخوك او صديقك فقال انما احب اخي اذا كان
صديقا وكان بعضهم يقول كم من اخ لم تلده امك ولذلك قيل القرابة تحتاج
الى مودة والمودة لا تحتاج الى قرابة وقال جعفر الصادق عليه السلام مودة
يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم ماسة من قطعها قطعه الله
فاذن الوفاء بعقد الاخوة اذا سبق انعقادها واجب وهذا جواب عن ابتداء
المواخاة مع الفاسق فانه لم يتقدم له حق فان تقدمت له قرابة فلا جرم

ما تحملوه م

لا ينبغي ان يقاطع بل يجامل والدليل عليه ان ترك المواخاة والصحبة ابتداء
ليس بمذموم ولا مكروه بل قال قائلون الانفراد اولى فاما قطع الاخوة في
دوامها فنهي عنه ومذموم في نفسه ونسبته الى تركه ابتداء كنسبة الطلاق
الى ترك النكاح والطلاق ابغض الى الله من ترك النكاح قال رسول الله صلى الله
عليه واله شراركم عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة فبهذا
كله تبين الفرق بين الدوام والابتداء الا ان مخالطة الفساق محذورة
ومفارقة الاخوان والاحباب الضر محذور وليس ما سلم من معارضة غيره
كالذي لم يسلم وفي الابتداء قد سلم فرأينا ان المهاجرة والتباعد هو الاولى
وفي الدوام تعارضا فكان الوفاء بحق الاخوة اولى هذا كله في زلته في دينه
اما زلته في حقه بما لا وجب ايحاشه فلا خلاف في ان الاولى العفو والاحتمال
بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن وينصور ولا يبعد عذر فيه قريب
او بعيد فهو واجب بحق الاخوة فقد قيل ينبغي ان تبسط لزلة اخيك
سبعين عذرا فان لم يقبله قلبك فقول لقلبك ما اقساك يعتذر
اليك اخوك سبعين عذرا فلا تقبله فانت المعتب لا اخوك فان
ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغي ان لا تغضب ان قدرت ولكن ذلك

لتنبط م

لاسي

لا تمكن وقد قيل من استغضب ولم يغضب فهو حمار ومن استرضى
فلم يرض فهو شيطان فلا تكن حمارا ولا شيطانا واسترض قلبك بنفسك
نيابة عن اخيك واحترز ان تكون شيطانا ان لم تقبل وقد قيل
خذ من خليلك ما صفى دون الذى فيه الكدر فالعمر اقصر من معاتبة الخليل
على العثر وربما اعتذر اخوك كاذبا او صادقا فاقبل عذره قال صلى الله عليه وآله
من اعتذر الى اخيه فلم يقبل عليه مثل اثم صاحب المكس وقد قال صلى الله
عليه وآله المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فلم يصفه بانه لا يغضب وقد
قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ وهذا لان الغضب
لا ينتهى الى ان يجرح الانسان فلم يبن لم لم ينته الى ان يصبر عليه ويحتمل وكما
ان التالم بالجرح مقتضى طبع البدن فالتالم باسباب الغضب طبع القلب
لا تمكن قلعه ولكن يمكن ضبطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه فانه يشفى
التشفى والانتقام والمكافاة وترك العمل بمقتضاه ممكن وقال الشاعر وليست
تستبق اخا لا تلمه على شعث اى الرجال المهذب قال ابو سليمان لاحمد
ابى الحوارى اذا اخيت اخا فى هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه فانك
لا تامن ان ترى فى جوابك ما هو شر من الاول قال فجربته فوجدته كذلك

وقال

وقال بعضهم الصبر على مضض الاخ خير من معاتبته والمعاتبة خير من
القطيعة والقطيعة خير من الوقيعة وينبغى ان لا يبالغ فى البغض عند
الوقيعة قال الله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة
وقال صلى الله عليه وآله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك
يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما **الحق**
السادس الدعاء للاخ فى حياته ومماته بكل ما يجبه لنفسه ولاهله وكل
متعلق به كما يدعو لنفسك ولا تفرق بين نفسك وبينه فان دعاءك له
دعاء لنفسك على التحقيق فقد قال صلى الله عليه وآله اذا دعا الرجل لاخيه
فى ظهر الغيب قال الملك ولك بمثل ذلك وفى لفظ اخر يقول الله تعالى لك
ابدا يا عبدى وفى الحديث يستجاب للرجل فى اخيه ما لا يستجاب له
فى نفسه وفى الحديث دعوة الاخ لاخيه بالغيب لا ترد اقول ومن
طريق الخاصة ما رواه فى الكافى باسناده عن جابر عن ابى جعفر عليه السلم
فى قوله تعالى ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله
قال هو المؤمن يدعو لاخيه بظهر الغيب فيقول له الملك امين ويقول الله
العزيز الجبار ولك مثلا ما سالت وقد اعطيت ما سالت بجبك اياه و

باسناده عن نوير قال سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول ان الملائكة
اذا سمعوا المومن يدعو لاخيه بظهر الغيب او يذكره بخير قالوا لك مثل الذي
لاخيك تدعو له بالخير وهو غايب عنك وتذكره بخير قد اعطاك الله مثلي
ما سالت له وانا لك علي مثلي ما اثنيت عليه ولك الفضل علي واذا سمعوه
يذكر اخاه بسوء ويدعو عليه قالوا بئس الاخ انت لاخيك كف ايها المدعي
ذنوبه وعورته واربع على نفسك واحمد الله الذي ستر عليك واعلم ان الله
اعلم بعبده منك وقد ذكرنا اخبارا اخر في هذا عند ذكر اداب الدعاء من
كتاب الاذكار والدعوات من ربع العبادات قال ابو حامد وكان
ابو الدرداء يقول اني لادعو لبعض من اخواني في سجودي استيهم باسمائهم
وكان محمد بن يوسف الاصفهاني يقول وابن مثل الاخ الصالح اهلك
يقسمون مراثك وينعمون بما خلفت وهو منفرد بحزنك مهتم بما قدمت
يدعو لك في ظلمة الليل وانت تحت اطباق الثرى وكان الاخ الصالح يفتدى
بالملائكة اذ جاء في الخبر اذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت الملائكة
ما قدم يفرحون له بما قدم ويسالون عنه ويشفقون عليه ويقال من بلغه
موت اخيه فترحم واستغفر له كتب له كانه شهد صلاته وصلى عليه ودعا

ربع وقف

عن رسول الله صلى الله عليه واله انه قال مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق
بكل شئ ينتظر دعوة من ولد او والد او اخ او قريب وانه ليدخل على قبور الاموات
من دعاء الاحياء من الانوار مثل الجبال وقد قال بعض السلف الدعاء للاموات
بمنزلة الهدايا للاحياء فيدخل الملك على الميت معه طبق من نور عليه منديل
من نور فيقول هذه هدية لك من عند اخيك فلان من عند قريبك
فلان فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية الحق السابع الوفاء والاخلاص
ومعنى الوفاء الثبات على الحب وادامته الى الموت معه وبعد الموت مع اولاده
واصدقائه فان الحب انما يراد للاخرة فان انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع
السعي ولذلك قال صلى الله عليه واله في السبعة الذين يظلهم الله احدهم
تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه وقال بعضهم قليل الوفاء بعد الوفاة
خير من كثير في حال الحياة ولذلك روي انه صلى الله عليه واله اكرم عجوزا
دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال انها كانت تاتينا ايام خديجة وان كرم
العهد من الدين فمن الوفاء مراعاة جميع اصدقائه واقاربه والمتعلقين به
ومراعاتهم اوقع في قلب الصديق من مراعاة الاخ نفسه فان فرحه بتفقد
من يتعلق به اكثر اذ لا يدل على قوة الشفقة والحب الا تعهدها من المحبوب

الى كل من يتعلو به حتى الكلب الذى على باب داره ينبغى ان يتميز فى القلب
عن سايرالكلاب وبها انقطع الوفاء بدوام المحبة ثمت بها الشيطان فانه لا يحسد
متعاونين على بر كما يحسد متواخيين فى الله ومتحابين فيه فانه يجهد نفسه
لافساد ما بينهما قال الله تعالى وقل لعبادى يقولوا التى هى احسن ان الشيطان
ينزغ بينهم وقال عزوجل مخبرا عن يوسف بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين
اخوتى ويقال ما تواخى اثنان فى الله فتفرق بينهما الا بذنب يرتكبه احدهما وكان
بشر يقول اذا افتقر العبد فى طاعة الله سلبه الله من يونسه وذلك لان استجلاب
الاخوان مسلاة للهموم وعون على الدين ولذلك قيل الذ الاشياء مجالسة
الاخوان والانقلاب الى كفاية والمودة الدايمة هى التى تكون فى الله وما يكون
لغرض تزول بزوال الغرض ومن ثمرات المودة فى الله ان لا تكون مع حسد
فى دين ودنيا وكيف يحسده وكل ما هو لاخيه فاليه ترجع فايدته وبه وصف الله تعالى
المحبين فى الله فقال ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على
انفسهم ولو كان بهم خصاصة ووجود الحاجة هو الحسد ومن الوفاء ان
لا يتغير حاله فى التواضع مع اخيه وان ارتفع شانه واتسعت ولايته وعظم
جاهه فالترفع على الاخوان مما يتجدد من الاحوال لوم ان الكرام اذا ما اسهلوا

ذكروا

ذكروا من كان بالفهم بالمنزل الخشن واوصى بعض السلف ابنه فقال يا بنى
لا تصحب من الناس الا من ان افتقرت اليه قرب منك وان استغنيت
لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يرتفع عليك وقال بعض الحكماء اذا ولى الصديق
ولاية فثبت على نصف مودتك له وكن كيف وحكى ان الشافعى اخا رجلا
ببغداد ثم ان اخاه ولى المسبتين فتغير له عما كان فكتب اليه الشافعى هذه
الابيات اذهب فودك عن فؤادى طالق ابدا وليس طلاق ذات البين
فان ارعويت فانها تطليقة وبدوم ودك لى على ثنتين وان استعفت شفعتها
بمثالها فتكون تطليقتين فحيضتى واذا الملك استمال منى بينة لم تغن عنك
ولاية المسبتين واعلم انه ليس من الوفاء موافقة الاخ فيما يخالف الحق فى
امر يتعلق بالدين بل من الوفاء المخالفة له وبجملة الوفاء بالمحبة من تمامها
قال الاحنف الاخاء جوهرة رفيقة اذا لم تحرسها كانت معرضة للافات
فاحرسها بالكظم حتى يعتذر الى من ظلمك وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك
الفضل ولا من اخيك التقصير ومن اثار الصدق والاخلاص وتمام الوفاء
ان تكون شديد الجزع من المفارقة نفور الطبع عن اسبابه كما قيل
وجدت مصيبات الزمان جميعها سوى مفارقة الاحباب هينة الخطب

فانشد ابن عيينة هذا البيت وقال لقد عهدت اقواما فارقتهم منذ ثلاثين
سنة ما يحمل الى ان حسرتهم ذهبت من قلبي ومن الوفاء ان لا يسمع بلاقات
الناس على صديقه لا سيما من يظهر او لا انه يحب لصديقه كيلا يتهم ثم
يلقى الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب فذلك من دقايق الجهل
في التعرب ومن لا يحترز منه لم يدم مؤونة اصلا قال واحد لحكيم قد جئت
اخاطبا المودتك قال ان جعلت مهرها ثلثا فعلت قال وما هي قال لا تسمع
على بلاغة ولا تخالفني في امر ولا توطئني عسرة في الله ومن الوفاء ان لا تصادق
عدو صديقك فقد اشتركا في عداوتك الحق الثامن التخفيف وترك
التكلف وذلك ان لا يكلف اخاه ما يشق عليه بل يروح سره من بهمانه
وصاحبه ويرفهه عن ان يحمله شيئا من اعبائه ولا يستمد منه من جاه
ولا مال ولا يكلفه التواضع له والتفقد والقيام بحقوقه بل لا يقصد لمجيئه
الا الله تعالى بتركه ابتداء واستيناسا بلقائه واستعانة على دينه
وتقربا الى الله بالقيام بحقوقه وتحمل مونه وقال بعضهم من اقتضى من اخوانه
ما لا يقتضونه فقد ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه فقد اتهمهم ومن
لم يقتض فهو المتفضل عليهم وقال بعض الحكماء من جعل نفسه عند الاخوان

فوق قدره اثموا ومن جعل نفسه في قدره رغب وانتهم ومن جعلها
دون قدره سلم وسلموا وتمام التخفيف بطي بساط التكلف حتى لا يستحي منه
فيما لا يستحي من نفسه قال علي عليه السلام شر الاصدقاء من تكلف لك
ومن احوجك الى مداراته والجأك الى اعتذاره وكان جعفر بن محمد عليهما السلام
يقول اثقل اخواني علي من يتكلف لي والتحفظ منهم واخفهم علي ولي من
اكون معه كما اكون وحدي وقال الفضل انما تقاطع الناس بالتكلف
بزور احدهما اخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه وقال الجنيد ما تواخى
اثنان في الله تعالى فاستوحش احدهما او احتشم الا لعلة في احدهما او فعل
بعضهم من بعض قال من يرفع عنك ثقل التكلف ويسقط بينك وبينه
مونة التحفظ وقال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس الا من لا تزدد عنده
عنده بر ولا تبغض عنده بائم يكون ذلك لك وعليك وانت عنده سواء
وانما قال هذا لان به تخلص عن التكلف والتحفظ والا فبالطبع يحمله على
ان يتحفظ منه اذا علم ان ذلك ينقصه عنده وقال بعضهم كن مع ابناء الدنيا
بالادب ومع ابناء الاخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقال الاحنف
الامر يتوب عنك اذا اتيت وتعتذر اليك اذا اسأت ويحمل عنك مونة

بنفسك وبكفيك مؤنة نفسه وقابل هذا قد ضيق طريق الاخوة على الناس
وليس الامر كذلك بل ينبغي ان يواخي كل متدين عاقل ويعزم على ان يقوم
بهذه الشروط ولا يكلفه هذه الشروط حتى يكثر اخوانه اذ به يكون مواخيا
في الله والا كانت مواخاته لحظوظ نفسه فقط ولذلك قال رجل للجنيد
قد عز الاخوان في هذا الزمان ابن اخ في الله فاعرض الجنيد حتى اعاد ذلك
فلما اكثر قال له ان اردت اخا يكفيك مؤنته وتحمل اذاه فهذا العمر
فليس وان اردت اخا في الله تحمل انت مؤنته وتصبر على اذاه فعندي عما
اعرفهم لك فسكت الرجل واعلم ان الناس ثلثة رجل تنتفع بصحبته ورجل
تقدر على ان تنفعه ولا تتضرر به ولكن لا تنتفع به ورجل لا تقدر ايضا
على ان تنفعه وهو الاحمق والسيئ الخلق فهذا الثالث ينبغي ان تجتنب
فاما الثاني فلا تجتنبه لانك تنتفع في الاخرة بشفاعته وبدعائه وبثوابك على
القيام به وقد اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان اطعني فما اكثر اخوانك
اي ان واسيتهم واحتملت منهم ولم تحسدهم وقد قال بعضهم صحبت الناس
خمس سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف لاني كنت معهم على نفسي ومن
هذا شممته كثر اخوانه ومن التخفف وترك التكلف ان لا تعترض في

واسيتهم

نوافل

نوافل العبادات لان طائفة من الصوفية كانوا يصحبون على شرط المساواة
بين اربعة معان ان اكل احدهم بالنهار كله لم يقل له صاحبه صم وان صام
الدهر كله لم يقل له افطر وان نام الليل كله لم يقل له قم وان صلى الليل كله
لم يقل له نم وتستوي حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان فان ذلك من نقائص
حركة الطبع الى الرياء والتحفظ لا محالة فمن سقطت كلفته دامت الفتوة له
خفت مؤنته دامت مودته وقال بعض الصحابة ان الله لعن المتكلفين وقد
قال صلى الله عليه وآله انا والاتقياء من امتي برآء من التكلف وقال بعضهم
اذا عمل الرجل في بيت اخيه اربع خصال فقد نسبه به اذا اكل عنده ودخل
الخلا ونام وصلى فذكر ذلك لبعض المشايخ فقال بقيت خامسة وهو ان يحضر
مع الاهل بيت اخيه ويجامعها لان البيت لا يستخفاء هذه الامور
الخمس والا فالمساجد اروح لقلوب المتعبدين فاذا فعل هذه الخمس فقد تم
الاتحاد وارتفعت الحشمة وتاكد الانبساط وقول العرب في تسليمهم يشير الى
ذلك اذ تقول مرحبا واهلا وسهلا اي لك عندنا مرحب وهو السعة
في القلب والمكان ولك عندنا اهل تستانس بهم ولا بلاوحشة منا ولك
عندنا سهولة في ذلك كله اي لا تستند علينا اقول وفي مصباح

الشريعة عن الصادق عليه السلام قال المكلف محظى وان اصاب والمتطوع
مصيب وان اخطا والمتكلف لا يستجلب في عاقبة امره الا الهوان وفي
الوقت الا التعب والعنا والشقا والمكلف ظاهره رياء وباطنه نفاق
وهما خصلتان تطهرها المكلف وليس في الجملة من اخلاق الصالحين ولا
من شعار المتقين التكلف في اي باب كان قال الله عز من قائل لنبيه
صلى الله عليه واله قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين و
قال النبي صلى الله عليه واله نحن معاشر الانبياء والامناء والاتقياء براء من
التكلف فاتق الله واستقم يغنك عن التكلف ويطبعك بطباع الايمان
قال ابو حامد ولا يتم التخفف وترك التكلف الا بان يرى نفسه
دون اخوانه ويحسن الظن بهم ويسيئ الظن بنفسه فاذا راهم خيرا من نفسه
فعند ذلك يكون هو خيرا منهم وقد قال صلى الله عليه واله المرء على دين
خليله ولا خير في صحبة من لا يرى فيك مثل ما ترى له فهذا اول الدرجات
وهو النظر بعين المساواة والكمال في رؤية الفضل للاخ وقد مر في معنى التواضع
ورؤية الفضل للاخوان شويذ لل لمن ان تذللت له يرى ذاك للفضل
لا للبله وجانب صداقة من لا يرال على الاصدقاء يرى الفضل له وقال اخ

كم صديق عرفته بصديق صار احظى من الصديق العتيق ورفيق رأيته
في طريق صار عندي هو الصديق الحقيق ومهما راى الفضل لنفسه فقد
احتقر اخاه وهذا في عموم المسلمين مذموم قال صلى الله عليه واله يحسب المرء
من الشر ان يحقر اخاه المسلم ومن نتيجة الانبساط وترك التكلف ان تشاور
اخوانه في كل ما تقصده وتقبل مشورتهم فقد قال تعالى وشاورهم في الامر
ولا ينبغي ان تخفي عنهم شيئا من اسرارك كما روي عن يعقوب بن اخي
معروف قال جاء اسود بن سالم الى عمي معروف وكان مواخيا له فقال ان
بشر بن الحارث يحب مواخاتك وهو يحبني ان يشافهك بذلك وقد
ارسلني اليك اسئلك ان تعقد له فيما بينك وبينه اخوة تحتسبها
وتعتدها الا انه يشترط فيها شروطا لا يجب ان يشترها بذلك ولا يكون
بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة فانه يكره كثرة الالتقاء فقال معروف اما
انا اذا احببت احدا لم احب مفارقته ليلا ولا نهارا واوزوره في كل وقت
واثرته على نفسي في كل حال ثم ذكر من فضل الاخوة والحب في الله احاديث كثيرة
ثم قال فيها وقد اخا رسول الله صلى الله عليه واله عليا عليه السلام فشاركه في العلم
وقاسمه في البدن وزوجه افضل بناته واحبهن اليه وخصه بذلك من اخوانه

وانى اشهدك انى قد عقدت لك اخوة بينى وبينه وعقدت اخاه فى الله
لرسالتك ولمسالته على ان لا يزورنى ان كره ذلك ولكنى ازوره متى شئت
واحببت وامره ان يلقانى فى مواضع نلتقى فيها وامره ان لا يخفى عنى شيئا
من شانه وان يطلعنى على جميع احواله فاخبر سالم بشرايط ذلك فرضى وسر به
اقول وفى مصباح الشريعه عن الصادق عليه السلام قال شاور فى
امورك ما يقضى الدين من فيه خمس خصال عقل وعلم وتجربة ونصح
وتقوى فان لم تجد فاستعمل الخمسة واعزم وتوكل على الله فان ذلك
يورد لك الى الصواب وما كان من امور الدنيا التى هى غير عائدة الى الدين
فغضها ولا تتفكر فيها فانك اذا فعلت ذلك اصبت بركة العيش وحلاوة
الطاعة فان فى المشورة نقبا والعاقل من يستفيد منها علما جديدا
ويستدل به على المحصول من المراد ومثل المشورة مع اهلها مثل
التفكر فى خلق السموات والارض وفنائهما وهما عيبان عن العبد لانه
كلما قوى تفكره فيهما وغاص فى بحر نور المعرفه ازدادهما اعتبارا وبقينا
ولا تشاور من لا يصدقه عقلك وان كان مشهورا بالعقل والورع
واذا شاورت من تصدقه فلك فلا تخالفه فيما يشير به عليك وان

كان

كان يخالف مرادك فان النفس تجح عند قول الحق وخلافها عند الخلائق
ابين قال ابو حامد فهذا جامع حقوق الصحبة وقد اجملناه
مرة وفصلناه اخرى ولا تم ذلك الا بان تكون على نفسك للاخوان
ولا تكون لنفسك عليهم وان تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فبقيد بحقوقهم
جميع جوارحك اما النظر فبان تنظر اليهم مودة يعرفونها منك وتنظر
الى محاسنهم وتتعامى عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم فى وقت اقبالهم
عليك وكلامهم معك روى انه صلى الله عليه واله كان يعطى كل من جالسه
نصيبا من وجهه وما استصفاه احد الا ظن انه اكرم الناس عليه
حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطف مسالته وتوجهه للجالس اليه
وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وامانة وكان صلى الله عليه واله اكثر الناس
تبسما وضحكا فى وجوه اصحابه وتعجبا مما حدثوا به وكان ضحك اصحابه
عنده التبسم اقتداء منهم بفعله وتوقيرا له واما السمع فبان تسمع كلامهم
متلذذا بسماعه ومصدقا به ومظهرا للاستبشار به ولا تقطع حديثهم
عليهم بمرادة ومنازعة ومداخلة واعراض فان ارهقك عارض اعتذرت
اليهم وتحترز سمعك عن سماع ما يكرهون واما اللسان فقد حقوقه

فان القول فيه يطول ومن ذلك ان لا ترفع صوتك عليهم ولا تخاطبهم الا
بما يفهمون واما اليدان فبان لا تبسطهما عن مؤنتهم في كل ما يتعاطى باليد
واما الرجلان فبان تمشي وراءهم مشي الاتباع لا مشي المتبوع عن ولا تتقدمهم
الا بقدر ما يقتدون به ولا تقرب منهم الا بقدر ما يقربونه ويقوم لهم اذا اقبلوا
ولا تقعد الا بقعودهم وتقعد حيث يُقعدون وهذا تمام الاتحاد خفت جملة من
هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والثناء فانها من حقوق الصحبة وفي
ضمنها نوع من الاجنبية والتكلف فاذا تم الاتحاد انطوى بساط التكلف
بالكلية ولا يسلك به الا مسلك نفسه لان هذه الاداب الظاهرة عنوان
ادب الباطن وصفاء القلب وبها عرفت القلوب استغنى عن تكلف
اظهار ما فيها ومن كان نظره الى صحبة الخلق فتارة يعوج وتارة يستقيم
ومن كان نظره الى الخالق لزم الاستقامة ظاهرا وباطنا وزين باطنه
بالحب لله تعالى والخدمة لعباده فانها على انواع الخدمة ادلا وصول اليها الا
بحسن الخلق ويدرك العبد بحسن خلقه درجة الصائم القائم وزيادة

خاتمة لهذا الباب نذكر فيها جملة من اداب المعيشة والمجالسة مع اصناف
الخلق ملتقطة من كلام بعض الحكماء اذا اردت حسن المعيشة فالزم صدقا

وعدوك توجه الرضا من غير ذلة لهم ولا وحشة منهم وتوقر في غير كبر وتواضع
في غير مذلة وكن في جميع امورك في اوسطها فكلتا طرفي قصد الامور
ذميم ولا تنظر في عطفيك ولا تكثر الالتفاط ولا تقف على الجماعات واذا
جلست فلا تستوفر وتحفظ من تشبيك اصابعك والعبث بلحيتك
وخاتمك وتخليل اسنانك وادخال يدك في انفك وكثرة بصاقك
وتنخمك وطرد الذباب عن وجهك وكثرة التمطي والتثاوب في وجوه الناس
وفي الصلوة وفي غيرها وليكن مجلسك هادئا وحديثك منظوما من غير
واصغ الى الكلام الحسن من حدثك بغير اظهار تعجب مفرط ولا تسأله
اعادته واسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن اعجابك
بولدك ولا جاريتك ولا شعرك وتصنيفك وسائر ما تحضك ولا تتخذ
تصنع المرأة في التزين ولا تتبذل تبذل العبيد وتوق كثرة الكحل
والاسراف في الدهن ولا تلح في الحاجات ولا تشجع احدا على الظلم ولا تعلم
اهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدارها لك فانهم ان راوه قليلا
هنت عندهم وان كان كثيرا لم تبلغ قدر رضاهم واخفهم من غير عنف
ولن لهم من غير ضعف ولا تهازل المتنك ولا تعبدك فيسقط وقارك

واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب مجلنك وتفكر في مجلنك
ولا تكثر من الاشارة بيديك ولا تكثر الالتفات الى من وراك ولا تجث
على ركبتيك واذا هدى غيظك فتكلم وان قربك سلطان فكن منه
على حد السنان وان استرسل اليك فلا تامن انقلابه عليك وارفق به
رفقك بالصبي وكلمه بما يشتهيه ولا تجلنك لطفه بك ان تدخل بينه
وبين اهله وولده وجليسه وان كنت لذلك مستخفا عنده فان سقطة
الداخل بين الملك واهله سقطة لا تنعش وزلة لا تقال واياك وصدق
العافيه فانه اعدى الاعداء ولا تجعل مالك اكرم من عرضك واذا دخلت
مجلسا فالادب البداية بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث
انتهى وحيث تكون اقرب الى التواضع وان تحيي بالسلام من قرب منك
عند الجلوس ولا تجلس على الطريق وان جلست فادبه غض البصر ونصرة
المظلوم واغاثة الملهوف وعون الضعيف وارشاد الضال ورد السلام
واعطاء السائل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والايتاء لموضع البصاق
فلا تبصق في جهة القبلة ولا عن يمينك ولكن عن يسارك وتحت
قدمك اليسرى ولا تجالس الملوك فان فعلت فادبه ترك الغيبة ومجانبة

عن

الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الالفاظ والاعراب في الخطاب
والمذاكرة باخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم وان ظهرت
المودة وان لا تجلس بحضرتهم ولا تتخلل بعد الاكل عنده ولا على الملك ان تحمل
كل شئ الا افشاء السر والقدح في الملك والعرض للحرم ولا تجالس العامة
فان فعلت فادبه ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء الى اراجيفهم والتغافل
عما يجري في سوء الفاظهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة اليهم واياك وان تمازح
لبيبا او غير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترى عليك
لان المزاح محرف الهيبة ويسقط ماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بالحلاوة
الود ويسئ فقه الفقيه ويخزي السفيه ويسقط المنزلة عند الحكيم
ويمقته المتقون وهو يميت القلب ويباعد عن الرب ويكسب الغفلة
ويورث الزلة وبه يظلم السرائر وتموت الخواطر وبه يكثر العيوب وبيان
الذنوب وقد قيل لا تكون المزاح الا من سخف او بطر ومن بلي في مجلس
بمزاح او لفظ فلم يذكر الله تعالى عند قيامه قال النبي صلى الله عليه واله
من جلس في مجلس وكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك
سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب

الكذب

الله غفر له ما كان في مجلسه ذلك فصل اقول ولنختم الكتاب
بذكر جملة الحقوق التي تلزم الانسان على ما اورده الصدوق رحمه الله تعالى
في الفقيه نقلا عن سيد العابدين عليه السلام قال روى اسمعيل بن الفضل
عن ثابت بن دينار عن سيد العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
عليهم السلام انه قال حق الله الاكبر ان تعبده لا تشرك به شيئا فاذا فعلت
ذلك باخلاص جعل لك على نفسه ان يكفيك امر الدنيا والاخرة وحق نفسك
عليك ان تستعملها بطاعة الله تعالى وحق اللسان اكرامه عن الخنا وتعويده
الخير وترك الفضول التي لا فائدة لها والبر بالناس وحسن القول فيهم
وحق السمع تنزهه عن سماع الغيبة وسماع ما لا يحل له سماعه وحق البصر
ان تغضه عما لا يحل لك وتعتبر بالنظر به وحق يدك ان لا تبسطها الى
ما لا يحل لك وحق رجليك ان لا تمشي بهما الى ما لا يحل لك فبهما تقف على الصراط
فانظر ان لا تزل بك فتردى في النار وحق بطنك ان لا تجعله وعاء للحرام
ولا تزيد على الشبع وحق فرجك ان تحصنه عن الزنا وتحفظه من ان ينظر اليه
وحق الصلوة ان تعلم انها وفادة الى الله عز وجل وانت فيها قايم بين يدي الله تعالى
فاذا علمت ذلك كنت مقام العبد الذليل الحقير الراهب الراغب الراجي

الخايف المسكين المتضرع المعظم لمن كان بين يديه بالسكون والوقار
وتقبل عليها بقلبك وتفهمها بحدودها وحقوقها وحق الحج ان تعلم انه
وفادة الى ربك وفرار اليه من ذنوبك وفيه قبول توبتك وقضاء الفرض
الذي اوجبه الله تعالى عليك وحق الصوم ان تعلم انه حجاب ضربه الله تعالى عز وجل
على لسانك وسمعك وبصرك وبطنك وفرجك لستر به من النار
فان تركت الصوم خرقت ستر الله عليك وحق الصدقة ان تعلم انها
ذخرك عند ربك ووديعتك التي لا تحتاج الى الاشهاد عليها وكنت لما
تستودعه سرا اوثق منك بما تستودعه علانية وتعلم انها تدفع
البلاء والاسقام في الدنيا وتدفع عنك النار في الاخرة وحق الهدي ان
تريد به الله عز وجل لا تريد به خلقه ولا تريد به الا التقرب لرحمة الله
ونجاة روحك يوم تلقاه وحق السلطان ان تعلم انك جعلت له فتنة
وانه مبتلى فيك بما جعله الله له عليك من السلطان وان عليك ان
لا تعرض لسخطه فتلقي بيدك الى التهلكة وتكون شريكا له فيما ياتي اليك
من سوء وحق سايسك بالعلم التعظم له والتوقير لمجلسه وحسن الاستماع
اليه والاقبال اليه وان لا ترفع عليه صوتك ولا تجيب احدا يسأله عن شيء

حتى تكون هو الذى يجيب ولا تحدث فى مجلسه احدا ولا تغتاب عنده
احدا وان تدفع عنه اذا ذكر عندك بسوء وان تستر عيوبه وتظهر مناقبه
ولا تجالس له عدوا ولا تعادى له وليا فاذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله
بانك قصدته وتعلمت علمه لله جل اسمه لا للناس واما حق سايسك
بالملك فان تطيعه ولا تعصيه الا فيما يسخط الله عز وجل فانه لا طاعة لمخلوق
فى معصية الخالق واما حق رعيتك بالسلطان فان تعلم انهم صاروا رعيتك
لضعفهم وقوتك فيجب ان تعدل فيهم وتكون لهم كالوالد الرحيم وتغفر لهم
جهلهم ولا تعاجلهم بالعقوبة وتشكر الله عز وجل على ما اتاك من القوة
عليهم واما حق رعيتك بالعلم فان تعلم ان الله عز وجل انما جعلك قيما لهم
فيما اتيتك من العلم وفتح لك من خزائنه فان احسنت فى تعليم الناس
ولم تخرق بهم ولم تضجر عليهم زادك الله من فضله وان انت منعت الناس
علمك او خرقت بهم عند طلبهم العلم منك كان حقا على الله عز وجل ان
يسلبك العلم وبهاءه ويسقط من القلوب محلك واما حق الزوجة فان
تعلم ان الله تعالى جعلها لك سكنا وانسا فتعلم ان ذلك نعمة من الله تعالى
عليك فتكرمها وترفق بها وان كان حقك عليها اوجب فان لها عليك

ان ترحمها لانها اسيرك وتطعمها وتكسوها واذا جهلت عفوت عنها
واما حق مملوكك فان تعلم انه خلق ربك وابن ابيك وامك ولحمك ودمك
لم تملكه لانك صنعته دون الله ولا خلقت شيئا من جوارحه ولا اخرجت له
رزقا ولكن الله تعالى كفاك ذلك ثم سخره لك وائتمنك عليه واستودعك
اياه ليحفظ لك ما اتاته من خير اليه فاحسن اليه كما احسن الله اليك
وان كرهته استبدلت به ولم تعذب خلق الله تعالى ولا قوة الا بالله وحسبك
الله ان تعلم انها حملتك حبث لا يحتمل احد احدا واعطتك من ثمرة قلبها
ما لا يعطى احد احدا ووقتك بجمع جوارحها ولم تبال ان تجوع وتطعمك
وتعطش وتسقيك وتعرى وتكسوك وتضحى وتظلك وتهجر النوم لاجلك
ووقتك الحر والبرد لتكون لها فانك لا تطيق شكرها الا بعون الله وتوفيقه
واما حق ابيك فان تعلم انه اصلك فانك لولاه لم تكن فمهما رايت من نفسك
ما يعجبك فاعلم ان ابالك اصل النعمة عليك فيه فاحمد الله واشكره على
قدر ذلك ولا قوة الا بالله واما حق ولدك فان تعلم انه منك ومضاف
اليك فى عاجل الدنيا بخيره وشره وانك مسئول عما ولبته من حسن الادب
والدلالة على ربه عز وجل والمعونة على طاعته فاعمل فى امره عمل من يعلم انه مثاب

على الاحسان اليه معاقب على الاساءة اليه واما حق امك فان تعلم انها
يدك وعزك وقوتك فلا تتخذ سلاحا على معصية الله ولا عدة للظلم
على خلق الله ولا تدع نصرتها على عدوها والنصيحة لها فان اطاع الله والا فلتكن الله
اكرم عليك منها ولا قوة الا بالله واما حق مولاك المنعم عليك فان تعلم
انه انفق فيك ماله واخرجك من ذل الرق ووحشته الى عز الحرية وانسها
فاطلقك من اسر الملكة وفك عنك قيد العبودية واخرجك من السجن
وملكك نفسك وفرغك لعبادة ربك وتعلم انه اولى الخلق بك في حياتك
وموتك وان نصرته عليك واجبة بنفسك وما احتاج اليه منك ولا قوة
الا بالله واما حق مولاك الذي انعمت عليه فان تعلم ان الله عز وجل جعل
عتقك له وسيلة اليه وحجابا لك من النار وان ثوابك في العاجل ميراثه
اذا لم يكن له رحم مكافاة لما انفقت من ماله وفي الاجل الجنة واما حق
ذي المعروف عليك فان تشكره وتذكر معروفه وتكسيه المقالة الحسنة
وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله تعالى فاذا فعلت ذلك كنت قد شكرته
سرا وعلانية ثم ان قدرت على مكافاته يوما كافيته وحق المؤذن ان تعلم
انه مذكر لك ربك عز وجل وداع لك الى حظك وعون لك على قضاء فرض الله

علك

عليك فاشكره على ذلك شكرك المحسن اليك واما حق امامك في صلاتك
فان تعلم انه تقلد السفارة فيما بينك وبين ربك عز وجل وتكلم عنك ولم تتكلم عنه
ودعا لك ولم تدع له وكفاك هول المقام بين يدي الله عز وجل فان كان نقص
كان به دونك وان كان تماما كنت شريكه ولم يكن له عليك فضل فوقت
نفسك بنفسه وصلوتك بصلوته فتشكر له على قدر ذلك واما حق جليسك
فان تلين له جانبك وتنصفه في مجازاة اللفظ ولا تقوم من مجلسك الا باذنه
ومن يجلس اليك يجوز له القيام عنك بغير اذنك وتنسى زلاته وتحفظ خيراته
ولا تسمعه الا خيرا واما حق جارك فتحفظه غائبا واكرامه شاهدا ونصرته
اذا كان مظلوما ولا تتبع له عورة فان علمت عليه سوء ستره عليه وان
علمت انه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه ولا تسلمه عند شدة
وتقيل عثرته وتغفر ذنبه وتعاشره معاشرة كريمة ولا قوة الا بالله واما حق
الصاحب فان تصحبه بالتفضل والانصاف وتكرمه كما يكرمك ولا تدعه يسبق
الى مكرمة فان كافيته ووده كما يودك وتزجره عما يهم به من معصية وكن
عليه رحمة ولا تكن عليه عذابا ولا قوة الا بالله واما حق الشريك فان غاب
كفيته وان حضر رعيته ولا تحكم دون حكمه ولا تعمل برايك دون مناظرته

وتحفظ عليه ماله ولا تخنه فيما عز او هان من امره فان يد الله تعالى على الشريكين
ما لم يتخاونا ولا قوة الا بالله واما حق مالك فان لا تاخذ الا من حله ولا تنفقه
الا في وجهه ولا توثر على نفسك من لا يحمدك فاعمل به طاعة ربك ولا تبخل
فتبوء بالحسرة والندامة والتبعة ولا قوة الا بالله واما حق غريمك الذي يطالبك
فان كنت موسرا اعطيته وان كنت معسرا ارضيته بحسن القول وردته
عن نفسك رد الطف وحق الخليط ان لا تغره ولا تغشه ولا تخدعه وتتقي الله تعالى
في امره وحق الخصم المدعى عليك فان كان ما يدعي عليك حقا كنت شاهدا
على نفسك ولم تظلمه واوفيته حقه وان كان ما يدعي باطلا رفقت به و
لم تانف في امره غير الرفق ولم تسخط ربك ولا قوة الا بالله وحق خصمك الذي
تدعي عليه ان كنت محقا في دعواك اجملت مقاولته ولم تجحد حقه وان كنت
مبطلا في دعواك اتقيت الله عز وجل وبئت اليه وتركت الدعوى وحق المستشير
ان علمت له رايا حسنا اشرت عليه وان لم تعلم له ارشدته الى من يعلم
وحق المشير عليك ان لا تتهمه فيما لا يوافق من رايه وان وافق حمدت الله تعالى
وحق المستنصح ان تؤدي اليه النصيحة وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به
وحق الناصح ان تلين له جناحك وتصغي اليه بسمعك فان ابى الصواب جنح الله تعالى

وان

وان لم يوفق رحمته ولا تتهمه وعلمت انه اخطا ولم تواخذه بذلك الا ان يكون مستخفا
للتهمة فلا تعبا بشيء من امره على حال ولا قوة الا بالله وحق الكبير توقيره لسنه
واجلاله لتقدمه في الاسلام قبلك وترك مقابلته عند الخصام ولا تسبقه
الى طريق ولا تتقدمه ولا تستجهله وان جهل عليك احتملته واكرمته لحق الاسلام
وحرمته وحق الصغير رحمته في تعليمه والعفو عنه والستر عليه والرفق به والمعونة
وحق السائل اعطاؤه على قدر حاجته وحق المسئول ان اعطى فاقبل منحة
بالشكر عليه والمعرفة بفضله وان منع فاقبل عذره وحق من سرك الله ان تحمد الله تعالى
اولا ثم تشكره وحق من اساء اليك ان تعفو عنه وان علمت ان العفو يضر انتصرت
قال الله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل وحق اهل ملتك
اضمار السلامة والرحمة لهم والرفق بمسيئهم وتالفهم واستصلاحهم وشكر
محسنهم وكف الاذى عنهم وتحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك
وان يكون شيوخهم بمنزلة ابيك وشبابهم بمنزلة اخوتك وعجائزهم بمنزلة
امك والصغار بمنزلة اولادك وحق اهل الذمة ان تقبل منهم ما قبل الله عز وجل
منهم ولا تظلمهم ما وفوا لله عز وجل بعهده هذا آخر كتاب اداب الصحبة والمعاشرة
من المحجة البيضاء في احياء الاحياء ثم يوم الجمعة الاخر من شهر الربيع الاخر من سنة ١١١١

والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وآله وصحبه اجمعين

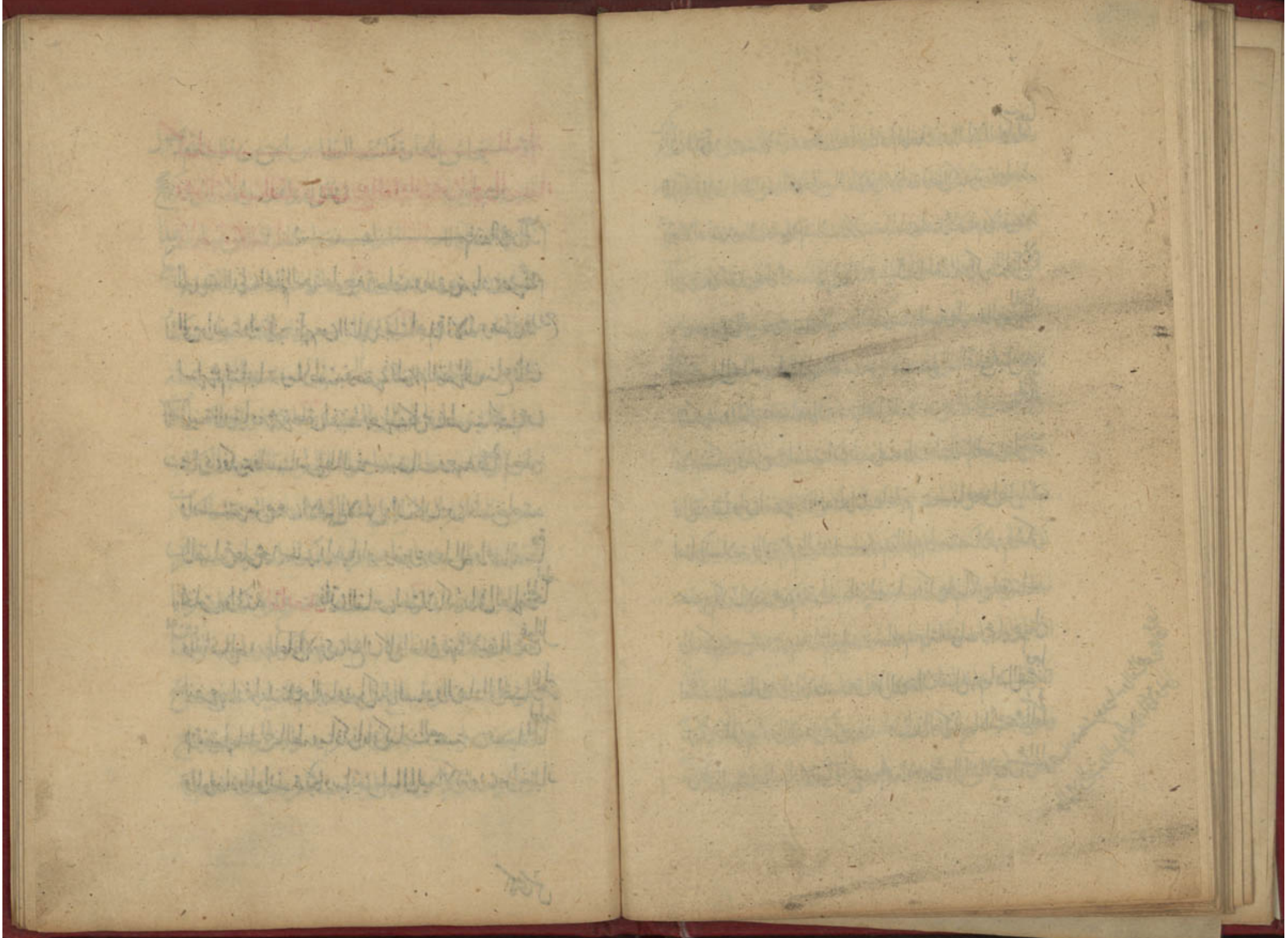

كتاب العزلة

وهو الكتاب السادس من ربع العادات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اعظم النعمة على جنة خلقه وصفوته بان صرف هممهم الى موانسة واجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة الاله وعظمته وروح اسرارهم بمناجاته وملاطفته وحقر في قلوبهم النظر الى متاع فاني زينة الدنيا وزهرتها حتى اغتبط بعزلته كل من طوبت الحجب عن مجاري فكرته فاستانس بمطالعة سبحات وجهه تعالى في خلوته واستوحش بره عن الانس بالانس وان كان من اخص خاصته والصلوة على محمد سيد انبياء الله وخيرته وعلى اله واصحابه سادة الخلق وائمته اما بعد فان للناس اختلافا كثيرا في العزلة والمخالطة وتفضيل احدهما على الاخرى مع ان كل واحدة منهما لا ينفك عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو اليها وميل اكثر العباد والزهاد الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة وما ذكرناه في كتاب الصحبة من فضيلة المخالطة والمواخاة والموانسة يكاد ناقض ما مال اليه الاكثرون من اختيار

الانحاش

الانسحاش والخلوة فلكشف الغطاء عن الحق من ذلك مهم ويحصل ذلك برسم بابين الباب الاول في نقل المذاهب والاقاويل وذكر حجج الفريقين في ذلك اما المذاهب فقد اختلف الناس فيها وظهر هذا الاختلاف بين التابعين فذهب الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة جماعة منهم وقال اكثرهم باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والاخوان للتالف والتحبب الى المومنين والاستعانة بهم في الدين تعاونا على البر والتقوى والمانوه عن العلماء من الكلمات ينقسم الى كلمات مطلقة تدل على الميل الى احد الرايين والى كلمات مقرونة باسبابها الى علة الميل فلنتقل الان مطلقات تلك الكلمات ليتبين المذاهب فيها وما هو مقرون بذكر العلة نورده عند التعرض للعوائل والفوائد اقول ولنفتتح اولا بذكر كلام مولانا الصادق عليه السلام في هذا الباب ثم لنورد ما ذكره ابو حامد قال الصادق عليه السلام على ما روي عنه في مصباح الشريعة صاحب العزلة متحصن بحصن الله ومحترس بحراسته فيا طوبى لمن تفرد به سرا وعلانية وهو يحتاج الى عشر خصال علم الحق والباطل وتجنب الفقر واختيار الشدة

والزهد واغتنام الخلوة والنظر في العواقب وزوينة التقصر في العبادة
مع بذل المجهود وترك العجب وكثرة الذكر بلا غفلة فان الغفلة مصطاد
الشيطان ورأس كل بلية وسبب كل حجاب وظلمة البيت عما
لا يحتاج اليه في الوقت قال عيسى بن مريم عليه السلام اخزن لسانك لعمارة
قلبك وليسعك بيتك وفر من الربا وفضول معاشك وابك على
خطيئتك وفر من الناس كفرارك من الاسد والافعى فانهم كانوا دواء
فصاروا اليوم داء ثم الى الله متى شئت قال ربيع ابن خثيم ان استطعت
ان تكون في موضع لا تعرف ولا تعرف فافعل وفي العزلة صيانة الجوارح
وفراغ القلب وسلامة العيش وكسر سلاح الشيطان والمجانبة
من كل سوء وراحة القلب وما من نبي ولا وصي الا واختار العزلة
في زمانه اما في ابتدائه واما في انتهائه وعنه عليه السلام انه قال فساد
الزمان وتفتر الاخوان وصار الانفراد اسكن للفواد وروى ان معروف
الكرخي قال له عليه السلام اوصني يا ابن رسول الله فقال اقلل معارفك قال
زدني قال انكر من عرفت منهم قال ابو حامد قال الفضيل
كفى بالله محبا وبالقرآن مونسا وبالموت واعظا واتخذ الله صاحبا

ودع الناس جانبا وقال ابو الربيع لداود الطائي عظني قال صم الدنيا واجعل
فطرك الاخرة وفر من الناس فرارك من الاسد وقتل ورد في التوراة
قنع ابن ادم فاستغنى اعتزل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا
ترك الحسد فظهرت مروته صبر قليلا فتمتع طويلا قال وهب بن الورد بلغنا
ان الحكمة عشرة اجزاء فتسعة منها في الصمت والعاشرة في عزلة الناس
وقال بعضهم كنت في سفينة ومعنا شاب من العلوية فمكث معنا سبعا
لا نسمع له كلاما فقلنا له يا هذا فقدنا الله وايانا منذ سبع ولا
نزال نحاطبنا ولا نكلمنا فانشا يقول، قليل الهم لا ولد يموت، ولا امرأة
ان يفوت، قضى وطر الصبا وافاد علما، فغايته التفرد والسكوت،
وقال ابراهيم النخعي تفقه ثم اعتزل وكذا قال الربيع بن خثيم وقال الفضيل
اني لاجد للرجل عندي يدا اذا فيه ان لا يسلم علي واذا مرضت ان
لا يعودني وقال ابو سليمان الداراني بينما الربيع بن خثيم جالس على
باب داره اذ جاءه حجر فصك جبهته فشجه فجعل يمسح الدم ويقول
لقد وعظت يا ربيع فقام ودخل داره فما جلس بعد ذلك على باب داره
حتى اخرجت جنازته وقال الشهرستاني عبد الله اقل من معرفة الناس فانك

لا تدري ما يكون بعد القعدة فان تكن فصحبة كان من يعرف قليلا ودخل
بعض الامراء على صائم الاصم فقال الك حاجة قال نعم فقال ما هي قال الا تراني
ولا ترائي وقال رجل لسهيل اريد ان اصحبك قال اذا مات احدنا فمن يصحبه
الاخر فليصحب الان وقال الفضل من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه
وقال ابن عباس افضل المجالس مجلس في تعريبك لا ترى ولا ترى
فهذه اقاويل المايلين الى العزلة ذكر حجج المائلين الى المخالطة ووجه ضعفها
احتج هؤلاء بقوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا وبقوله تعالى الف
بين قلوبهم فامتن على الناس بالسبب المؤلف وهذا ضعيف لان المراد
به تفرق الاراء واختلاف المذاهب في معاني كتاب الله واصول الشريعة
والمراد بالالفة نزع الغوائل من الصدور وهي الاسباب المثيرة للفتن
المحركة للخصومات والعزلة لا تنافي ذلك واحتجوا بقوله صلى الله عليه واله
المومن الف مالوف ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف وهذا ايضا ضعيف
فانه اشار الى مذمة سوء الخلق الذي يمتنع بسببه المؤالفة ولا تدخل
تحته الحسن الخلق الذي ان خالط الف والف ولكنه ترك المخالطة
استغناء لنفسه او طلبا للسلامة من غيره واحتجوا بقوله صلى الله عليه واله

من

من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية وبقوله صلى الله عليه واله من شق
عصا المسلمين والمسلمون في اسلام وادخ فقد خلع ربقة الاسلام وهذا
ضعيف لان المراد به الجماعة التي اتفقوا على امام فليس فيه تعرض للعزلة
واحتجوا بنهيه صلى الله عليه واله عن الهجرة فوق ثلث اذ قال من هجر اخاه
فوق ثلث فمات دخل النار وقال لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلث
والسابق بالصلح يدخل الجنة وقال من هجر اخاه سنة فهو كسافك دمه
قالوا والعزلة هجرة بالكلية وهذا ضعيف لان المراد به الغضب على الناس
واللجاج فيه بقطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة فلا يدخل فيه ترك
المخالطة اصلا من غير غضب مع ان الهجرة فوق ثلث جائز في موضعين
احدهما ان يرى فيه استصلاحا للمهجور في الزيارة والثاني ان يرى لنفسه
سلامة فيه والنهي وان كان عاما فهو محمول على ما وراء الموضعين
المخصوصين بدليل ما روي عن عايشة ان النبي صلى الله عليه واله هجرها
ذا الحجة والمحرم وبعض صفر وروت عايشة ان النبي صلى الله عليه واله
قال لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلثة ايام الا ان يكون ممن لا يومن بوائقه
فهذا صريح في التخصيص وعلى هذا ينزل ما قيل هجران الاحمق قربة الى الله تعالى

فان ذلك يدوم الى الموت اذ الخافة لا ينتظر علاجها احتجوا بما روى ان رجلا
اتى الجبل ليتعبد فيه فجئ به الى رسول الله صلى الله عليه واله فقال لا تفعل انت
ولا احد منكم لصبر احدكم فى بعض مواطن الاسلام خير من عبادة احدكم
اربعين عاما والظاهر ان هذا انما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة
وجوبه فى ابتداء الاسلام بدليل ما روى عن ابى هريرة انه قال غزونا على
عهد رسول الله صلى الله عليه واله فمررنا بشعب فيه عيينة طيباء الماء فقال
واحد من القوم لو اعتزلت الناس فى هذا الشعب ولن افعل ذلك حتى اذكر
لرسول الله صلى الله عليه واله فذكر له فقال لا تفعل فان مقام احدكم فى سبيل الله
خير من صلوته فى اهله ستين عاما الا تحبون ان يغفر الله لكم وتدخلوا
الجنة اغزوا فى سبيل الله فانه من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة ادخله الله الجنة
احتجوا بما روى عن معاذ بن جبل انه صلى الله عليه واله قال ان الشيطان ذئب
الانسان كذئب الغنم ياخذ القاصية والناحية واياكم والشعاب
وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد وهذا انما اراد به من اعتزل قبل تمام العلم
وسيأتى ان ذلك منهى عنه الا لضرورة ذكر حجج المائلين الى تفضيل العزلة
احتجوا بقوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام واعتزلكم وما تدعون من دون الله

ثم قال فلما اعتزلهم وما يدعون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب
وكلا جعلنا نبيا اشارة الى ان ذلك بركة العزلة وهذا ضعيف لان مخالطة
الكفار لا فائدة فيها الا دعوتهم الى الدين وعند توقع اليأس عن اجابتهم
فلا وجه الا هجرانهم وانما الكلام فى مخالطة المسلمين وما فيها من البركة
اذ روى انه صلى الله عليه واله قال لوضوء من جرة مخرجها من الدار اولى
هذه المطاهر التى ينتظم منها الناس فقال من هذه المطاهر التماسا
لبركة ايدى المسلمين وروى انه صلى الله عليه واله لما طاف بالبيت عدل
الى زمزم ليشرب منها فاذا الثمر المنقع فى الحياض الادم قد مغثه الناس
بايديهم وهم يتناولون منه ويشربون فاستسقى منه فقال اسقونى
فقال العباس ان هذا النبيذ شراب قد مغث وحيض بالايدى
افلا ابتاك بشراب انظف من هذا فى جرة مخرجها فى البيت فقال اسقونى
من هذا الذى يشرب منه الناس التمس بركة ايدى المسلمين فشرب منه
فاين كيف يستدل باعتزال الكفار والاصنام على اعتزال المسلمين
مع كثرة البركة فيهم واحتجوا بقول موسى ع وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون فانه
فزع الى العزلة بعد اليأس منهم وقال فى اصحاب الكهف واذ اعتزلتموهم

وما يعبدون من دون الله فاوُوا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته امرهم
بالعزلة وقد اعتزل نبينا صلى الله عليه واله فرسا لما آذوه وجفوه
ودخل الشعب وامر اصحابه باعتزالهم والهجرة الى ارض الحبشه ثم تلاحقوا
به في المدينه بعد ان اعلى الله كلمته وهذا ايضا اعتزال عن الكفار بعد
الياس منهم فانه صلى الله عليه واله لم يعتزل المسلمين ولا من توقع اسلامه
من الكفار واهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم مومنون وانما اعتزلوا
الكفار وانما النظر في العزلة من المومنين واحتجوا بقوله صلى الله عليه واله
لعبد الله بن عامر الجهني لما قال يا رسول الله ما النجاة قال ليسعك بيتك
واملك عليك لسانك وابك على خطيئتك وروى انه قيل له صلى الله عليه واله
اى الناس افضل فقال مومن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قيل
ثم من قال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس
شره وقال صلى الله عليه واله ان الله يحب العبد النقي الخفي الغني وفي
الاحتجاج بهذه الاحاديث نظر فاما قوله لعبد الله بن عامر لا يمكن بتنزيله
الا على ما عرفه صلى الله عليه واله بنور النبوة من ماله وان لزوم البيت
كان اليق به واسلم من المخالطة فانه لم يامر جميع الصحابه بذلك وربما شخص

يكون

يكون سلامته في العزلة لا في المخالطة كما قد يكون سلامته في القعود
في البيت وان لا يخرج في الجهاد وذلك لا يدل على ان ترك الجهاد افضل
وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قال صلى الله عليه واله
الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم خير من الذي لا يخالط الناس
ولا يصبر على اذاهم وعلى هذا ينزل قوله صلى الله عليه واله وسلم ان الله
يحب التقي الخفي بريد ايثاره الخمول وتوقي الشهرة وذلك لا يتعلق
بالعزلة فكم من راهب معتزل يعرفه الناس وكم من مخالط خامل لا يذكر
له ولا شهرة فهذا تعرض لامر لا يتعلق بالعزلة واحتجوا بما روى انه
صلى الله عليه واله قال لاصحابه الا انبئكم بخير الناس قالوا بلى فاشار
بيده نحو المغرب فقال رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله
ينتظر ان يغير او يغار عليه الا انبئكم بخير الناس بعده واشار بيده
نحو الحجاز وقال رجل في غنيمة يقيم الصلوة ويوتي الزكوة ويعلم حق الله
في ماله اعتزل شرور الناس فاذا ظهر ان هذه الادلة لا شفاء فيها من
الجانبين فلا بد من كشف الغطاء بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها
ومقايسة بعضها بالبعض ليتبين الحق فيها انشا الله الباب الثاني

في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضلها اعلم ان اختلاف
الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة وقد ذكرنا
ان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص بحسب ما فصلناه من آفات
النكاح وفوائده فكذلك القول فيما نحن فيه فلنذكر اولا فوائد العزلة
وهي تنقسم الى فوائد دينيه ودنيوية والدينية تنقسم الى تمكن من تحصيل
الطاعات في الحال بالمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم والى
تخلص من ارتكاب المناهي التي يتعرض الانسان لها بالمخالطة كالريا
والغيبة والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة
الطبع من الاخلاق الردية والاعمال الخبيثة من الجلساء واما الدنيوية السوء م
فتنقسم الى تمكن من التحصيل بالخلوة كتمكن المحترف في خلوته والى تخلص
من محذورات يتعرض لها بالمخالطة كالنظر الى زهرة الدنيا واقبال
الخلق عليها وطمعه في الناس وطمع الناس فيه وانكشاف ستر مروته
بالمخالطة والتأذي بسوء خلق الجليس في مرايائه او سوء ظنه او نميمته
او محاسدته او التأذي بثقله او بسوء خلقه فالى هذا ترجع مجامع فوائد
العزلة فلنحصرها في ست فوائد الفائدة الاولى الفراغ للعبادة والفكر والا

ستيناس بمناجات الله تعالى عن مناجاة الخلق والاشتغال
باستكشاف اسرار الله في امر الدنيا والاخرة وملكوت السموات
والارض فان ذلك يستدعي فراغا وافراغ مع المخالطة فالعزلة وسيلة
اليه ولهذا قال بعض الحكماء لا يتمكن احد من الخلوة الا بالتمسك بكتاب الله
عز وجل والمتمسكون بكتاب الله هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله
الذاكرون الله بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله
ولا شك في ان هؤلاء منعهم المخالطة عن الفكر والذكر فالعزلة اولى بهم
ولذلك كان صلى الله عليه وآله في ابتداء امره يتبتل في جبل حرا ويتعزل
اليه حتى قوي فيه نور النبوة فكان الخلق لا يحجبه عن الله فكان يبدو
مع الخلق وقلبه مقبلا على الله ولن يتسع للجمع بين مخالطة الخلق ظاهرا
والاقبال على الله سرا الا قوي النبوة فلا ينبغي ان يغتر كل ضعيف بنفسه
فيطمع في ذلك ولا يبعد ان يترقى درجة بعض الاولياء اليه فقد نقل
عن الجنيد انه قال انا اكلم الله منذ ثلثين سنة والناس يظنون
اني اكلمهم وهذا انما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقا لا يبقى لغيره
فيه متسع وذلك غير منكر ففي المستهترين بحب الخلق من يخالط الناس

ببدنه وهو لا يشعر به ما يقول وما يقال له لفرط عشقه محبوبه بل الذي
دهاه مثله لشيء عليه امر من امور دنياه قد يستغرقه الهم بحيث
يخالط الناس ولا يحس بهم ولا يسمع اصواتهم لشدة استغراقه وامر
الاخرة اعظم عند العقلاء فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الاولى بالاكياس
الاستعانة بالعزلة ولذلك قيل لبعض الحكماء ما الذي اراد وا بالخلوة
واختيار العزلة فقال ليستديموا بذلك دوام الفكرة وتثبت العلوم
في قلوبهم ليجدوا حلاوة طيبة ويذوقوا حلاوة المعرفة وقيل لبعض الرهابين
ما اصبرك على الوحدة فقال ما انا وحدي انا جليس الله اذا شئت ان
يناجيني الله قرأت كتاب الله واذا شئت ان اناجيه صليت وقيل
لبعض الحكماء الى اي شيء افضى بكم الزهد والخلوة فقال الى الانس بالله
وقال سفيان بن عيينة لقيت ابراهيم بن ادهم في بلاد الشام فقلت له
يا ابراهيم تركت خراسان فقال ما هنأت بالعيش الا ههنا اقرد بي
من شاهق الى شاهق فمن رآني يقول موسوس او مجنون او ملاح وقيل
لغزوان الرقاشي هبك لا تضحك فما يمنعك عن مجالسة اخوانك
قال اني اصبت راحة قلبي في مجالسة من عنده حاجتي وقيل بينما اويس

القرني جالس اذ اتاه هرم بن حيان فقال له اويس ما جاء بك قال
جئت لآنس بك فقال ما كنت ارى احدا يعرف ربه فيأنس بغيره
وقال الفضيل اذا رأيت الليل مقبلا فرحت به وقلت احلو لي رب واذا
رأيت الصبح ادركني استرجعت كراهية لقاء الناس وان يجيء من يشغلني
عن ربي وقال عبد الواحد بن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الآخرة
فقيل له وكيف ذلك قال يناجي الله في الدنيا ويجاوره في الآخرة وقال
ذو النون المصري سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة ربه وقال مالك بن
دينار من لم يأنس بمجادثة الله عز وجل من مجادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمي
قلبه وضيع عمره وقال ابن المبارك ما احسن حال من انقطع الى الله عز وجل
ويروى عن بعض الصالحين انه قال بينما انا اسير في بعض بلاد الشام
اذا انا بعابد خارج من بعض تلك الجبال فلما نظر الي تنحى الى اصل شجرة
ليستتر بها فقلت سبحان الله تبخل علي بالنظر فقال ياهذا اني اقمت
في هذا الجبل دهرا طويلا اعالج قلبي في الصبر عن الدنيا واهلها فطال في ذلك
تعبي وفني فيه عمري فسألت الله تعالى ان لا يجعل حظي من ايامي في مجاهدة
قلبي فسكنه الله تعالى عن الاضطراب والف الوحدة والانفراد فلما نظرت

البلد خفت ان اوقع فى الامر الاول فاليك عنى فانى اعوذ من شرك برب الفلق
وحبيب الفاسق ثم صاح واغمآه من طول المكث فى الدنيا ثم حول وجهه
عنى ثم نفض يديه وقال اليك عنى يا دنيا لغيرى فتزينى واهلك فغرى
ثم قال سبحان من اذاق قلوب العارفين من لذة الخلوة وحلاوة
الانقطاع اليه ما الهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان فاذن فى
الخلوة انس بذكر الله واستكثار من معرفة الله وفى ذلك قيل
وانى لاستعس
وما بى نعسة لعل ضياء الصبح يلقى ضيائيا
واخرج من بين الجلوس لعلنى
احدث نفسى عند ياسرها ليا
ولذلك قال بعض الحكماء انما يستوحش الانسان
من نفسه لخلوة ذاته عن الفضيلة فتكثر حينئذ بملاقاة الناس ويطرد الوحشة
عن نفسه فاذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة
ويستخرج العلم والحكمة وقد قيل الاستيناس بالناس من علامات
الافلاس فاذن هذه فائدة جليلة ولكن فى حق بعض الخواص ومن تيسر
له بدوام الذكر الانس بالله او بدوام الفكر التحقق فى معرفة الله فالتجرد له افضل
من كل ما يتعلق بالمخالطة فان غاية العبادات وثمرة المعاملات ان يموت
الانسان بحب الله عارفا بالله ولا محبة الا بالانس الحاصل بدوام الذكر

ولا معرفة الا بدوام الفكر وفراغ القلب شرط كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة

الفائدة الثانية التخلص بالعزلة عن المعاصى التى يتعرض الانسان لها غالبا
بالمخالطة ويسلم منها فى الخلوة وهى اربعة الغيبة والرياء والسكوت عن الامر
بالمعروف والنهى عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الرديئة والاعمال
الخبيثة التى يوجبها الحرص على الدنيا اما الغيبة فاذا عرفت فى كتاب آفات
اللسان من ربع المهلكات وجوهها عرفت ان التحرز عنها مع المخالطة عظيم
لا ينجو منها الا الصديقون فان عادة الناس كافة التهتك باعراض الناس
والتفكه بها والتنقل بحلاوتها فهى طعمهم ولذتهم واليها يستروحون
من وحشتهم فى الوحشة فان خالطتهم ووافقت امنت وتعرضت لسخط الله
وان سكت كنت شريكا والمستمع احد المغتابين وان انكرت ابغضوك
وتركوا ذلك المغتاب واغتابوك فازدادوا غيبة الى الغيبة وربما زادوا
على الغيبة وانتهوا الى الاستخفاف والشتم واما الامر بالمعروف والنهى
عن المنكر فمن اصول الدين وهو واجب كما سياتى بيانه فى هذا
الربع ان شاء الله ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات
فان سكت عصى الله به وان انكر تعرض لانواع من الضرر يمنعه بجملتها الخلاص

منها الى معاصي هي اكثر مما نهى عنه ابتداء وفي العزلة خلاص من هذا فان
الامر في اهماله شديد والقيام به شاق فعن النبي صلى الله عليه واله اذا
راى الناس المنكر ولم يغيروه اوشك ان يعمهم الله بعقاب وقال صلى الله
عليه واله ان الله ليسئل العبد حتى يقول ما منعك اذا رايت المنكر في الدنيا
ان تنكره فاذا لقن الله عبدا حجته قال يارب رجوتك وخفت الناس
وهذا اذا خاف من ضرر او امر لا يطاق ومعرفة حدود ذلك مشكل وفيه
خطر وفي العزلة خلاص وفي الامر بالمعروف اثارة للخصومات وتحريك
لغوائل الصدور كما قيل وكم سقت في اثاركم من نصيحة وقد تستفيد
البغضة المتنصح ومن جرب الامر بالمعروف ندم عليه غالبا فانه كجدار مائل
يريد الانسان ان يقيمه فيوشك ان يسقط عليه فاذا اسقط عليه
يقول يا ليتني تركته مائلا نعم لو وجد اعوانا امسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة
استقام وانت اليوم لا تجد الاعوان فدعهم وانج برأسك وانما الدواء
هو الداء العضال الذي يعسر على الاوتاد والابدال الاحتراز عنه وكل
من خالط الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما وقعوا
وهلك كما هلكوا واقل ما يلزم فيه النفاق فانك ان خالطت متعاديين

ولم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه ضربت بغيظا اليهما جميعا واين جامليهما
كنت من شرار الناس ذا الوجهين واقل ما يجب في مخالطة الناس اظهار السوء
والمبالغة فيه ولا يخلو ذلك عن كذب اما في الاصل واما في الزيادة واظهار
الشفقة بالسؤال عن الاحوال وكان اذا قيل لعيسى عليه السلام كيف اصبحت
قال اصبحت لا املك نفعا ارجو ولا استطيع دفع ما احاذر مرتهنا
بعملي والخير كله في يد غيري فلا فقير افقر مني وكان الربيع بن خثيم
اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحنا ضعفاء مذنبين نستوفي ارزاقنا
وينتظر اجالنا وكان ابو الدرداء اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحت
بخيران نجوت من النار فقد كان سوالهم عن امور الدين واحوال
القلب في معاملة الله وان سالوا عن امور الدنيا فعن اهتمام وعزم
على القيام بما يظهر لهم من الحاجة وقال بعضهم اني لاعرف اقواما كانوا
يتلاقون ولو حكم احدهم على صاحبه بجميع ما يملكه لم يمنعه واري الان
اقواما يتلاقون ويسالون حتى الدجاجة في البيت ولو انبسط احدهم
بحبة من مال صاحبه لمنعه فهل هذا الا مجرد الرياء والنفاق وآية
ذلك انك ترى هذا يقول كيف انت ويقول الاخر كيف انت والسائل

لا ينتظر الجواب والمسئول يشتغل بالسوال ولا يجيب وذلك لعرفتهم
بان ذلك عن رياء وتكلف ولعل القلوب لا تخلو عن ضغائن واحقاد و
الالسنة منطلقة بالسوال والمقصد ان الالتقاء في غالب العادات ليس
يخلو عن انواع من التصنع والرياء والنفاق وكل ذلك مذمومات بعضها
محظور وبعضها مكروه وفي العزلة الخلاص من ذلك فان من لقي الخلق
ولم يخالقهم باخلاقهم مقتوه واستثقلوه واغتابوه ولنشروا الايذاء
فذهب دينهم فنه ودينه ودينه في الانتقام منهم واما مسارقة الطبع
لما يشاهده من اعمال الناس واخلاقهم فهو داء دفين قلما ينتبه له العقلاء
فضلا عن الغافلين فلا يجالس الانسان فاسقا مدة مع كونه منكرا
عليه في باطنه الا ولو قاس نفسه الى ما قبل مجالسته ادرك فيها نقصا
في النفرة عن الفساد واستثقاله اذ بصير الفساد بكثرة المشاهدة
هينا على الطبع ويسقط وقعه واستعظامه عنه وانما الوازع عنه
شدة وقعه في القلب فاذا صار مستصغرا بطول المشاهدة اوشك
ان يجل القوة الوازعة ويدعن الطبع للميل اليه اولما دونه ومهما طالت
مشاهدة الكبائر من غيره استحقر الصغائر من نفسه ولذلك

يزدري الناظر الى الاغنياء نعمة الله عليه فيثور بجالسته في ان يستصغر
ما عنده ويثور بجالسة الفقراء في استعظام ما انعم له من النعم فكذلك
النظر الى المطيعين والعصاة هذا نائره في الطبع فمن يقصر نظره على
ملاحظة احوال الصحابة والتابعين في العبادة والتنزه عن الدنيا فلا
ينظر الى نفسه بعين الاستصغار والى عبادته بعين الاستحقار
وما دام يرى نفسه مقصرا لا يخلو عن داعية الاجتهاد ورغبة في الاستكمال
واستنماما للاقتداء ومن نظر الى الاحوال الغالبة على اهل الزمان
واعراضهم عن الله وانهمالهم على الدنيا واعتيادهم للمعاصي استعظم امر نفسه
باد نى رغبة في الخير يصادفها في قلبه وذلك هو الهلاك ويكفي في تغيير
الطبع مجرد سماع الخير والشر فضلا عن مشاهدته وبهذه الدقيقة
يعرف سر قوله صلى الله عليه وآله عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة فانما
الرحمة دخول الجنة ولقاء الله وليس ينزل عند الذكر عين ذلك ولكن
سببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتداء
بهم والاستكثاف مما هو ملابس لهم من القصور والتقصير ومبدا
الرحمة فعل الخير ومبدا فعل الخير الرغبة ومبدا الرغبة ذكر احوال الصالحين

فهذا معنى نزول الرحمة والمفهوم من فحوى هذا الكلام عند الفطن
كالمفهوم من نظمه وهوان عند ذكر الفاسقين نزل اللعنة لان كثرة
ذكرهم يهون على الطبع امر المعاصي واللعنة هو البعد ومبدا البعد من
الله المعاصي والاعراض عن الله بالاقبال على لحظوظ العاجلة والشهوات
الحاضرة لا على الوجه المشروع ومبدا المعاصي سقوط ثقلها وتفاحشها عن
القلب ومبدا سقوط ذلك وقوع الانس بها بكثرة السماع واذا كان ذكر هذا
حال الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم بل قد صرح به رسول الله
صلى الله عليه واله حيث قال مثل الجليس السوء كمثل القين ان لم يحرقك
بشرره نالك علوق بثوبك من ريحه فكما ان الريح يعبق بالثوب ولا يشعر به فكذلك
يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به وقال صلى الله عليه واله مثل
الجليس الصالح مثل صاحب المسك ان لا يهب لك منه يحذك ريحه وهذا
اقول من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايتها لعلتين احديهما اندغيبة
والثانية وهي اعظمها ان حكايتها يهون على المستمعين امر تلك الزلة
ويسقط من قلوبهم استعظامهم للاقدام عليها فتكون ذلك سببا
لتهونين تلك المعصية فانه ربما وقع فيها واستنكرذلك دفع الاستنكار

فقال كيف يستبعد هذا منا وكلنا مضطرون الى مثله حتى العلماء
والعباد ولو اعتقد ان مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه مرموق
معتبر لشق عليه الاقدام والطبع اللئيم يميل الى اتباع الهفوات والاعراض
عن الحسنات بل الى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتنزل على مقتضى
الشهوة ليتعلل به وهذه من دقائق مكايد الشيطان ولذلك وصف الله تعالى
المراءين للشيطان فيها بقوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم المهتدون وضرب
صلى الله عليه واله لذلك مثلا وقال مثل الذي يجلس يستمع الحكمة ثم لا يعمل
منها الا شرما يسمع كمثل رجل اتى راعيا فقال يا راعي احرز من الغنم فقال
اذهب فخذ خير شاة منها فذهب فاخذ باذن كلب الغنم وتمام الدليل على
سقوط وقع الشر عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته ان اكثر الناس
اذا راوا مسلما افطر في نهار رمضان استبعدوه واستبعادا
يكاد يفضي اعتقادهم الى الكفر وقد يشاهدون من يخرج الصلوات
عن اوقاتها ولا ينفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تاخير الصوم مع ان صلوة
واحدة يقتضي تركها الكفر عند قوم وجز الرقبة عند قوم وترك الصوم

لا يقتضيه ولا سبب له الا ان الصلوة تكرر والمساهل فيها ما يكثر فيسقط
وقعها بالمشاهدة عن القلب وكذلك لو لبس الفقيه ثوبا من حرير او وضع
من ذهب او شرب من اناء فضة استبعده النفوس واستند انكارها
وقد يشاهد في مجلس طويل الا تكلم الا بما هو اغتياب الناس ولا يستبعد منه
ذلك والغيبة اشد من الزنا فكيف لا يكون اشد من لبس الحرير ولكن
كثرة سماع الغيبة ومشاهدة المغتابين اسقط عن القلوب وقعها وهون
على النفوس امرها فتفطن لهذه الدقايق وفر من الناس فرارك من
الاسد فانك لا تشاهد منهم الا ما يزيد في حرصك على الدنيا ويغفلك
عن الاخرة ويهون عليك المعصية ويضعف رغبتك في الطاعة فان جالست
جليسا يذكرك بالله صورته وسيرته فالزمه ولا تفارقه واغتنمه ولا
تستحقره فانها غنيمة العاقل وضالة المؤمن وتحقق ان الجليس الصالح
خير من الوحدة والوحدة خير من الجليس السوء ومهما نهمت هذه
المعاني ولاحظت طبعك والتفت الى من اردت مخالطته لم يخف عليك
ان الاولى البتاعد عنه بالعزلة او التقرب اليه بالمخالطة وابا ان نحكم
مطلقا على العزلة والمخالطة بان احدهما اولى اذ كل مفصل فاطلاق القول

فيه لا ونعم خلف محض ولا حق في المفصل الا التفصيل **الفايدة الاولى** **الثالثة**
الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخصوص فيها
والتعرض لاخطارها وقلما يخلو البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات
فالمعتزل عنهم في سلامته من ذلك قال عبد الله بن عمرو بن العاص لما
ذكر رسول الله صلى الله عليه واله الفتن ووصفها وقال اذا رايت الناس
مرجت عهودهم وخفت امانتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه
فقلت وما ترى فقال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما
تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة وضع عنك امر العامة وروى ابو
سعيد الخدري انه صلى الله عليه واله قال يوشك ان يكون خير مال
المسلم غنم يتبع بها شعاب الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن
وروى عبد الله بن مسعود انه صلى الله عليه واله قال سيأتي على الناس
زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من قرية الى قرية ومن شاهق
الى شاهق ومن جحر الى جحر كالثعلب الذي يروغ فقيل ومتى ذلك يا رسول الله
قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة
قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد امرتنا بالتزويج قال اذا كان ذلك

الزمان كان هلاك الرجل على يدى ابويه فان لم يكن له ابوان فعلى يدى
قرابته قالوا فكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق اليد فيتكلف
ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة وهذا الحديث وان كان
فى العزوبة فالعزلة معهومة منه اذ لا يستغنى المتاهل عن المعيشة والمخالطة
ثم لا ينال المعيشة الا بمعصية الله ولست اقول هذا اوان ذلك فلقد كان
هذا باعصار قبل هذا العصر وقال ابن مسعود ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله
الفتنة وايام الهرج قلت وما الهرج قال حين لا ياس الرجل جليسه
قلت فبم تامرنى ان ادركت ذلك الزمان قال كف نفسك ويدك و
ادخل دارك قال قلت ارايت يا رسول الله ان ادخل على دارى قال فادخل
بيتك قلت ان دخل على بيتى قال فادخل مسجدك واصنع هكذا وقبض
على الكوع وقل ربى الله حتى تموت وكان فى الصحابة عشرة الاف فما خفت
ايام الفتنة اكثر من اربعين رجلا وجلس طاوس فى بيته فقيل له فى ذلك
فقال فساد الزمان وحيف الائمة ولما بنى عروة قصره بالعقيق لزمه
ولم يخرج فقيل له لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله
قال رايت مساجدكم لاهية واسواقكم لاغية والفاحشة فى فجاجكم غالبة

الكوع طرف الزند الكف
يلى الابهام من

وفيما

وفيما هنالك عما انتم فيه عافية فاذن الحذر من الخصومات ومقارفات
الفتن احدى فوايد العزلة الفايدة الرابعة الخلاص من شر الناس فانهم
يؤذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن والتهمة ومرة بالافتراحات
والاطماع الكاذبة التى يعسر الوفاء بها وتارة بالنميمة والكذب فربما يرون
منك من الاعمال والاقوال ما لا يبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة
عندهم يدخرونها لوقت يظهر فيه فرصة للشر فاذا اعتزلتهم استغنيت
عن التحفظ عن جميع ذلك ولذلك قال بعض الحكماء لغيره اعلمك
بينا خير اس عشرة الاف درهم فقال ما هو فقال اخفض الصوت ان
نطقت بليل والنفت بالنهار قبل المقال ليس للعقول رجعة حين يبدو
بقبح يكون او بجمال والاشك ان من اختلط الناس وشاركهم فى اعمالهم
لم ينفك من حاسد وعدو فلسى الظن به وبتوهم انه يستعد لمعاداته
ولنصب المكيدة عليه ولدسيس غائله ورائه فالناس مهما اشتد
حرصهم على امر يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو وقد اشتد حرصهم
على الدنيا فلا يظنون بغيرهم الا الحرص عليها قال المتنبى اذا ساء فعل
المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم وعادى محبيه بقول

عداته واصبح في ليل من الشك مظلم وقد قتل معاشرة الاشرار تورث
سوء الظن بالاخيار وانواع الشر الذي يلقاه الانسان من معارفه
ومن يختلط به كثيرة ولسنا نطول بتفصيلها وانما ذكرناه اشارة الى
مجامعها وفي العزلة خلاص عن جميعها والى هذا اشار اكثر من اختار
العزلة فقال ابو الدرداء اخبر تقلّه وقال الشاعر من حمد الناس
ولم يبلهم ثم بلاهم ذم من يحمد وصار بالوحدة مستانسا بوحشة الاقرب
والابعد وقال ابن السماك كتب صاحب لنا المابعد فان الناس
كانوا يتداوى بهم فصاروا داء لا دواء لهم ففر منهم فرارك من الاسد
وكان بعض الاعراب يلازم شجرة ويقول هو بدم ثلاث خصال
ان سمع سبي لم يتم وان تفلت في وجهه احتمل وان عربدت معه لم يغضب
فسمع الرشيد ذلك فقال زهدني في الندماء وكان بعضهم قد لزم
المقابر والدفائن فقيل له في ذلك فقال لم ار اسلم من الوحدة ولا اوعظ
من قبر ولا جليسا امتع من دفن وكان بعضهم يريد الحج واراد اخر مصاحبته
فقال له دعنا ونحج نتعايش بستر الله اني اخاف ان نصطحب فيرى
بعضنا من بعض ما يمقت عليه وهذه اشارة الى فائدة اخرى في العزلة

وهو

وهو بقاء الستر على الدين والمروة والاخلاق والفقر وسائر العورات
وقد مدح الله سبحانه المتعففين فقال يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف
وقال الشاعر ولا عار ان زالت عن الحر نعمة ولكن عارا ان يزول التجمل
ولا يخلو الانسان في دينه ودنياه واخلاقه وافعاله عن عورات الاولى
في الدين والدنيا سترها ولا تبقى السلامة مع انكشافها وقال ابو الدرداء
كان الناس ورقا لا شوك فيه والناس اليوم شوك لا ورق فيه
واذا كان هذا حكم زمانه وهو في اخر القرن الاول فلا ينبغي ان تشك
في ان الامر شر وقيل اقل من معرفة الناس فان التخلص منهم شديد
ولا احسب رايت ما اكره الا ممن عرفت وقال بعضهم جئت الى مالك بن
دينار وهو قاعد وحده واذا كلب قد وضع حنكه على ركبته فذهبت
اطرده فقال لي دعه يا هذا هذا لا يغرّ ولا يوذي وهو خير من الجليس
السوء وقيل لبعضهم ما حملك على ان تعتزل الناس قال خشيت
ان اسلب ديني ولا اشعر وهذا اشارة الى مسارقة الطبع من اخلاق
القرين السوء وقال ابو الدرداء اتقوا الله واحذروا الناس فذرهم
ما ركبوا طهر بعير الا ادبروه ولا ظهر جواد الا عقروه ولا قلب مؤمن الا

خربوه وقال بعضهم اقلل المعارف فانه اسلم لدينك وقلبك واخف
لسقوط الحقوق عنك لانه كلما كثر المعارف كثرة الحقوق وعسر
القيام بالجميع وقال بعضهم انكر من عرف ولا تعرف الى من لا تعرف
الفايدة الخامسة ان ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن
الناس فاما انقطاع طمع الناس ففيه كل الجدوى فان رضاء الناس
غاية لا يدرك فاستغال المرء باصلاح نفسه اولى ومن اهون
الحقوق واليسرها حضور الجنايز وعيادة المرضى وحضور الولايم و
الاملاكات وفيها تضييع الاوقات والتعرض للافات ثم قد يعوق
عن بعضها عايق ويستقبل فيها معاذير ولا يمكن اظهار كل الاعذار
فيقولون مقت بحق فلان وقصرت في حقي ويصير ذلك سبب عداوة
فقد قيل من لم يعد مريضا في وقت العيادة استحى موته خيفة
من تخجيله اذا صح على تقصيره ومن عم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنهم
كلهم ولو خصص استوحشوا وتعميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه المتجرد
لطول الليل والنهار فكيف من له مهم يشغله في دين او دنيا وقد قيل كثرة
الاصدقاء كثرة الغرماء وقال ابن الرومي عد رجلا من صديقك استفاد

فلا تستكثرن من الصحاب فان الداء اول ما تراه تكون من الطعام
او الشراب وقيل اصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام وامانة طمعك
طمعك عنهم فهو ايضا فايدة جليلة جزيلة فان من نظر الى زهرة الدنيا وزينتها
تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه ولا يرى الا الخيبة في اكثر الاطماع
فيتاذى به وبها اعتزل لم يشاهد واذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع
ولذلك قال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم وقال صلى الله
عليه واله انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر
ان لا تزدروا نعمة الله عليكم وقال عون بن عبد الله كنت اجالس الاغنياء
فلم ار شيئا مغموما كنت ارى ثوبا احسن من ثوبي ودابة افره من دابتي فجالست
الفقراء واستراحت وحكي ان المزني خرج من باب جامع الفسطاط و
قد اقبل ابن عبد الحكم في موكبه فبهره ما راى من حاله وحسن هيئته
فتلا قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون ثم قال بلى اصبرنا
وارضى وكان فقيرا مقلا فالذي هو في بيته لا يبتلى بمثل هذه الفتنة
فان من شاهد زينة الدنيا فاما ان تهوى دينه وتقينه فيصير
فيحتاج الى ان يتجرع مرارة الصبر وهو امر من الصبر او تنبعث رغبته فيها

في طلب الدنيا فهلك هلاكا مؤبدا اما في الدنيا فبالطمع الذي يخيب
في اكثر الاوقات فليس كل من يطلب الدنيا يتيسر له واما في الاخرة فبانشغاله
متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب اليه ولذلك قال ابن الاعرابي اذا
كان باب الذل من جانب الغنى سموت الى العلياء من جانب الفقر اشار
الى ان الطمع في الحال يوجب ذلا **الفايدة السادسة** الخلاص من مشاهدة
الثقلاء والحمقى ومقاساة خلقهم واخلاقهم فان رؤية الثقيل هو العمى الاصغر
وقيل للاعمش بم عمشت قال من النظر الى الثقلاء ويحكى انه دخل عليه
ابو حنيفة فقال له في الخبر من سلب الله كريمتيه عوضه عنهما ما هو خير
منهما فما الذي عوضك فقال في معرض المطايبة عوضني عنهما انه كفاني
رؤية الثقلاء وانت منهم وقال ابن سيرين سمعت رجلا يقول نظرت
الى ثقيل مرة فغشي علي وقال جالينوس لكل شئ حمى وحمى الروح النظر
الى الثقلاء وهذه الفوائد ما سوى مشغلة بالمقاصد الدينية الاولية
ولكنها يتعلق ايضا بالدين فان الانسان مهما نادى بروية ثقيل لم يلبث
ان يغتابه وان يستنكر ما هو صنع الله واذا نادى من غيره بغيبة او
سوء ظن او محاسدة او نميمة او عنف ذلك لم يصبر عن مكافاته وكل ذلك

يخرج

يخرج الى فساد الدين وفي العزلة سلامة عن جميع ذلك فليفهم **آفات العزلة**
اعلم ان من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد من الاستعانة
بالغير ولا تحصل ذلك الا بالمخالطة فكلما استفاد من المخالطة يفوت
بالعزلة وفوات من آفات العزلة فانظر الى فوايد المخالطة والدواعي اليها
ما هي وهي العلم والتعلم والنفع والانتفاع والتاديب والتادب والا
والاناس والانالة الثواب ونيله في القيام بالحقوق واعتياد التواضع
واستفادة التجارب من مشاهدة الاحوال والاعتبار بها فلنفصل ذلك
فانها من فوايد المخالطة وهي سبعة **الفايدة الاولى** التعلم والتعليم
وقد ذكرنا فضلهما في كتاب العلم وهما من اعظم العبادات في الدنيا ولا
يتصور ذلك الا بالمخالطة الا ان العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة
وبعضها ضروري في الدنيا فالمحتاج الى التعلم ما هو فرض عليه عاص
بالعزلة فان تعلم الفرض وكان لا يبتغي منه الخوض في العلوم وراء
الاشتغال بالعبادة فليعتزل وان كان يقدر على التبحر في علوم الشرع
والعقل فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الخسران ولهذا قال النخعي وغيره
تفقه ثم اعتزل ومن اعتزل قبل التعلم فهو في الاكثر مضيع او قانع بشوب

الاستيناس

الاولين م

او فكر في هوس وغاينه ان يستغرق الاوقات باوراد يستوعبها
فلا ينفك في اعماله بالبدن والقلب عن انواع من الغرر يخيب سعيه و
يبطل عمله من حيث لا يدري ولا ينفك في اعتقاده في الله تعالى وصفاته
عن اوهام يتوهمها وبانس بها وعن خواطر فاسدة يعتريه فيها فيكون
في اكثر احواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد فالعلم هو
اصل الدين فلا اختير في عزلة العوام والجهال اعني من لا يحسن العبادة
في الخلوة ولا يعرف جميع ما يلزمه فيه فمثال النفس مثال مريض يفتقر
الى طبيب يتلطف ليعالجه فالمريض الجاهل اذا خلى بنفسه عن الطبيب
قبل ان يتعلم الطب تضاعف ضرره لا محالة بمرضه فلا يليق العزلة الا
بالعالم واما التعلم ففيه ثواب عظيم مهما صحت نية المتعلم والمعلم
ومهما كان القصد اقامة الجاه والاستكثار بالاصحاب والاتباع
فهو هلاك الدين وقد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم وحكم العالم في
هذا الزمان ان يعتزل ان اراد سلامة دينه فانه لا يرى مستفيدا
يطلب فايدة لدينه بل لا طالب الا لكلام مزخرف يستمال به العوام
في معرض الوعظ او الجدال معتقد موصل به الى اغراض الاقران ويتقرب

به الى السلطان ويستعمل في معرض المنافسة والمباهات واقرب
علم مرغوب فيه المذهب ولا تطلب غالبا الا للتوصل الى التقدم
على الامثال وتولي الولايات واجتلاب الاموال وهيهات يقتضي الدين
والحزم الاعتزال عنهم فان صودف طالب الله ومتقرب بالعلم الى الله فاكبر
الكبائر الاعتزال عنه وكتمان العلم منه وهذا لا يصادف في بلاد الا كبير
اكثر من واحد او اثنين او ثلثة ان صودف ولا ينبغي ان يغتر الانسان
بقول سفيان تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله وان
الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون الى الله فانظر الى اواخر اعمار الاكثرين
منهم واعتبرهم انهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبين عليها او
راغبين عنها زاهدين فيها وليس الخبر كالمعاينه واعلم ان العلم الذي
اشار اليه سفيان هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الانبياء
والصحابة فان فيها التخويف والتحذير وهو سبب لاثارة الخوف من الله
فان لم يؤثر في الحال اثر في المال فاما الكلام والفقه المجرد الذي يتعلق
بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات لا يرد الراغب فيه للدنيا
الى الله بل الا نزال متمادبا في حرصه الى اخر عمره ولعلما اودعناه هذه

الكتب ان تعلمه المتعلم رغبة فى الدنيا فيجوز ان يرخص فيه اذ يرجى
ان يتزجر به فى اخر عمره فانه مشحون بالتخويف بالله وبالترغيب فى الاخرة
والتحذير من الدنيا وذلك مما يصادف فى الاحاديث وتفسير القران
ولا يصادف فى كلام الفقه فلا ينبغى ان يخادع الانسان نفسه فان
المفتقر العالم بتقصيره اسعد حالا من الجاهل المغرور او المتجاهل المغبون
فكل عالم اشتد حرصه على التعلم يوشك ان يكون غرضه الجاه والقبول
وحظه تلذذ النفس فى الحال باستشعار الادلال على الجهال والتكبر
عليهم فافة العلم الخيلاء كما قال صلى الله عليه واله وقد نبهنا على ذلك
فى كتاب العلم والحزم الاحتراز بالعزلة وترك الاستكثار من الاصحاب
ما امكن بل الذى يطلب للدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب لمن كان
عاقلا فى هذا الزمان ان يتركه فلقد صدق ابو سليمان الخطابى حيث
قال دع الراغبين فى صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جاه
اخوان العلانية اعداء السر اذا قلوك تملقوك واذا غبت عنهم سبقوك
من اتاك كان عليك رقيبا واذا خرج كان عليك خطيبا اهل نفاق
ونمية وغل وخديعة فلا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم بل الجاه

سبع الذئب الغنم
نزتها ص

والمال

والمال وان يتخذوك سلما الى اوطارهم وحمارا فى حاجاتهم ان قصرت
غرض ص فى اغراضهم كانوا اشد اعدائك ثم يعدون تردهم اليك دالة عليك
الدلال
وسرونه حقا واجبا الدباب ويعرضون عليك ان تبذل عرضك وهل
ودينك لهم فتعادى عدوهم وتنصر قرنهم وخادمهم وولیتهم وتنتهض
لهم سفيها وقد كنت فقيها وتكون لهم تابعا خسيسا بعد ان كنت
متبوعا رئيسا ولذلك قيل اعتزال العامة مروة تامة فهذا معنى كلامه
وان خالف بعض الفاظه وهو حق وصدق فانك ترى المدرس
فى رزق دايم ومحنة لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد اليه فكانه يهدى
تحفة اليه فترى حقه واجبا عليه وربما لا يختلف اليه مالم يتكفل
برزق له على الادوار ثم المدرس المسكين قد يعجز عن القيام ببذل
من ماله فلا يزال يتردد الى ابواب السلاطين ويقاسى الذل والشدائد
مقاساة الذليل المهين حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام
ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتهنه ويستذله الى ان يسلم
اليه ما يقدره نعمة مستانفة من عنده عليه ثم يبقى فى مقاساة
القسمة على اصحابه ان سوى بينهم مقته المبرزون وينسبوه الى الحمق

وقلة التمييز والقصور عن درك مصادفات الفضل والقيام في مقام
الخوف بالعدل وان فاوت بينهم سلقه السفهاء بالسنة حداد و
ثاروا عليه ثوران الأساود والآساد فلا نزال في مقاساتهم في الدنيا
وفي مظالم ما ناخذه ويفرقه في العقبى والعجب انه مع هذا البلا كله
تمينه نفسه بالاباطيل وتدليسه بحبل الغرور ويقول له لا تقتر عن
ضيعك فانما انت تفعله مريد وجه الله ومذيع شرع رسول الله صلى الله عليه وآله
وناشر علم دين الله وقائم بكفاية طلاب العلم من عباد الله واموال السلاطين
لا مالك لها وهي مرصدة للمصالح واي مصلحة اكبر من تكثير اهل العلم
فهم نظام الدين وبقوى اهله ولو لم يكن ضحكة للشيطان لعلم بادنى
تامل ان فساد الزمان لا سبب له الا كثرة امثال اولئك الفقهاء الذين
ياكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحلال والحرام فيلحظهم اعين الجهال
ويستجرؤن على المعاصي باستجرائهم اقتداء بهم وافتقاء لآثارهم ولذلك
قيل ما فسدت الرعية الا بفساد الملوك وما فسد الملوك الا بفساد
العلماء فنعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء الدفين الذي ليس له دواء

الفائدة الثانية النفع والانتفاع اما الانتفاع بالناس فبالكسب والمعاملة

وذلك لا ينافي الا بالمخالطة والمحتاج اليه مضطر الى ترك العزلة فيقع في محرمات
من المخالطة ان طلب موافقة الشرع فيه كما ذكرنا في كتاب الكسب وان
كان معه ما لو اكتفى به قانعا لا متنعه فالعزلة افضل له اذا اندفعت طرق
المكاسب في الاكثر الا من المعاصي الا ان يكون غرضه الصدقة بكسبه
فاذا اكتسب من وجهه وتصدق فهو افضل من العزلة للاشتغال
بالنافلة فليس بافضل من العزلة للاشتغال بالتحقق في معرفة الله ومعرفة
علوم الشرع ولا من الاقبال بكنه الهمة على الله والتجرد به لذكر الله اعني من
حصل له انس بمناجاة الله عن كشف وبصيرة لا عن تعبر اوهام وخيالات
فاسدة واما النفع فهو ان نفع الناس اما بماله او ببدنه فيقوم
بحاجاتهم على سبيل الحسبة في النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب
وذلك لا ينال الا بالمخالطة من قدر عليه مع القيام بحدود الشرع
فهو افضل من العزلة ان كان لا يشتغل في عزلته الا بنوافل الصلاة
والاعمال البدنية وان كان ممن انفتح له طريق العمل بالطلب بدوام ذكر
او فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة **الفائدة الثالثة** التاديب والتاذب
ونعني به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل اذاهم كسرا للنفس

وقهر الشهوات وهي من الفوايد التي يستفاد بالمخالطة وهو افضل
من العزلة في حق من يتهذب بعد اخلاقه ولم تذعن لحدود الشرع
شهوانة وذلك مما يحتاج اليه في بداية الارادة فبعد حصول الاذعان
ينبغي ان يفهم ان الدابة لا يطلب من رياضتها عين رياضتها بل المراد بها
ان يتخذ مركبا يقطع به المراحل ويطوى على ظهره الطريق فالبدن هو
مطية القلب يركبها ليسلك بها طريق الاخرة وفيها شهوات ان لم يكسرها
جمحت به في الطريق فمن اشتغل طول عمره بالرياضة كان كمن اشتغل
طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها فلا يستفيد بها الا الخلاص في الحال
من عضها ورفسها ورمحها وهي لعمري فايدة مقصودة ولكن مثلها مثل
من البهيمة المبنية والدابة تراد لفايدة يحصل من حيوتها فكذلك الخلاص
من الم الشهوات في الحال يحصل بالنوم والموت فلا ينبغي ان يقنع بها
كالراهب الذي قيل له يا راهب فقال ما انا براهب وانما انا كلب حبست
نفسي حتى لا اعقر الناس وهذا احسن بالاضافة الى من يعقر الناس
ولكن ينبغي ان لا يقتصر عليه فان من قتل نفسه ايضا لم يعقر الناس
بل ينبغي ان يتشوف الى الغاية المقصودة لها ومن ثم ذلك واهتدى

الى

الرفس الضرب بالرجل
رمحها رمس اذا ضربه برجله

الى الطريق وقدر على السلوك استبان ان العزلة اعون عليه من المخالطة
والافضل بمثل هذا الشخص المخالطة اولا والعزلة اخرا واما التاديب فانما
نعني به ان يرجع عنه وهو صال العلم مع المتعلم وبتطرف اليه من دقايق
الافات والرياءات مر ذكره في كتاب العلم فينبغي ان يقتبس ما يتيسر من الخلوة
بما يتيسر له من المخالطة وتهذيب القوم وليقابل احدهما بالاخرى و
ليوثر الافضل وذلك يدرك بدقيق الاجتهاد ويختلف بالاحوال والاشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفي ولا اثبات **الفايدة الرابعة**
الاستيناس والايناس وهو غرض من يحضر الولايم والدعوات
ومواضع المعاشرة والانس وهذا يرجع الى حظ النفس في الحال وقد يكون
ذلك على وجه حرام بموانسة من لا يجوز موانسته او على وجه مباح
وقد يستجب ذلك لامر الدين وذلك فمن يستانس بمشاهدة احواله
واقواله في كلامه بالمشايخ الملازمين لسمة التقوى وقد يتعلق بحظ
النفس ويستحب اذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعي النشاط
في العبادة فان القلوب اذا اكرهت عميت وربما كان في الوحدة
وحشة وفي المجانسة انس يروح القلب فهي اولى اذا الرفق في العبادة

وقال ع لبعض بلاد الانس اوهل يفسد الناس

من حزم العباد ولذلك قال صلى الله عليه وآله ان الله لا يمل حتى تملوا
وهذا امر لا يستغنى عنه فان النفس لا تالف الحق على الدوام ما لم تروح
وفى تكلفها الملازمة تتغير ومن لم يشاهد الدرس يغلبه فان الدرس
منس والابقاء فيه يرفق واب المستبصر ولذلك قال ابن عباس
لولا مخالفة الوسواس لم اجالس الناس فلا يستغنى المعتزل ابدا عن
رفيق يستانس بمشاهدته ومحادثته فى اليوم والليلة ساعة فليجتهد
فى طلب من لا يفسد فى ساعته تلك سائر ساعاته فقد قال صلى الله
عليه وآله المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل ويحرص ان يكون
حديثه عند اللقاء امور الدنيا وحكاية احوال القلب وشكواه وقصوره
عن الثبات على الحق والاهتداء الى الرشد ففى ذلك متنفس ومستروح
للنفس ومنه مجال رحب لكل مشغول باصلاح نفسه فانه لا ينقطع
شكواه ولو عمر اعمارا طويلة والراضى عن نفسه مغرور قطعا فهذا النوع
من الاستيناس فى بعض اوقات النهار مما يكون افضل من العزلة
فى حق بعض الاشخاص فليتفقد فيه احوال القلب واحوال المجالس اولا
ثم المجالس

الفائدة الخامسة فى نيل الثواب وانالته اما النيل فبحضور الجنائز

وعيادة المرضى وحضور العيد اما حضور الجمعة فلا بد منه وحضور
الجماعة فى سائر الصلوات ايضا رخصة فى تركه الا لخوف ضرر ظاهر
يقاوم ما يفوت من فضيلة الجماعة وزيد عليه وذلك لا يتفق الا نادرا
وكذلك فى حضور الاملاكات والدعوات ثواب من حيث انه ادخال
سرور على قلب مسلم واما انالته فهو ان يفتح الباب ليعوده الناس او
ليعزوه فى المصائب او لهنيئه على النعم فانهم ينالون به ثوابا وكذلك اذا
كان من العلماء واذن لهم فى الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان هو بالتمكين
سببا فانه فينبغى ان يزن ثواب هذه المخالطات بافاتها التى ذكرناها
وعند ذلك قد ترجح العزلة وقد ترجح المخالطة فقد حكى عن جماعة من
السلف ترك اجابة الدعوات وعيادة المرضى وحضور الجنائز بل كانوا
احلاس بيوتهم لا يخرجون الا الى الجمعة او زيارة القبور وفارق بعضهم
الامصار والتجأ الى قلل الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل **الفائدة**
السادسة من المخالطة التواضع فانه من افضل المقامات ولا يقدر
عليه فى الوحدة وقد يكون الكبر سببا فى اختيار العزلة فقد روى
فى الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف للثمانية وستين صحفا

في الحكمة حتى ظن انه قد نال عند الله منزلة فاوحى الله الى نبي زمانه
قل لفلان انك قد ملأت الارض نفاقا واني لا اقبل من نفاقك شيئا
قال فتخلى وانفرد في سرب تحت الارض وقال الآن بلغت محبة ربي
فاوحى الله تعالى الى نبيه قل له لم تبلغ رضائي قال فدخل الاسواق وخالط
العامة وجالسهم وواكلهم فاكل الطعام بينهم ومشى في الاسواق معهم فاوحى الله
اليه قل له الان قد بلغت رضائي فكم من معتزل في بيته وباعثه التكبر
ومانعه عن المحافل ان لا يوقر ولا يقدم او رى التورع عن مخالطتهم
ارفع لمحله وابقى لطراوة ذكره بين الناس وقد يعتزل خيفة من ان
يظهر مقابحه لو خالط الناس فلا تعتقد فيه الزهد والاستغال
بالعبادة فيتخذ من البيت سترا على مقابحه ابقاء على اعتقاد الناس
في زهده وتعبده من غير استغراق وقت في الخلوة بذكر او فكر وعلامة
هؤلاء انهم يحبون ان يزاروا ولا يحبون ان يزوروا ويفرحون بتقرب
العوام والسلاطين اليهم واجتماعهم على باب احدهم وطريقه وتقبيلهم
يده على سبيل التبرك ولو كان الاستغال بنفسه هو الذي يبغض
اليه المخالطة وزيارة الناس لبغض اليه زيارتهم ليس مشغولا مع نفسه

بذكر الله

بذكر الله فاعتزاله عن الناس سببه شدة اشتغاله بالناس لان
قلبه يخرج للالتفات الى نظرهم اليه بعين الوقار والاحترام والمنزلة
بهذا السبب جهل من وجوه احدها ان التواضع والمخالطة لا ينقص
من منصب من هو كبير بعلمه او دينه اذ كان على علمه يحمل الثمر والمالح
في نوبه ويقول لا ينقص الكامل من كماله ما جر من نفع الى عياله وكان
حذيفة وابي وابن مسعود يحملون حزمة الحطب وجراب الدقيق وغيره
على اكتافهم وكان سيد المرسلين صلى الله عليه وآله يشتري الشيء
فيحمله الى بيته بنفسه فيقول له صاحبه اعطني احمله فيقول صاحب
المتاع احق بحمله وكان الحسن بن علي عليهما السلام يمر بالسؤال وبين ايديهم
كسر فيقولون هلم الى الغداء يا ابن رسول الله وهم جلوس على الطريق
فكان ينزل على الطريق ويأكل معهم ويقول ان الله لا يحب المستكبرين
الوجه الثاني ان الذي شغل نفسه بطلب رضاء الناس عنه وتحسن
اعتقادهم فيه مغرور لانه لو عرف حق المعرفة علم ان الخلق لا يغني عنه
من الله شيئا وان ضره ونفعه بيد الله فلا نافع ولا ضار الا الله
عز وجل وان من طلب رضاء الناس وبجتهم بسخط الله سخط الله عليه

واسخط عليه الناس بل رضاء الناس غاية لا تدرك فرضاء الله تعالى
اولى بالطلب ولذلك قيل ليس الى السلامة من الناس سبيل فانظر الى
ما يصلحك فافعله وقيل من راعب الناس مات غما وفاز بالراحة الجسور
ونظر سهل الى واحد من اصحابه فقال اعمل كذا وكذا فقال يا استاذ لا
اقدر عليه لاجل الناس فالتفت الى اصحابه وقال لا ينال عبد حقيقة من
هذا الامر حتى يكون باحد وصفين عبد اسقط الناس من عينه فلا
يرى في الدنيا الا خالقه وان احدا لا يقدر ان يضره ولا ينفعه وعبد
سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي باي حال يرونه وقال بعضهم ما من
احد الا له محب ومبغض فاذا كان كذلك فكن مع اهل الطاعة وقال موسى
على نبينا وعليه السلام يا رب احبس عني السنة الناس فقال هذا شيء لم اصنعه
لنفسي فكيف افعله لك واوحى الله تعالى الى العزير ان لم تطب نفسا بان
اجعلك علكا في افواه الماضغين لم اكتبك عندي من المتواضعين
فاذن من حبس نفسه في البيت ليحبس اعتقادات الناس واقوالهم فيه
فهو في عمى ظاهر حاضر في الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون
فان لا يستحب العزلة الا المستغرق الاوقات بربه ذكرا وفكرا وعبادة

وعلما بحيث لو خالط الناس لضاعت اوقاته او كدرت اقانه وتشوشت
عليه عباداته فهذه عوائل خفية في اختيار العزلة ينبغي ان يتفقى فانها
مهلكات في صورة منجيات **الفائدة السابعة** التجارب فانها يستفاد
من مخالطة الخلق ومجاري احوالهم والعقل الغريزي ليس كافيا في تفهم
مصالح الدين والدنيا وانما يفيدها التجربة والممارسة ولا خير في عزلة
من لم يحنكه التجارب فالصبي اذا اعتزل بقي غمرا جاهلا بل ينبغي ان يشتغل
بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج اليه من التجارب ويكفيه ذلك
ويحصل بقية التجارب بسماع الاحوال فلا يحتاج الى المخالطة ومن اهم
التجارب ان يجرب نفسه واخلاقه وصفات باطنه وذلك لا يقدر
عليه في الخلوة فان كل مجرب بالخلا يستريح كل غضوب او حسود او حقود
اذا خلى ونفسه لم يتنفس منه خبثه وهذه الصفات مهلكات في نفسها
يجب قلعها او قهرها ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحركها فمثال القلب
المشحون بهذه الخبائث مثال دمل ممتلئ بالقيح والمدة وقد لا يحس صاحبه
بالمه ما لم يتحرك او يمسه غيره فان لم يكن له يد يمسه او عين تبصر صورته
ولم يكن معه من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل في نفسه

واعتقد نقده ولكن لو حركه محرك او اصابه مسترط حجام انفجر منه القيح
وفار فوران الشئ المختنق المحتقن اذا حبس عن الاسترسال فكذلك
القلب المشحون بالبخل والحقد والغضب والحسد وسائر الاخلاق
الذميمة انما ينفجر منه خبائثه اذا حرك وعن هذا كان السالكون
لطريق الاخرة الطالبون لتزكية القلوب يجربون انفسهم فمن كان
يستشعر في نفسه كبرا كان يحمل قربة ماء على ظهره من الناس او حزمة
حطب على رأسه ويتردد في الاسواق ليجرب به نفسه فان غوائل النفس
ومكايد الشيطان خفية قلما يتفطن لها ولذلك حكي عن واحد انه
قال اعدت صلوة ثلثين سنة مع اني كنت اصليها في الصف الاول
ولكن تخلفت يوما لعذر فما وجدت موضعا في الصف الاول فوقعت
في الصف الثاني فوجدت نفسي تستشعر خجلة من نظر الناس الي وقد سبقت
بالصف الاول فعلمت ان جميع صلوتي كانت مشوبة بالرياء ممزوجة بلذة
نظر الناس الي ورؤيتهم اياي في زمرة السابقين الى الخير فالمخالطة لها
فايدة ظاهرة في استخراج الخبائث واظهارها ولذلك قيل السفر يسفر
عن الاخلاق فانه نوع من المخالطة دايمة وسيأتي غوائل هذه المعاني

ودفائنها في ربع المهلكات فان الجهل بها يحبط العمل الكثير وبالعلم بها
يزكو العمل القليل ولولا ذلك لما فضل العلم على العمل اذ يستحيل ان يكون
العلم بالصلوة ولا يراد الا للصلوة افضل من الصلوة فانا نعلم ان ما يراد
لغيره فذلك الغير اشرف منه وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العابد
حتى قال صلى الله عليه واله فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل
من اصحابي فعنى بتفضيل العلم يرجع الى ثلثة اوجه احدها ما ذكرناه والثاني
عموم نفعه اذ يتعدى فايدته والعمل لا يتعدى والثالث ان مراد بالعلم
بالله وبصفاته وافعاله فذلك افضل من كل عمل بل مقصود الاعمال
صرف القلوب من الخلق الى الخالق لتتبعث بعد الانصراف اليه
لمعرفته ومحبته فالعمل وعلم العمل مراد لهذا العلم وهذا العلم غاية المريد
والعمل كالشرط له والية الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه فالكلم الطيب هو هذا العلم والعمل كالحمال الرافع له الى
مقصده فيكون المرفوع افضل من الرافع وهذا كلام معترض لا يليق
بهذا الكلام فلنرجع الى المقصد **فصل** اذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها
تحققت ان الحكم عليها مطلقا بالتفضيل خطا وابانا خطا بل ينبغي ان

ينظر الى الشخص وحاله والى خلطته وحاله والى الباعث على مخالطته
والى الفائت بسبب مخالطته من هذه الفوائد المذكورة ويقاس الفائت
بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الافضل وفصل الخطاب فيه ما قيل
ان الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء
السوء فكن بين المنقبض والمنبسط فكذلك يجب الاعتدال في المخالطة
والعزلة ويختلف ذلك بالاحوال وبملاحظة الفوائد والافات يتبين
الافضل هذا هو الحق الصريح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وانما هو اخبار
كل واحد عن حالة خاصة هو فيها فلا يجوز ان يحكم بها على غيره المخالف له
في الحال والفرق بين العالم والصوفي في ظاهر العلم يرجع الى هذا وهو ان
الصوفي لا تكلم الا عن حاله فلا جرم يختلف جوابهم في المسائل والعالم
هو الذي يدرك الحق على ما هو عليه ولا ينظر الى حال نفسه فيكشف الحق في
ذلك مما لا يحلف فان الحق واحد ابدا والقاصر عن الحق كثير لا ينحصر
ولذلك سئل الصوفية عن الفقر فما من واحد الا واجاب بجواب اخر
وكل ذلك حق بالاضافة الى حاله وليس بحق في نفسه اذ الحق لا يكون الا
واحدا ابدا ولذلك لا ترى اثنين منهم يتفقان في حد هما لصاحبه قد ما

في

في التصوف او يثني عليه بل كل واحد يدعي انه الواصل الى الحق والواقف عليه
لان اكثر تردد هم على مقتضى الاحوال التي تعرض لقلوبهم فلا يستغلون
الا بانفسهم ولا يلتفتون الى غيرهم ونور العلم اذا اشرف احاط بالكل
وكشف الغطاء ورفع الاختلاف فهذا ما اردنا ان نذكره في فضيلة العزلة
والمخالطة **فصل** فان قلت فمن اثر العزلة وراها افضل له واسلم فما اذا
في العزلة فنقول انما يطول النظر في اداب المخالطة وقد ذكرناها في كتاب
اداب الصحبة واما اداب العزلة فلا يطول فينبغي للمعتزل ان ينوي بعزلته
كف شر نفسه عن الناس اولا ثم طلب السلامة من شر الاشرار ثانيا ثم
الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا ثم التجرد لتهيئة
الهمة لعبادة الله رابعا فهذه اداب نيته ثم ليكن في خلوته مواظبا على العلم
والعمل والذكر والفكر ليجتني ثمرة العزلة وليمنع الناس عن ان يكثروا
غشيانه وزيارته فيتشوش وقته وليكف عن السؤال عن اخبارهم
وعن الاصغاء الى ما راجف البلد وما الناس مشغولون به فان كل
ذلك ينغرس في القلب حتى ينبعث في اثناء الصلوة او الفكر من حيث
لا يحتسب فوقوع الاخبار في السمع كوقوع البذر في الارض فلا بد وان ينبت

وتفرغ عروقها واغصانها ويتداعى بعضها الى بعض واحد مهمات العزلة
قطع الوساوس الصارفة عن ذكر الله والاحتراز بنا بيع الوساوس واصولها
ولتقنع باليسير من المعيشة ولا اضطرام التوسع الى الناس واحتاج الى
مخالطتهم ولكن صبورا على ما تلقاه من الجيران وليسد سمعه عن الاصغاء
الى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة او قدح فيه بترك الخلطة فان
كل ذلك مؤثر في القلب ولو مدة يسيرة وحال استغال القلب به لا بد
ان يكون واقفا عن سيرة في طريق الاخرة فان السير اما بالمواظبة
على ورد وذكر مع حضور القلب واما بالفكر في صفات الله وجلاله
وافعاله وملكوت سمواته واما بالتامل في دقايق الاعمال ومفسدات
القلوب وطلب طرق التخلص منها وكل ذلك يستدعي الفراغ والاصغاء
الى جمع ذلك مما يشوش القلب في الحال وقد يجدد ذكره في دوام الذكر
من حيث لا ينتظر ولكن له اهل صالح او جليس صالح ليستريح نفسه اليه
في اليوم ساعة عن كد المواظبة فيعينه على بقية الساعات ولا يتم
له الصبر في العزلة الا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس متمكون منه
ولا ينقطع طمعه الا بقصر الامل بان لا يعد لنفسه عمرا طويلا بل يصبح

على انه لا يمسي ويمسي على انه لا يصبح فبهذا يسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم
على الصبر عشرين سنة ولو قدر اخى الاجل وليكن كثير الذكر للموت
ووحدة القبر بها ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق ان من لم يحصل في
قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يانس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت
وان من انس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت انسه اذ لا يهدم الموت
محل الانس والمعرفة بل يبقى حيا بمعرفة الله وانسه فرحا بفضل الله تعالى
عليه ورحمته كما قال تعالى في الشهداء ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتيهم الله من فضله وكل
مجرد لله في جهاد نفسه فهو شهيد مما ادركه الموت فالمجاهد من جاهد
نفسه وهواه كما صرح به رسول الله صلى الله عليه واله والجهاد الاكبر
جهاد النفس كما قال للصحابة رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر

هذا اخر كتاب العزلة من الحجة البيضاء في احياء الاحياء

تم في اواخر يوم الاربعاء ثامن وعشرين من شهر
ربيع الاول من شهور سنة السادسة عشر من الالف
الثانية بعد الالف الهجرية على يد الحقير
عباد الله احمد التبريزي
الحمد لله اولا
واخرا

كتاب اخلاق النبوة واداب المعيشة وهو الكتاب التاسع من ربع العادات من المحجة البيضاء فى احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذى خلق كل شئ فاحسن خلقه وبرئيه وادب بنيته محمدا صلى الله عليه واله فاحسن تاديبه وزكى اوصافه واخلاقه ثم اتخذه صفيه وحبيبه ووفق للاقتداء به من اراد تهذيبه وحرض على التخلق باخلاقه من اراد تحبيبه وصلى الله على محمد سيد المرسلين وعلى اله الطيبين الطاهرين وسلم كثيرا **اما بعد** فان اداب الظواهر عنوان اداب البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والاعمال نتيجة الاخلاق والاداب نتائج المعارف وسرائر القلوب هى مغارس الافعال وشمائلها وانوار السرائر هى التى تشرف على الظواهر وتزينها وتحليها وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساوءها ومن لم يخشع قلبه لم يخشع جوارحه ومن لم يكن صدره مشكوة الانوار الالهية لم يفض على ظاهره جمال الاداب النبوية ولقد كنت عزمت على ان اختم ربع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لاداب المعيشة لئلا اشق على طالبها استخراجها

من

من جميع هذه الكتب ثم رايت كل كتاب من ربع العبادات وربع العادات قد اتى على جملة من الاداب فاستثقلت تكريرها واعادتها فان ظل الاعادة يثقل والنفوس مجبولة على معادات العادات فرايت ان اقتصر فى هذا الكتاب على ذكر اداب رسول الله صلى الله عليه واله واخلاقه المأثورة عنه بالاسناد فاسردها مجموعة فصلا فصلا محذوفة الاسناد ليجتمع فيه مع جمع الاداب تجديد الايمان وتاكيده بمشاهدة اخلاقه الكريمة التى تشهد احادها على القطع بانه اكرم خلق الله تعالى واعلاهم رتبة واجلهم قدرا فكيف بمجموعها ثم اضيف الى ذكر اخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التى صحت بها الاخبار ليكون ذلك معرفا مكارم الاخلاق والشيم ومنتزعا عن اذناب الحاسدين لنبوته صمام الصمم والله تعالى ولى التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين فى الاحوال والاخلاق وسالم معالم الدين فانه دليل المتحيرين ومجيب دعوة المضطرين ولنذكر قبله الابيات تاديب الله اياه بالقرآن ثم بيان جوامع من محاسن اخلاقه ثم بيان جملة من ادابه واخلاقه ثم بيان كلامه وضحكه ثم بيان اداب واخلاقه فى الطعام ثم بيان اداب واخلاقه فى اللباس ثم بيان عفوه

مع القدرة ثم بيان اغضائه عما كان يكرهه ثم بيان سخاوته وجوده
ثم بيان شجاعته وبأسه ثم بيان تواضعه ثم بيان صورته وخلقته ثم
ثم بيان جوامع معجزاته وابانه صلى الله عليه واله اقول وانا ازيد
فصلا اخر بعد ذكر بيان صورته وخلقته في بيان خلقه وخلقه و
سيرته مع جلسائه برواية الحسن والحسين عليهما السلام فيصير اربعة عشر فصلا
بيان تاديب الله جل شانه صفته وحبيبه محمدا صلى الله عليه واله
بالقران كان صلى الله عليه واله كثير المراعاة والابتهال الى الله تعالى دائم
السؤال من الله تعالى ان يزينه بمحاسن الاداب ومكارم الاخلاق فكان
صلى الله عليه واله يقول في دعائه اللهم حسن خلقي وخلقي ويقول اللهم
جنبني منكرات الاخلاق فاستجاب الله سبحانه دعائه وفاء بقوله ادعوني
استجب لكم فانزل عليه القران وادبه به فكان خلقه القران قال
سعد بن هشام دخلت على عايشة فسالتها عن اخلاق رسول الله صلى الله عليه واله
فقالت اما تقرا القران قلت بلى قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه واله
القران وانما ادبه الله تعالى بالقران بمثل قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين وقوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية وقوله تعالى

واصبر وما صبرك الا بالله وقوله واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور
وقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وقوله تعالى فاعف عنهم
واصفح ان الله يحب المحسنين وبقوله تعالى فليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان
يغفر الله لكم وقوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وبقوله تعالى
اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم
بعضا الاية ولما كسرت رباعيته يوم احد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو
يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم
فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ تاديبا له على ذلك وامثال هذا التاديب
في القران لا تحصر وهو المقصد الاول بالتاديب والتهذيب ثم منه يشرق النور
على كافة الخلق فانه ادب بالقران وادب به الخلق ولذلك قال صلى الله عليه واله
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ثم رغب الخلق في محاسن الاخلاق بما اورده
في كتاب رياضة النفس وتهذيب الخلق فلا نعيده ثم لما اكمل الله تعالى
خلقه اثنى عليه فقال وانك لعلى خلق عظيم فسبحانه ما اعظم شانه وانعم
امتنانه انظر الى عمم لطفه كيف اعطى ثم اثنى عليه فهو الذي زينه بالخلق
الكريم ثم اضاف اليه ذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم بين لرسول الله صلى الله عليه واله

ادفع بالتي هي احسن السيئة فاذا الذي بينك
وبينه عداوة كانه ولي حميم وبقوله تعالى

الخلق ثم ان رسول الله صلى الله عليه واله من الخلق ان الله يحب مكارم
الاخلاق ويبغض سفسافها وعن علي عليه السلام يا عجبا لرجل مسلم يجيئه
اخوه المسلم في حاجته فلا يرى نفسه للخير اهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا
يخشى عقابا لقد كان ينبغي له ان يسارع الى مكارم الاخلاق فانها مما
يدل على سبيل النجاة فقال لرجل اسمعته من رسول الله صلى الله عليه واله
فقال نعم وما هو خير منه لما اتي بسبايا طي وقعت جارية في السبي فقالت
يا محمد ان رايت ان تخلي عني ولا تشمت بي احياء العرب فاني بنت سيد
قومي وان ابي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجايع ويطعم الطعام
ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط انا ابنة حاتم طي فقال النبي صلى الله عليه واله
يا جارية هذه صفة المومن حقا لو كان ابوك مسلما لترحمنا عليه خلي عنها
فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق وان الله يحب مكارم الاخلاق
فقام ابو برزة من دينار فقال يا رسول الله ان الله يحب مكارم الاخلاق
فقال والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة الا حسن الاخلاق وعنه صلى الله عليه واله
ان الله تعالى حف الاسلام بمكارم الاخلاق وبحاسن الاعمال ومن ذلك حسن
المعاشرة وكرم الصنعة ولين الجانب وبذل المعروف واطعام الطعام وافشاء

السلام

المعارف الملال
ص
الرذل العيب
ص

السلام وعيادة المريض المسلم برا كان او فاجرا وتشييع الجنازة للمسلم
وحسن الجوار لمن جاورك مسلما كان او كافرا ونوقير ذي الشيبة المسلم
واجابة الداعي لدعوة الطعام والدعاء اليه والعفو والاصلاح بين الناس
والجود والكرم والسماحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس
واذهب الاسلام اللهو والباطل والغناء والمعارف كلها وكل ذي دين
وكل دخل والكذب والغيبة والبخل والشح والجفا والمكر والخديعة والنميمة
وسوء ذات البين وقطيعة الارحام وسوء الخلق والكبر والفخر والاختيال
والاستطالة والمدح والفحش والحقد والحسد والطيرة والبغي والعدوان
والظلم قال انس قلما ودع رسول الله صلى الله عليه واله نصيحة جميلة الا وقد
دعانا اليها وامرنا بها ولم يدع غشا او قال عيبا ولا شينا الا حذرناه
ونهانا عنه ويكفي من ذلك كله هذه الاية ان الله يامر بالعدل والاحسان
وايتاء ذي القربى الاية وقال معاذ اوصاني رسول الله صلى الله عليه واله
فقال يا معاذ اوصيك بانقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد واداء
الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام
وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه في القران وحب الاخرة

والجزع من الحساب وخفض الجناح واياك ان تسب حكيما او تكذب صادقا
او تطيع اثما او تعصي اماما عادلا او تفسد ارضا واوصيك باتقاء الله عند
كل حجر وشجر ومدر وان تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية
فهكذا ادب عباد الله ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاداب

بيان جملة من محاسن اخلاقه التي جمعها بعض العلماء والفقهاء والنقطها
من الاخبار فقال كان رسول الله صلى الله عليه واله اسمح الناس واشجع الناس
واعدل الناس واعف الناس لم تمس قط يده يد امراة لا يملك رقها او عصمة
نكاحها او لا تكون ذات رحم محرم منه وكان اسخى الناس لا يبيت عنده دينار
ولا درهم وان فضل ولم يجد من يعطيه ويجاه الليل لم ياو الى منزله حتى يبر منه
الى من يحتاج اليه لا ياخذ مما اتاه الله الا قوت عامه فقط من ايسر ما يجد من
التمر والشعير ويضع سايره ذلك في سبيل الله لا يسال منه احدا شيئا الا اعطاه
ثم يعود الى قوت عامه فيوثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام ان لم
يانه شيء وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة اهله ويقطع
اللحم معهن اشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه احد يجيب دعوة الحر
والعبد ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن ويكافي عليها ولا ياكل الصدقة

ولا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين يغضب لربه عز وجل ولا يغضب لنفسه
وينفذ الحق وان عاد ذلك بالضرر عليه وعلى اصحابه عرض عليه الانتصار
بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة الى الانسان واحد بن يزيد في عدد
من معه فابى وقال لا استنصر بمشرك ووجد من فضلاء اصحابه و
خيارهم قتيلا من اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على ان الحق بل وداه بمائة
ناقة وان باصحابه الحاجة الى بعير واحد يتعقبون به وكان يعصب الحجر على
بطنه من الجوع ومرة ياكل ما حضر الا سيال ولا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم
حلال ان وجد تمرا دون خبز اكله وان وجد سويقا اكله وان وجد خبز
بر او شعير اكله وان وجد حلوا او عسلا اكله وان وجد لبنا دون خبز
اكتفى به وان وجد بطيخا او رطبا اكله لا ياكل متكئا ولا على خوان لم يشبع من
خبز بر ثلثة ايام متوالية حتى لقي الله تعالى اثر ذلك على نفسه لا فقرا ولا بخلا
يجيب الوليمة ويعود المرضى ويشهد الجنائز ويمشي من اعدائه وحده بلا
حارس اشد الناس تواضعا واسكنهم في غير كبر وابلغهم من غير تطويل
واصمتهم بغير الا لهوله شيء من امور الدنيا ويلبس ما وجد مرة سملة ومن برد
حبرة يمانيا ومرة جبة صوف وما وجد من المباح لبس وخاتمه فضة يلبسه في

خصره الايمن والايسر ردف خلفه عبدا وغيره يركب ما امكنه مرة فوسا ومرة
بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشي راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة
ولا فلنسوة يعود المرضى في اقصى المدينة يحب الطيب ويكره الروائح الردية و
يجالس الفقراء ويواكل المساكين ويكرم اهل الفضل في اخلاقهم ويتالف اهل
الشرف بالبر لهم يصل ذوي رحمه من غير ان يوثرهم على من هو افضل منهم
لا يجفو على احد بعد معذرة المعتذر اليه يمزح ولا يقول الا حقا يضحك
من غير قهقهة يرى اللعب المباح فلا ينكر ويرفع الاصوات عليه فيصبر
وكان له لقاح وغنم يتقوت هو واهله من البانها وكان له عبيد اما لا
يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس ولا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى او فيما لا بد له
من صلاح نفسه يخرج الى بساطن اصحابه لا يحقر مسكينا لفقره ولا زمانته
لا يهاب ملكا لملكه هذا وهذا الى الله دعاء واحدا قد جمع الله له السيرة الفاضلة يدعوه
والسياسة التامة وهو امي لا يكتب ولا يقرأ انشأ في بلاد الجهل والصحارى في
قفر وفي رعاة الغنم يتيما لا اب له ولا ام فعلمه الله جميع محاسن الاخلاق والطرق
الحميدة واختارا الاولى والاخرى ومانه النجاة والفوز في الاخرة والغبطة
والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول وفقنا الله لطاعته في امره

والتاسي به في فعله امين رب العالمين بيان حملة الفضول من اداب واخلاق
صلى الله عليه واله مما رواه ابو البختري قالوا ما شتم رسول الله صلى الله عليه واله
احدا من المومنين بشتمة الا جعل له كفارة ورحمة وما لعن امراة ولا خادما
بلعنة وقيل له وهو في القتال لو لعنتهم يا رسول الله فقال انما بعثت رحمة
مهداة لم ابعث لعانا وكان اذا سئل ان يدعو على احد مسلم او كافر دعا
او خاص عدل عن الدعا عليه ودعا له وما ضرب بيده احدا الا ان يضرب
بها في سبيل الله تعالى وما انتقم في شئ صنع اليه قط الا ان يهتك حرمة لله تعالى
وما خير بين امرين قط الا اختار ايسرهما الا ان يكون مأثما او قطيعة
رحم فيكون ابعد الناس من ذلك وما نيل منه احد حرا كان او عبدا او امة
الا قام معه في حاجته وقال انس والذي بعثه بالحق ما قال لي في شئ كرهه
لم فعلته ولا لامني احد من اهله الا قال دعوه فانما كان هذا بكتاب وقدر
قالوا وما عاب رسول الله صلى الله عليه واله مضجعا ان فرش له اضطجع
وان لم يفرش له اضطجع على الارض وقد وصفه الله تعالى في التوراة قبل ان
يبعثه في السفر الاول فقال محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ
ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح

والملك

مولده بمكة ومهجرته بطابه ومملكه بالشام يأتذر على وسطه هو ومن معه
وعاة للقران والعلم متبوضا على اطرافه وكذلك نعته في الانجيل وكان
من خلقه ان يبدا بالسلام من لقيه ومن فاوضه لحاجة صابر حتى
يكون هو المنصرف وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الاخذ وكان
اذا لقي احدا من الصحابه بداه بالمصافحة ثم اخذ بيده فشابكه ثم شد فبضته
وكان لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله تعالى وكان لا يحلس اليه احد وهو
يصلي الا خفف صلوته واقبل عليه فقال الك حاجة فاذا فرغ من حاجته
عاد الى صلوته وكان اكثر جلوسه ان ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه
عليها شبه الجبوة ولم يكن يعرف بمجلسه من مجالس اصحابه لانه حيث ما انتهى
به المجلس جلس وما راى قط ماذا ارجليه بين اصحابه حتى يضيق بها على احد
الا ان يكون المكان واسعا لا ضيق فيه وكان اكثر ما يجالس مستقبل القبله
وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن لبست بينه وبينه قرابة
ولارضاع بمجلسه عليه وكان يوثر الداخل عليه بالوسادة التي تكون تحته
فان ابى ان يقبلها عزم عليه حتى يفعل وما استصفاه احد الا ظن
انه اكرم الناس عليه حتى يعطي كل من جلس اليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه

وسمعه وحديثه ولطف مجلسه وتوجهه للجالس اليه ومجلسه مع الاوب
مجلس حياء وتواضع وامانة قال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولقد كان يدعو اصحابه بكناهم اكراما
لهم واستمالة لقلوبهم ويكني من ليس له كنية فكان يدعى بما كناه بها وكان
يكني ايضا النساء اللاتي لهن الاولاد واللاتي لم يلدن يبتدي لهن الكنى وكان
يكني الصبيان فيستلين به قلوبهم وكان ابعد الناس غضبا واسرعهم رضاء
وكان ارأف الناس وخير الناس للناس وانفع الناس للناس ولم يكن
يرفع في مجلسه الاصوات وكان اذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك
اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك ثم يقول علمنيهن جبرئيل عليه السلام
بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه واله كان صلى الله عليه واله افصح الناس
منطقا واحلاهم ويقول انا افصح العرب وان اهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد
صلى الله عليه واله وكان نذر الكلام سمح المقالة اذا نطق ليس بمهذار وكان
كلامه كخرز نظم النظم قالت عايشة كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا كان
كلامه نثرا واتم تنثرون الكلام نثرا قالوا وكان اوجز الناس كلاما وابلغه
جاءه صرسل عليه السلام وكان مع الايجاز يجمع كلما اراد وكان يتكلم بجوامع الكلم

لا فضول ولا تقصير كلام يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه
سامعه ويعيه وكان جهير الصوت احسن الناس نغمة وكان طويل السكوت
لا تكلم في غير حاجة ولا يقول المنكر ولا يقول في الغضب والرضا الا الحق
ويعرض عمن تكلم بغير جميل ويكنى عن اصطراء الكلام اليه مما يكره وكان اذا
سكت تكلم جلساؤه ولا يتنازعون عنده في الحديث ويعظ بالجد والنصيحة
ويقول لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فانه انزل على وجوه وكان اكثر الناس
تبسما وضحكا في وجوه اصحابه ويتعجب لهم ربما اخذ بوابه وخلطا لنفسه بهم وربما
ضحك حتى يبدو نواجذه وكان ضحك اصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا
له قالوا ولقد جاءه اعرابي يوما وهو عليه السلام منغمس بنكره اصحابه فاراد ان يسأله
فقالوا لا تفعل يا اعرابي فانا ننكر لونه فقال دعوني والذي بعثه بالحق نبيا
لا ادعه حتى يتبسم فقال يا رسول الله بلغنا ان المسيح يعني الدجال يأتي
على الناس بالبرد وقد هلكوا جوعا افترى لي يا بي انت وامي ان اكف عن بردة
تعففا وتنزها حتى اهلك هزالا ام اضرب في بردة حتى اذا تضلعت شبعا
امنت بالله وكفرت به قالوا فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله حتى بدت
نواجذه ثم قال الا بل يغنيك الله بما يغني به المؤمنين قالوا وكان من اكثر الناس

بتسما

تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يذكر الساعة او يخطب بخطبة
عظة وكان اذا سر او رضي فهو احسن الناس رضا وان وعظ وعظ بجد
فلم يكن بغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان في امره كلها وكان
اذا نزل به الامر فوض الامر الى الله وبرء من الحول والقوة واستنزل
الهدى فيقول ارني الحق حقا فاتبعه وارني المنكر منكرا وارزقني اجتنابه
واعذني من ان يشتبه علي فاتبع هواي بغير هدى منك واجعل
هواي تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني
لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي الى صراط مستقيم بيان
اخلاقه وآدابه صلى الله عليه وآله في الطعام كان صلى الله عليه وآله
ياكل ما وجد وكان احب الطعام اليه ما كان على ضفف والضفف
ما كثرت عليه الايدي وكان اذا وضعت المائدة قال بسم الله الرحمن الرحيم
اللهم اجعلها نعمة مشكورة تتصل بها نعمة الجنة وكان كثيرا اذا جلس
ياكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس المصلي الا ان الركبة فوق
الركبة والقدم فوق القدم ويقول انما انا عبد آكل كما ياكل العبد واجلس
كما يجلس العبد وكان لا ياكل الحار ويقول انه غير ذي بركة وان الله يطعمنا

نارا فابردوه وكان ياكل مما يليه ويأكل باصابعه الثلث وربما استعان
بالرابعة ولم يكن ياكل باصبعين ويقول ذلك اكلة الشياطين وجاء عثمان
بن عفان بفالوذج فاكل منه وقال ما هذا يا ابا عبد الله قال بابي انت وامي
يجعل السمن والعسل في البرمة ويضعها على النار ثم تغلبها ثم ياخذ المخيطة
اذا طحنت فتلقمه على السمن والعسل ثم تسوطه حتى ينضج فبانى كما ترى
فقال صلى الله عليه وآله ان هذا طعام طيب وكان ياكل خبز الشعير
غير منخول وكان ياكل القثاء بالرطب والملح وكان احب الفواكه اليه الرطبة
والبطيخ والعنب وكان ياكل البطيخ بالخبز والسكر وربما اكله بالرطب
ويستعين باليدين جميعا واكل يوما رطبا كان في يمينه وكان يحفظ
النوى في يساره فمرت شاة فاشار اليها بالنوى فجعلت ياكل ما في كفه
اليسرى وهو ياكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة وكان ربما اكل العنب
خرطا يرى رؤاله على لحيته كحدر اللؤلؤ وهو الماء الذي ينقطر منه وكان
اكثر طعامه الماء والتمر وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميها الاطيبين وكان
احب الطعام اليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في
الدنيا والاخرة ولو سالت ربي ان يطعمنيه كل يوم لفعل وكان ياكل الدبا

باللحم

باللحم والقرع وكان يحب القرع ويقول انها شجرة اخي يونس عليه السلام
قالت عايشة كان صلى الله عليه وآله يقول يا عايشة اذا طبختم قدرا
فاكثروا فيها من الدبا فانه يشد قلب الحزين وكان ياكل لحم الطير الذي يصاد
وكان لا يتبعه ولا يصيد ويحب ان يصاد له ويؤتى به فياكله وكان
اذا اكل اللحم لم يطا طا راسه اليه ويرفعه الى فيه رفعا ثم ينتهسه انتهاسا
وكان ياكل الخبز والسمن وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن
القدر الدبا، ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة بالبركة وقال هي من الجنة
وشفاء من السم والسحر وكان يحب من البقول الهندبا، والبادروج و
البقلة الحمقاء التي يقال لها الرجلة وكان يكره الكليتين لكانهما من البول
ولا ياكل من الشاة سبعا الذكر والانثيين والمثانة والمرارة والغدد
والحيا والدم ويكره ذلك وكان لا ياكل الثوم ولا البصل ولا الكراث وما
ذم طعاما قط لكن ان اعجبه اكله وان كرهه تركه وان عافه لم يبغضه
الى غيره وكان يلعق الصحفة فيقول اخر الطعام اكثر بركة وكان يلعق
اصابعه من الطعام حتى يجر ولا يمسح بالمنديل حتى يلعق اصابعه واحدة
واحدة ويقول انه لا يدري في اى الاصابع البركة واذا فرغ قال اللهم لك

نهس وانهس اخذ بمقدم الاسنان
ربعة يوم الخميس
ودعا في العجوة

الحمد اطعمت واشبعت وسقيت وارويت لك الحمد غير مكفور ولا موذع
ولا مستغنى عنه وكان اذا اكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا
جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه وكان يشرب فى ثلث دفعات
له فيها ثلث تسميات وفى اواخرها ثلث تحميدات وكان يمص الماء
مصا ولا يعبه عبا وربما كان يشرب فى نفس واحد حتى يفرغ ولا
يتنفس فى الاناء بل يحرف عنه وكان يدفع فضل سؤره الى من على يمينه
فان كان من على يساره اجل رتبة قال للذى على يمينه السنة ان
اعطيك فان احببت اثرتهم واتى باناء فنه عسل ولبن فابى ان يشربه
وقال شربتان فى شربة واد امان فى اناء واحد ثم قال صلى الله عليه واله
لا احرمه ولكنى اكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا واحب التواضع
فان من تواضع لله رفعه الله وكان فى بيته اشد حياء من العاتق
لا يسالهم طعاما ولا يشتهيه عليهم ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل
وما سقوه شرب وكان ربما قام فاخذ ما ياكل ويشرب بنفسه

بيان اخلاقه وادابه فى اللباس كان صلى الله عليه واله يلبس من
الثياب ما وجد من ازار ورداء او قميص او جبة او غير ذلك وكان

يعجبه

يعجبه الثياب الخضر وكان اكثر لباسه البياض ويقول البسوها احيائكم
وكفنوا فيها موتاكم وكان يلبس القباء المحشو للحرب وغير المحشو وكان
له قباء سندس فيلبسه فيحسن خضرته على بياض لونه وكان ثيابه
كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار فوق ذلك الى نصف الساق
وكان قميصه مسدود الازار فوق ظاهره وربما حل الازرار فى الصلوة
وغيرها وكانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس
فيها وحدها وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره وكان له كساء
ملبد يلبسه ويقول انما انا عبد البس كما يلبس العبد وكان لثيابه
لجمعة خاصة سوى ثيابه فى غير الجمعة وربما لبس الازار الواحد ليس عليه
غيره يعقد طرفيه بين كتفيه وربما ام للناس به على الجنائز وربما صلى
فى بيته فى الازار الواحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الازار
الذى جامع فيه يومئذ وكان ربما صلى بالليل فى الازار ويرقد ببعض
الثوب مما يلى هدبه ويلقى البقية على بعض نسائه فيصلى كذلك ولقد
كان له كساء اسود فوهبه فقالت له ام سلمة بابى انت وامى ما فعل ذلك
الكساء الاسود قال كسوته فقالت ما رايتك سئيا قط احسن من

بجبه

بياضه على سواده وقال انس وربما راسته يصلى الظهر فى شمله عاقرا بين
طرفيها وكان يختم وربما خرج وفى خاتمه خيط مربوط ليتذكر به الشئ
وكان يختم به على الكتب ويقول الخاتم على الكتاب خير من البهمة وكان
يلبس القلانس تحت العمائم وبغير العمامة وربما نزع قلنسوته من راسه فجعلها
سترة بين يديه ثم يصلى اليها وربما لم يكن العمامة فيشد العصابة على
راسه وعلى جبهته وكانت العمامة تسمى السحابة فوهبها من على عليه السلام
فربما طلع على عليه السلام فيها فيقول صلى الله عليه واله اتاكم على فى السحاب
وكان اذا لبس ثوبا يلبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذى كسانى
ما اوارى به عورتى واتجمل به فى الناس واذا نزع ثوبه اخرج من ميامنه
وكان اذا لبس جديدا اعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم
يكسو مسلما من شمل ثيابه لا يكسوه الا الله الا كان فى ضمان الله وفى حرزه
وحفظه ما واراه حيا وميتا وكان له فراش من ادم حشوه ليف طوله ذراع
او نحوه وعرضه ذراع وشبر او نحوه وكان له عباءة يفرش له حيث
ما ينقل يثنى طاقتين تحته وقد كان ينام على الحصير ليس تحته شئ غيره
وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم دابته

وهو كان يلبس القلانس تحت العمائم

العقاب

العقاب واسم سيفه الذى يشهد به الحروب ذو الفقار وكان له سيف
يقال له المخذم واخر يقال له الرسوب واخر يقال له القضيب وكانت
قبيعة سيفه محلاة بالفضة وكان يلبس المنطقة من ادم فيها ثلاث
حلق من فضة وكان اسم فرسه الكتوم وجعبته الكافور وكان اسم
ناقته القصواء وهى التى يقال لها العضباء واسم بغلته الدلدل واسم
حماره يعفور واسم شاته التى يشرب لبنها عينه وكان له مطهرة من
فخار يتوضا منها ويشرب منها فيرسل الناس اولادهم الصغار الذين
قد عقلوا فيدخلون على رسول الله صلى الله عليه واله فلا يدفعون عنه
فاذا وجدوا فى المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم واجسادهم
يبتغون بذلك البركة **بيان** عفوه مع القدرة كان صلى الله عليه واله الحلم
الناس وارغبهم فى العفو مع القدرة حتى انى بقلايد من ذهب وفضة
فقسمها بين اصحابه فقام رجل من اهل البادية فقال والله يا محمد ان
امرك الله ان تعدل فما اراك تعدل فقال ويحك من يعدل علىك
بعدى فلما ولى قال ردوه على رويدا وروى جابر انه صلى الله عليه واله
كان يقبض الناس يوم حنين من فضة كانت فى ثوب بلال فقال

لرجل يا نبي الله اعدل فقال صلى الله عليه واله ويحك فمن يعدل اذا
لم اعدل فقد خبت اذا وخسرت ان كنت لا اعدل فقام عمر فقال الا
اضرب عنقه فانه منافق فقال معاذ الله ان يتحدث الناس اني اقتل
اصحابي وكان صلى الله عليه واله في حرب فراوا من المسلمين غرة
فجاء رجل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه واله بالسيف وقال
من يمنعك مني فقال الله قال فسقط السيف من يده فاخذ رسول الله
صلى الله عليه واله السيف وقال من يمنعك مني فقال كن خير اخذ
قال قل اشهد ان لا اله الا الله فقال الاعرابي لا اقاتلك ولا اكون مع
ولا اكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فجاء الى قومه فقال جئتكم
من خير الناس وروى انس ان يهودية اتت النبي صلى الله عليه واله
بشاة مسمومة لياكل منها فجي بها الى النبي صلى الله عليه واله فسالها
عن ذلك فقالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلط لك على ذلك
قالوا افلا نقتلها قال لا وسحر رجل من اليهود فاخبره جبرئيل بذلك
حتى استخرجه وحل عقده فوجد لذلك خفة وما ذكر ذلك لليهودي
ولا اظهر عليه قط وقال علي عليه السلم بعثني رسول الله صلى الله عليه واله انا والزبير

والمقداد

والمقداد فقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها
كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى اتينا روضة خاخ فاذا الظعينة بها فقلنا
اخرجي الكتاب قالت ما معي الكتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لتقتلن
او لتنزعن الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبي صلى الله عليه واله
فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى اناس من المشركين بمكة يخبرهم
امرا من امر رسول الله صلى الله عليه واله فقال يا حاطب ما هذا فقال
يا رسول الله لا تعجل علي فاني كنت امرا ملصقا في قوم وكان من معك
من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهليهم فاحببت ان اتخذ
عندهم يدا يحمون بها قرابتي ولم افعل ذلك
كفرا ولا رضا بالكفر بعد الاسلام ولا ارتدادا عن ديني فقال صلى الله
عليه واله صدقكم فقال عمر دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال
صلى الله عليه واله انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع
على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وقسم صلى الله
عليه واله قسمة فقال رجل من الانصار هذه قسمة ما اريد بها وجه الله
فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه واله فاحمر وجهه فقال رحم الله اخي موسى

قد اوذى باكثر من هذا فصبر وكان صلى الله عليه واله يقول لا يبلغنى
احد منكم عن احد من اصحابى شيئا فانى احب ان اخرج اليكم وانا
سليم الصدر **بيان** اعضائه عما كان يكره صلى الله عليه واله كان صلى الله
عليه واله رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف فى وجهه غضبه
ورضاه وكان اذا استد وجده اكثر من مس لحيته وكان لا يسافه
احدا بما يكره دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهه فلم يقل شيئا حتى خرج
فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا ان ينزع هذه يعنى الصفرة وبال اعرابى
فى المسجد بحضرته فهم به الاصحاب فقال لا تزرموه يعنى لا تقطعوا عليه
البول ثم قال ان هذه المساجد لا تصلح لشئ من القذر والبول والخلا وانما
هى لذكر الله والصلوة وقراءة القرآن او كما قال فامر بذنوب من ماء فاهريق
عليه وجاءه اعرابى يوما يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت اليك
صلى الله عليه واله قال الاعرابى لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه
قال فاشار اليهم ان كفوا عنه فقام ودخل منزله وارسل الى الاعرابى وزاده شيئا ثم قال
احسنت اليك فقال الاعرابى نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال النبى
صلى الله عليه واله انك قلت ما قلت وفى نفس اصحابى شئ من ذلك

فان

فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب من صدورهم
ما فيها عليك قال نعم فلما كان من الغد او من العشى جاء فقال النبى صلى الله عليه واله
ان هذا الاعرابى قال ما قال فزدناه فزعم انه رضى لذلك فقال الاعرابى
نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه واله ان مثلى
ومثل هذا الرجل الاعرابى كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها
الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بينى وبين ناقتى
فانى ارفق بها واعلم فتوجه اليها صاحب الناقة بين يديها فاخذ لها
من قمام الارض فردها هوى هوى حتى جاءت واستناخت وشد
عليها رحلها واستوى عليها وانى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال
قتلتموه دخل النار **بيان** سخاوته وجوده صلى الله عليه واله كان
رسول الله صلى الله عليه واله اجود الناس واسخاهم وكان فى شهر رمضان
كالريح المرسلة لا يمسك شيئا وكان على عليه السلم اذا وصف النبى صلى الله
عليه واله قال كان اجود الناس واسخاهم كفا واجرئ الناس صدرا
واصدق الناس لهجة واوفاهم ذمة واليهم عريكة واكرمهم عشيرة
من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله

ولا بعده سئله صلى الله عليه واله وما سئل عن شئ على الاسلام قط الا اعطاه
وان رجلا اتاه فسأله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال اسلموا
فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة وما سئل قط شيئا فقال لا وحمل اليه
سبعون الف درهم فوضعها على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد
سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندى شئ ولكن ابتع
على فاذا جاءنا شئ قضيناه فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر
عليه فكره رسول الله صلى الله عليه واله ذلك فقال الرجل انفق ولا تخف
من ذى العرش اقلالا فتبسم النبى صلى الله عليه واله وعرف السرور فى وجهه
ولما قفل من حنين جاءت الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى شجرة
فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه واله وقال اعطونى ردائى
لو كان لى عدد هذه العضاة نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدونى بخيلا
ولا كذابا ولا جبانا **بيان** شجاعته صلى الله عليه واله كان صلى الله عليه واله
انجد الناس واشجعهم قال على عليه السلام لقد رايتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى
صلى الله عليه واله وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ باسا
وقال ايضا كنا اذا احمر الباس ولقى القوم القينا برسول الله صلى الله عليه واله

العضاة جمع عضة بيخ خار

اشد

فما يكون احد اقرب الى العدو منه وقتل كان صلى الله عليه واله قليل الحديث
قليل الكلام فاذا امر الناس بالقتال تشمر وكان من اشد الناس باسا
وكان الشجاع الذى يقرب منه فى الحرب لقربه من العدو وقال عمران
بن حصين ما لقى رسول الله صلى الله عليه واله كتيبة الا كان اول من
يضرب قالوا وكان قوى البطش وما غشيه المشركون نيل فجعل يقول انا
النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب فما رؤى يومئذ احد كان اشد منه

كان ء

بيان تواضعه صلى الله عليه واله اشد الناس تواضعا فى علو منصبه
قال ابن عامر رايته يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يسترد ف وكان
يعود المريض ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك ويخصف النعل
ويرقع الثوب وكان يصنع فى بيته مع اهله فى حاجتهم وكان اصحابه
لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك وكان يمر على الصبيان
فيسلم عليهم واتى رسول الله صلى الله عليه واله رجل فارعد من هيبته
فقال هون عليك فلست بملك انما انا ابن امراة من قريش كانت
تاكل القديد وكان يجلس بين اصحابه مختلطا بهم كانه احدهم فيأتى

ملكون

الغريب فلا يدرى ايهم هو حتى يسال عنه حتى طلبوا اليه ان يجلس مجلسا
يعرفه الغريب فبنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه وقالت له عايشه
كل متكئا فانه اهون عليه قال فاصغى براسه حتى كان يجيب يصيب جبهته
الارض ثم قال بل اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان لا
ياكل على خوان ولا فى سكرجة حتى لحق بالله عز وجل وكان لا يدعوه احد
من اصحابه وغيرهم الا قال لبيك وكان اذا جلس مع الناس ان تكلموا
فى معنى الاخرة اخذ معهم وان تحدثوا فى طعام او شراب تحدث معهم وان
تكلموا فى الدنيا تحدث معهم رفقا بهم وتواضعا لهم وكانوا يتناشدون
الشعر بين يديه احيانا ويذكرون اشياء من امر الجاهليه ويضحكون
ويتبسم هو اذا ضحكوا ولا يزجرهم الا عن حرام بيان صورته وخلقته صلى الله
عليه واله كان من صفة رسول الله صلى الله عليه واله فى قامته انه لم يكن
بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد بل كان ينسب الى الربعه اذا مشى وحده
ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد من الناس ينسب الى الطول الا طاله
رسول الله صلى الله عليه واله ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما
فاذا فارقاه نسبا الى الطول ونسب هو صلى الله عليه واله الى الربعة

وهو صلى الله عليه واله يقول جعل الخير كله فى الربعه واما لونه فقد
كان ازهر اللون ولم يكن بالادم ولا الشديد البياض والازهر هو الابيض
الناصع الذى لا يشوبه صفرة ولا حمرة ولا شئ من الالوان ونعته عمه
ابو طالب فقال وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل
ونعته بعضهم بانه شرب حمرة فقال انما كان المشرب منه بالحمرة ما ظهر
للشمس والرياح كالوجه والرقبه والازهر الصافى عن الحمرة ما تحت الثياب
منه وكان عرقه صلى الله عليه واله فى وجهه كاللؤلؤ اطيب من المسك
الاذفر واما شعره فقد كان رجل الشعر حسنها ليس بالسبط ولا الجعد
القطط كان اذا سئطه بالمشط كان كانه حبك الرمل وقيل كان شعره
يضرب منكبيه واكثر الروايه انه كان الى شحمة اذنيه وربما جعله غدائر
اربعا يخرج كل اذن من بين غديرتين وربما جعل شعره على اذنيه فتنازع
سوالفه بتلالا وكان شيبه فى الراس واللحيه سبع عشرة شعرة
فما زاد على ذلك وكان صلى الله عليه واله احسن الناس وجها وانورهم
لم يصفه واصف الا شبهه بالقمر ليلة البدر وكان يرى رضاه وغضبه
فى وجهه لصفاء سريرته وكان صلى الله عليه واله واسع الجبهة ازج الحاجبين

سابقها وكان ابلج ما بين الحاجبين كان بينهما الفضة المخلصة وكان عينا
نجلاوين ادعجها وكان في عينيه تمتج من حمرة وكان اهدب الاشفار
حتى كاد يلتبس من كثرتها وكان افنى العرنين اي مستوى الانف وكان
مفلج الاسنان اى متفرجها وكان اذا افترضاحكا افترعن مثل سنا البرق
اذا تلألأ وكان من احسن عباد الله شفتين والطفهم ختم فم وكان سهل
الخدين صلبهما ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم كث اللحية وكان يعفي لحيته
ويأخذ شاربيه وكان من احسن عباد الله عنقا لا ينسب الى الطول ولا
الى القصر ما ظهر من عنقه للشمس والرياح كانه ابريق فضة مشرب ذهبا
يتلألأ في بياض الفضة وفي حمرة الذهب وكان صلى الله عليه واله عريض
الصدر لا بعد ولحم بعض بدنه بعضا كالمرايا في استوائه وكالقمر في بياضه
موصول ما بين لبته وسرته بشعر منقاد كالقضيب ليس في صدره ولا
في بطنه شعر غيره كانت له عكن ثلث يغطي الاداني منها واحدة ويظهر اثنتان
وكان عظم المنكبين اشعرهما ضخم الكراديس اى رؤس العظام من المنكبين
والمرفقين والوركين وكان واسع الظهر ما بين كتفيه خاتم النبوة وهو
مما يلي منكبه الايمن فوقه شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات

العكنة الطي الذي في البطن من السمن

متواليات كانها من عرف فرس وكان عبل العضدين والذراعين
طويل الزندين رحب الراحتين سائل الاطراف كان اصابعه قضبان
الفضة كفه اليمن من الخز كان كفه كف عطار طيبا مسها بطيب اول
لمستها يصافح المصافح فيظل يومه يجد بردها ويضع يده على راس الصبي
فيعرف من بين الصبيان بردها على راسه وكان عبل ما تحت الازار
من الفخذ والساق وكان معتدل الخلق في السمن بدن في اخرها
وكان لحم بطنه مساكا يكاد يكون على الخلق الاول لم يفضه السن واما مشيه
صلى الله عليه واله فكان يمشي كانما ينقلع من صخر وينحدر من صبب
يخطو تكفيا ويمشي الهونا بغير تبختر والهونا تقارب الخطو كان صلى الله
عليه واله يقول انا اشبه بادم عليكم وكان ابي ابراهيم عليه السلام اشبه الناس
بي خلقا وخلقا وكان يقول ان لي عند الله عشرة اسماء انا محمد وانا احمد
وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا العاقب الذي ليس بعده احد
وانا الحاشر الذي يحشر العباد على قدمي وانا رسول الرحمة وانا رسول
التوبة وانا رسول الملاحم والمقفى قفيت الناس جميعا وانا قثم قال ابو
البختري القثم الكامل الجامع بيان خلقه وخلقه وسيرته مع جلسائه

الكفة الجوف من باطن

سوالات

برواية الحسن والحسين عليهما السلام وهو الذي اضفناه روى في مكارم الاخلاق
من كتاب محمد بن ابراهيم بن اسحق الطالقاني عن نفانة عن الحسن بن
علي عليهما السلام قال سالت خالي هند بن ابي هالة التميمي وكان وصافا عن
حلية النبي صلى الله عليه واله وانا اشتهي ان يصف لي منها شيئا اتعلق
به فقال كان رسول الله صلى الله عليه واله فخما مفخما يتلالا وجهه تلالا
القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل
الشعر اذا تفرقت عقيصته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو
وفرة ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما
عرق يدره الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتامله اشم
كث اللحية سهل الخدين ادعج ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان دقيق
المسربة كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا
متماسكا سواء البطن والصدر عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين
ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط
عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين
واعلى الصدر طويل الزندين رحب الراحة سبط القصب شثن الكفين

والقدمين سائل الاطراف خمصان الاخمصين سبيح القدمين
يتبو عنهما الماء اذا زال زال قلعا يخطو بكفا ويمشي هونا سريع المشية
اذا مشى كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف
نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق
اصحابه ويبدر من لقي بالسلام قال قلت له صف لي منطقه قال كان
رسول الله صلى الله عليه واله مواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له
راحة لا يتكلم في غير حاجة طويل السكت يفتتح الكلام ويختمه بابتدائه
ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول ولا تقصير فيه دمثا ليس بالجافي
ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم منها شيئا ولا يذم ذواقا
ولا يمدحه ولا يغضبه الدنيا وما كان لها فاذا تعدي الحق لم يعرفه احد
ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها واذا اشار
اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اشار بها فضرب براحته
اليمنى باطن ابهامه اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض
من طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن عليه السلام
فكتمها الحسين زمانا ثم حدثه فوجدته قد سبقني اليه فسال عما

الدمث المكان اللين
ص

والقدمين

سالته عنه و وجدته قد سال اباه عن مدخله ومخرجه ومجلسه وشكله
فلم يدع منها شيئا قال الحسين بن علي عليه السلم سالت ابي عليه السلم عن دخول
النبي صلى الله عليه واله فقال كان دخوله لنفسه ماذونا له في ذلك وكان
اذا اوى الى منزله جزء دخوله ثلثة اجزاء جزء الله عز وجل وجزء لاهله
وجزء لاهله وجزء لنفسه ثم جزء جزئه بينه وبين الناس فيرد ذلك
على العامة والخاصة وكان من سيرته في جزء الامة ايثار اهل الفضل
باذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين
ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم واصلح الامة من
مسئلته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد الغائب
وابلغوني حاجة من لا تستطيع ابلاغ حاجته فانه من ابلغ سلطانا
حاجة من لا تستطيع ابلاغها اياه ثبت الله قدميه يوم القيمة لا يذكر
عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غير ذلك يدخلون زوارا ولا يفترقون
الا عن ذواق ويخرجون ادلة فقهاء قال فسالته عن مخرجه كيف كان
يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه واله يخزن لسانه الا فيما
يوئلهم ولا يفرقهم او قال يفرهم سنك مالك ويكرم كريم كل قوم ويوليه

عليهم ويحذر الناس من الفتن ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد
بشره ولا خلقه ويتفقد اصحابه ويسال الناس عما في الناس يحسن الحسن
ويقويه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان
يغفلوا او يميلوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجوز الذين يلونه
من الناس خيارهم افضلهم عنده واعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة
احسنهم مواساة وموازرة قال فسالته عن مجلسه فقال كان رسول الله
صلى الله عليه واله لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر الله عز وجل اسمه ولا يوطن
الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس
ويامر بذلك يعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه
منه من جالسه او قاومه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه او قضى
سالته حاجة لم يردده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس منه بسطه
وخلقا وكان لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء
وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا يوبن فيه الحرم ولا ينثى فلتاته
متعادلون متفاضلون فيه بالتقوى متواضعون يوقرون فيه الكبير
ويرحمون فيه الصغير ويوثرون ذا الحاجة ويحفظون او قال يحيطون

الغريب سئل ابو غسان قال قلت كيف كان سمته في جلسائه قال كان
رسول الله صلى الله عليه واله دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ
ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي
ولا يوئس منه ولا يخيب فيه مؤمليه قد ترك نفسه من ثلث المراء والاكثار
ومما لا يعنيه وترك الناس من ثلث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب
عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم
الطير فاذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده الحديث من تكلم انصتوا له
حتى يفرغ حديثهم عنده حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما
يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسالته حتى ان كان
اصحابه ليستجلبونهم ويقول اذا رايتم طالب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا
يقبل الثناء الا عن مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوز فيقطعه
بنهي او قيام قال قلت كيف كان سكوته قال كان سكوت رسول الله صلى الله
عليه واله على اربعة على الحلم والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي تسوية
النظر والاستماع بين الناس واما تفكره فيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم
والصبر وكان لا يغضبه شيء لا يستفزه وجمع له الحذر في اربعة اخذه

بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينهى عنه واجتهاده الرأي فيما اصلح
امته والقيام فيما جمع لهم خير الدنيا والاخرة وفي المكارم افضل عن الصادق ع
قال اني لاكره للرجل ان يموت وقد بقيت خلة من خلال رسول الله
صلى الله عليه واله لم يات بها بيان معجزاته وايانه الدالة على صدقه
اعلم ان من شاهد احواله صلى الله عليه واله او اصغى الى استماع اخباره
المشتملة على اخلاقه وافعاله واحواله وعاداته وسجاياه وسياسته
لاصناف الخلق وهدايته الى ضبطهم وتالفه اصناف الخلق وقوده اياهم
الى طاعته مع ما حكي من عجايب اخوبته في مضايق الاسولة وبدايع تكلماته
في مصالح الخلق ومحاسن اشاراته في تفصيل ظاهر الشرع التي يعجز الفقهاء
والعقلاء عن ادراك اوائل دقايقها في طول اعمارهم لم يبق له ريب ولا
شك في ان ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور
ذلك الا بالاستمداد من نابض سماوي وقوة الهية وان ذلك كله لا
يتصور للكذاب ولا الملبس بل كانت شمايله واحواله شواهد قاطعة بصدقه
حتى ان العربي الفج كان يراه فيقول والله ما هذا وجه كذاب وكان
يسهل له بالصدق بمجرد شمائله فكيف بمن شاهد اخلاقه ومارس

احوالهم في جميع مصادره وموارده وانما اوردنا بعض اخلاقه ليعرف بها حسن
الاخلاق وينتبه لصدقه صلى الله عليه واله وعلو منصبه ومكانته العظيمة
عند الله اذا اتاه الله جميع ذلك وهو رجل امي لم يمارس العلم ولم يطالع
الكتب ولم يسافر قط في طلب علم ولم يزل بين اظهر الجهال من الاعراب
يتيما ضعيفا مستضعفا فمن اين لبشر محاسن الاخلاق والاداب
ومعرفة مصالح الفقه مثلا دون غيره من العلوم فضلا عن معرفته
بالله وملائكته وكتبه ورسله وغير ذلك من خواص النبوة ولو لا صريح
الوحي من ان للبشر الاستقلال بذلك اقول هذا الكلام
دون ما اشتهر بين العامة من ان نبينا صلى الله عليه واله كان
اميا بمعنى انه لا يحسن القراءة والكتابة والمروي عن اهل البيت عليهم السلام
خلاف ذلك فقد روى محمد بن الحسن الصفار رحمه الله في بصائر
الدرجات باسناده عن عبد الرحمن بن الحجاج قال قال ابو عبد الله عليه السلام
ان النبي صلى الله عليه واله كان يقرا ويكتب ويقرا ما لم يكتب وباسناده
عن جعفر بن محمد الصوفي قال سالت ابا جعفر محمد بن علي الرضا عليهما السلام
وقلت له ابن رسول الله لم سمي النبي الامي قال ما يقول الناس قلت

يزعمون انما سمي النبي الامي لانه لم يكتب فقال كذبوا عليهم لعنة الله انى يكون
ذلك والله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه هو الذي بعث في الاميين
رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فكيف يعلمهم ما
لا يحسن والله لقد كان رسول الله صلى الله عليه واله يقرا ويكتب
باثنين وسبعين اوثلثة وسبعين لسانا وانما سمي الامي لانه كان
من اهل مكة من امهات القرى وذلك قول الله في كتابه لتنذر ام القرى
ومن حولها قال ابو حامد فلو لم يكن له الا هذا الامر الظاهر
لكان فيه كفاية وقد ظهر من اياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل
فلنذكر من جملتها ما استفاضت به الاخبار واشتملت عليه الكتب
الصحاح اشارة الى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل فقد خرق الله
العادة على يديه غير مرة اذ شق له القمر بمكة لما سالته قريش اية واطعم الفئة
الكثيرة في منزل جابر وفي منزل ابي طلحة ويوم الخندق ومرة اطعم ثمانين
من اربعة امداد شعير وعناق وهو من اولاد المعز فوق العشرة
ومرة اكثر من ثمانين رجلا من اقراص شعير حملها انس في يده ومرة اهل
الجيش من ترديس ساقته بنت بشر في يديها فاكلوا كلهم حتى شبعوا

من ذلك وفضل لهم ونبع الماء من اصابعه صلى الله عليه واله فشرب اهل
العسكر كلهم وهم عطاش وتوضأ من قدح صغير ضاق عن ان يبسط
يده فيه واهراقه صلى الله عليه واله وضوءه في عين ثبوك ولا ماء فيها
ومرة اخرى في بئر الحديبية فجاشتا بالماء فشرب من عين ثبوك
اهل الجيش وهم الوف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية الف وخمسمائة
ولم يكن فيها قبل ذلك ماء وامر صلى الله عليه واله عمر بن الخطاب ان يزود
اربعمائة راكب من ثمر كان في احتماعه كربضة البعير وهو موضع بروكه فزودهم
كلهم منه وبقي بحسبه وري الجيش بقبضة من التراب فعميت عيونهم
ونزل بذلك القران في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وابطل
الله الكهانة ببعثته صلى الله عليه واله فعدمت وكانت ظاهرة موجودة
وحن الجذع الذي كان يخطب عليه لما عمل له المنبر حتى سمع جميع اصحابه
مثل صوت الابل فضمه اليه فسكن ودعا اليهود الى تمني الموت واخبرهم
بانهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه وهذه الاية
مذكورة في القران يقراها في جوامع اهل الاسلام من شرق الارض الى
غربها يوم الجمعة جهرا تعظيما للاية التي فيها واخبر صلى الله عليه واله بالغيوب

وبان عمارا يقتله الفئة الباغية وان الحسن عليه السلم يصلح الله به بين
فئتين عظيمتين من المسلمين واخبر عن رجل قاتل في سبيل الله
انه من اهل النار فظهر ذلك بان قتل الرجل نفسه وهذه اشياء
لا تعرف البتة لشئ من وجوه يفيد به المعرفة لا بنجوم ولا بكهن ولا بكتف
ولا بخط ولا برجز لكن باعلام الله تعالى ووحيه اليه واتبعه سراقة بن جعشم
فساخت قدما فرسه في الارض واتبعه دخان حتى استغاثه فدعا الله
وانطلقت الفرس وانذره بان سيوضع في ذراعيه سوار كسرى
فكان ذلك واخبر بمقتل الاسود العنسي الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء
اليمن واخبر بمن قتله وخرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب
على رؤوسهم فلم يروه وشكى اليه البعير بحضرة اصحابه وتذلل له وقال لنفر
من اصحابه مجتمعين احدكم في النار ضربه مثل احد فمات كلهم على افاقة
وارتد منهم واحد فقتل مرتدا وقال لاخر احرك موتانا في النار فسقط
اخرهم موتانا في نار فاحترق فيها فمات ودعا بحريق فاتاه واجتمعتا
ثم امرها فافترقتا ودعا صلى الله عليه واله النصارى الى المباهلة فابوا
واخبرانهم ان فعلوا هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا واتاه عامر الطفيل

واربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاكاهم عازمين على قتله فحيل بينهما
وبين ذلك ودعا عليها فهلك عامر بغدة وهلك اربد بصاعقة اخبر بها حرقته
واخبر انه صلى الله عليه واله يقتل ابي بن خلف الجمحي عليه اللعنة فحدثه يوم
احد حديثا لطيفا فكانت مينته واطعم السم فمات الذي اكل معه وعاش
صلى الله عليه واله بعد اربعين سنة وكلمه الذراع المسموم واخبر يوم
بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعد
واحد منهم ذلك الموضع واتته رياح طوائف من امته يغزون في البحر فكان
كذلك وزويت له الارض فاري مشارقها ومغاربها واخبر ان ملك امته
سيبلغ ما زوي له منها فكان ذلك كما اخبر صلى الله عليه واله فقد بلغ
ملكهم من اول المشرق من بلاد الترك الى اخر المغرب من بحر الاندلس
وبلاد البربر ولم يتسع في الجنوب ولا في الشمال كما اخبر صلى الله عليه واله
سواء لبسواء واخبر ابنته فاطمة عليها السلام بانها اول اهله لحاقا به فكان كذلك
واخبر بنسائه بان اطولهن يدا اسرعهن لحاقا به فكانت زينب بنت جحش
الاسدية اطولهن يدا بالصدقة واولهن لحاقا به وسمع ضوع شاة هابيل
لابيه فيها فاذرت فكان ذلك سبب اسلام ابن مسعود وفعل

مرة اخرى في خيمتي ام معبد الخزاعية وبدرت عين بعض اصحابه فسقطت
فردها بيده فكانت اصح عينيه واحسنهما وثقل في عين علي عليه السلام وهو
ارمد يوم خيبر فصح في وقته وبعثه بالراية وكانوا يسمعون طعام تسبيح
في يد يده واصيبت رجل بعض اصحابه فمسحها بيده فبرات من حينها
وقل زاد جيش كان معه فدعا بجميع ما بقي فاجتمع شيء يسير جدا فدعا
فيه بالبركة ثم امرهم فاخذوا فلم يبق وعاء في العسكر الا ملئ من ذلك وحكى
الحكم بن العاص مثبته مستمرا فقال صلى الله عليه واله كذلك فكن
فلم يزل يرتعش حتى مات ويد طلحة زال ما كان بها من شلل اصابها
يوم احد حين مسحها بيده وخطب صلى الله عليه واله امراة فقال ابوها
ان بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال
فلتكن كذلك فبرصت وهي ام شبيب الذي يعرف بابن البرصاء الشاعر
الى غير ذلك من اياته ومعجزاته وانما اقتصرنا على المستفيض لقول
ومما استفاض نقله من طريق اهل البيت عليهم السلام اخباره بشهادة مولانا
امير المومنين عليه السلام وانه يضرب على راسه في شهر رمضان فيخضب
بدمه لحيته المباركة وبشهادة سبطيه الحسن والحسين وان الحسن

عليه السلم يسم والحسين يقتل بارض كربلا بعد شهادة اصحابه وحبداغرسا
وبانه يدفن بضعة منه صلى الله عليه واله بطوس اشارة الى مولانا الرضا ع
وبان الائمة بعده اثنا عشر وتسميتهم باسمائهم عليهم السلم وبان امير المومنين ع
يقاتل بعده الناكثين والقاسطين والمارقين وان بعض ازواجه تبغي
عليه وهي لها ظالمة وانه تنبح عندها كلاب حوءب وبجميع الفتن التي
وقعت بعده وان اباذر رضي الله عنه يموت وحيدا غريبا وبان اخر
رزق عمار من الدنيا صاع من لبن الى غير ذلك من الخصوصيات
ومن معجزاته اطاعة الشمس في التوقف عن الغروب مرة وفي الطلوع بعد
الغروب اخرى واطاعة الشجرة له بالاتيان حتى انقلعت من مكانها و
خدت الارض خلفها عروقها مغبرة فوقفت بين يديه وسلمت عليه
ثم رجعت بامره الى مكانها كما هو مذكور في نهج البلاغة قال
ابو حامد ومن تستريب في اختراق العادة على يده ويزعم ان احاد هذه
الوقايع لم تنقل تواترا بل المتواتر هو القران فقط لكن يستريب في شجاعة
علي عليه السلم وسخاوة حاتم ويعلم ان احاد وقايعهم غير متواترة ولكن مجموع
الوقايع يورث علما ضروريا لا يتمارى في تواتر القران وهو المعجزة الكبرى

الباقية من الخلق وليس لنبي معجزة باقية سواه صلى الله عليه واله
اذ تحدى بها بلغاء الخلق وفصحاء العرب وجزيرة العرب يومئذ مملوة
بالالوف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم وكان
منادى من اظهرهم ان ياتوا بمثله او بعشر سور من مثله او بسورة من
مثله ان شكوا وقال لهم لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بهذا بمثل
القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال ذلك تعجيزا
لهم فعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا انفسهم للقتل وبناتهم
وذراريهم للسبي وما استطاعوا ان يعارضوا ولا ان يقدحوا
في حجته وحسنه ثم انتشر ذلك بعده في اقطار العالم شرقا وغربا
قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر وقد انقرض اليوم وقريب من خمسمائة
سنة فلم يقدر احد على معارضته فاعظم بغباوة من ينظر في احواله
ثم في افعاله ثم في اقواله ثم في اخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه
الى الان ثم في انتشاره في اقطار العالم ثم في اذعان ملوك الارض له
في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه
وما اعظم من توفق من امن به وصدقه واتبعه في كل ورد وصدر

نسال الله تعالى ان يوفقنا للاقتداء به في الاخلاق والافعال والاحوال
والاقوال بمنه وكرمه وسعة جوده انه سميع مجيب والسائل من الكريم
لا يخيب هذا اخر الكلام وكتاب اخلاق النبوة واداب المعيشة
من المحجة البيضاء في احياء الاحياء وصلى الله
على محمد واله والحمد لله رب العالمين
اولا واخرا وظاهرا
وباطنا

هذا بعض من عبارات اخر كتاب اخلاق الامامة واداب الشيعة
من ربع التاسع من كتاب المحجة البيضاء في احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

ذكر كلام جامع ضابط في تحقيق معنى الامام ومعنى الشيعة ومعنى
المخالف وتقسيم الناس بهذا الاعتبار اعلم ان من اصطفاه الله تعالى
من عباده واختصه من بينهم لنفسه وادبه فاحسن تاديبه واكمل
تربيته النظرية والعملية الى كمالها الاقصى الممكن ثم علمه من لدنه علما
واطلعه على اسراره واحكامه وشرايعه ثم وهب له مع كماله الذي اعطاه

قدرة على تكميل غيره من بني نوعه بحيث يكون اخذا من الله سبحانه معطيا
الى خلقه وباقي كلا من الناس بما يصلح العقلة من غير ان تشغله الجذبة الغالبة
من الجهة السافلة ولا العكس فهو امام الناس وخليفة الله في ارضه
على خلقه وحجته على عباده والعالم الرباني والسابق المقرب نبيا كان
او غير نبي اذ رب نبي ليس بامام ورب امام ليس بنبي والامامة فوق النبوة
وقد يجمعها الله لواحد كما جمعها الله تعالى لنبينا صلى الله عليه واله ولابراهيم
صلوات الله عليه حيث قال اني جاعلك للناس اماما روى في الكافي عن
هشام بن سالم قال قال ابو عبد الله عليه السلام الانبياء والمرسلون على اربع
طبقات فنبي منبأ في نفسه لا يعدو غيرها ونبي يرى في المنوم ويسمع
الصوت ويعاين الملك وقد ارسل الى طائفة قلوا او كثروا كونس قال الله
ليونس وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قال يزيدون ثلثين الفا وعليه
امام والذي يرى في نومه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة وهو امام مثل
اولي العزم وقد كان ابراهيم عليه السلام نبيا وليس بامام حتى قال الله له اني جاعلك
للناس اماما قال ومن ذريتي فقال الله لا ينال عهدي الظالمين من عبدي
صنما او وثنا لا اكون اماما وعن زرارة قال سالت ابا جعفر عليه السلام عن قول الله

ليس
ولا يعاينه في اليقظة وهو امام مثل
ما كان ابراهيم عليه السلام ونبي يرى في منامه ويسمع الصوت

وكان رسولا نبيا ما الرسول وما النبي قال النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت
ولا يعاين الملك والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين
الملك قلت الامام ما منزلته قال يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك
ثم تلا هذه الاية وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث ومن
وفقه الله لمحبة صاحب هذا المقام وموالاته والاقتداء به والاهتداء بهداه
والاقتفاء لاثره والتشبيع له على طريقته ومنهاجه في حركاته وسكناته
وافعاله واحواله والوقوف على اسراره وعلومه بقدر طاقته وعلى حسب
وسعه ويكون كلما اخطا اناب فاصاب وكلما اذنب ذنبا رجع وتاب وكلما
زل قدمه استقام واب ويتبرا من الطرق الباطلة والاهواء الرائغة واهلها
ويزهد في فضول الدنيا وامتاز من بينها فهو الشيعي والخاص والسعيد
والناجي والمتعلم على سبيل النجاة والمؤمن الممتحن والمتقي والمقتصد وصاحب
الميمنة واهل اليمن ومن هو في مقابل هذا الشخص بان يكون عدوا للامام
غير مقتد به ولا مهتد بهداه ولا مقتفي اثره ولا واقف على اسراره بل مخالفا له
في طريقته جاحدا امره متبعا هواه مقبلا على دنياه فهو المخالف والعاصي
والشقي والهالك والمشرك والضال والظالم وصاحب المشامة واهل

الشمال

السمال فهذه ثلث صفاتين من افراد بني ادم متميز بعضها من بعض هي
بمنزلة الاصول لاصناف الناس ثم الاولى هي الاصل بالاضافة الى الاخريين
اذ بها تنشان وتتميزان قال الله تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله
النبيين مبشرين ومنذرين فاختلفوا واكثر ايات القرآن بل جميعها انما
وردت في هذه الفرق الثلث واحوالهم وافعالهم وافوالهم ومبدائهم ومعادهم
ومنشائهم ومالهم وكذلك الاخبار والآثار عن الائمة الاطهار عليهم سلام الله
والهم الاشارة بقوله عز وجل وكنتم ازواجا ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة
واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة والسابقون السابقون اولئك
المقربون وعن ابي جعفر عليه السلام في قوله عز وجل هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب قال نحن الذين يعلمون وعدونا
الذين لا يعلمون وشيعتنا اولوا الالباب والى الاخريين الاشارة بما
ورد في حديث سوال القبر والرجعة انما يسئل في قبره من محض الايمان
محضا او من محض الكفر محضا وانما يرجع الى الدنيا عند قيام القائم من محض الايمان
محضا او من محض الكفر محضا واما سائر الناس ممن سوى هذه الفرق الثلث
فبهايم وسباع وهمج رعاع ومقلدة واتباع وغثاء من اهل النقل المجرد ومحض

السماع لا يعبؤ بهم ولا يعتني بشانهم وان كانوا من المنسوبين الى العلم اذا
كان علمه مقصورا على العلوم الرسمية الظاهرة فان كان فيهم من يحب السعداء
ويبغض الاشقياء ويهتم بالدين ويعمل بطرف من سنن المرسلين فهو الموالي
والمحب والناجي فينجو ويحشر مع من يتولاه فان المرء يحشر مع من احب وربما
يطلق الشيعة على هذا ايضا من باب التغليب او من جهة مشايعته لظاهر
الامام وعلى شريعته وان لم يشايعه لباطنه وعلى حقيقته وهذا كما ان المؤمن
قد يخص بالممحض وقد يطلق على ما يشمل الغير الممحض ايضا كما قال الصادق عليه السلام
المؤمن مؤمنان مؤمن صدق بعهد الله ووفى بشرطه وذلك قول الله تعالى في
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فذلك الذي لا تصيبه اهوال الدنيا
ولا اهوال الاخرة وذلك ممحض لا يشفع ولا يشفع له ومؤمن كخامة الزرع تعوج
احيانا وتقوم احيانا فذلك من تصيبه اهوال الدنيا واهوال الاخرة و
ذلك ممحض لا يشفع له ولا يشفع وكذلك الهمج والغثاء فذلك ممحض من سوى الفرقة
الثالثة وقد يطلق على ما يشمل الفرقة الاخيرة منهم ايضا كما قال امير المؤمنين عليه السلام
الناس ثلثة اما عالم ربانى او متعلم على سبيل النجاة او همج رعاع اتباع كل ناعق
يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجاوا الى ركن وثيق وعن

الصادق

الصادق عليه السلم يغدو الناس على ثلاثة اصناف عالم ومتعلم وغثاء
فنحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وسائر الناس غثاء وعن النبي
صلى الله عليه واله لا خير في العيش الا لرجلين عالم مطاع او مستمع واع
وعن الصادق عليه السلم اغد عالما او متعلما او احب اهل العلم ولا تكن رابعا
فتهلك ببغضهم وفيما بين الامام والشيعة والموالي مراتب ودرجات متفاوتة
في القرب من السعادة الحقيقية والبعد عنه فربّ شيعي له حظ من الامامة
وربّ موال له حظ من التشيع وانما يعرف ذلك بوجود الصفات
والعلامات التي ذكرناها فمنهم اكثرها او اقلها على حسب مراتبهم ومن جمعت
له مع التشيع العلامات الاثنى عشرة التي ذكرناها في الباب السادس
من كتاب العلم من ربع العبادات عند ذكر علماء الاخرة فله حظ من الامامة
وارشاد الناس وهو نايب عن امام الاصل عند غيبته عليه السلم **فصل**
من احب احدا لاعتقاده الخير فيه او ابغض احدا لاعتقاده الشر فيه
يوجر على حبه وبغضه وان اخطا في اعتقاده يدل على ذلك ما رواه
في الكافي عن ابي جعفر عليه السلم قال لو ان رجلا احب رجلا لله احبه رجلا لله
لاثابه الله على بغضه اياه وان كان المبغض في علم الله من اهل الجنة وعنه عليه السلم

لاثابه الله على بغضه اياه وان كان المحبب في علم الله من اهل النار ولو ان رجلا ابغض رجلا لله

اذا اردت ان تعلم ان فيك خيرا فانظر الى قلبك فان كان تحب اهل
طاعة الله وتبغض اهل معصيته ففيك خير والله يحبك واذا كان تبغض
اهل طاعة الله وتحب اهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك والمرء
مع من احب وعن ابي عبد الله عليه السلم قال ان الرجل ليحبكم ومايعرف ما
انتم عليه فيدخله الله الجنة بحبكم وان الرجل ليبغضكم ومايعرف ما انتم عليه
فيدخله الله بيغضكم النار اقول وذلك لان اصحابه عليه السلم كانوا اهل طاعة
وتقوى في الظاهر فمن احبهم او ابغضهم مع عدم العلم بمذهبهم فانما احب
او ابغض اهل طاعة الله فمفاد هذا الحديث بعينه مفاد الحديث الاول ولا يخفى
ان الحب والبغض من هذه الجهة اعني جهة طاعة الله ومعصيته يرجع في الحقيقة
الى محبة المقام والحقيقة دون الشخص الجزئي خصوصا اذا لم يرا المحب والمبغض
محبوبه ومبغوضه وانما سمع بصفاته واخلاقه ويدل على ذلك صريحا ما
رواه الصدوق رحمه الله في كتاب علل الشرايع باسناده عن المفضل بن
عمر قال قلت لابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلم بما صار علي بن ابي
طالب عليه السلم قسيم الجنة والنار قال لان حبه ايمان وبغضه كفر وانما يساق
الجنة لاهل الايمان وخلقت النار لاهل الكفر فهو عليه السلم قسيم الجنة والنار

لهذه العلة والجنة لا يدخلها الا اهل محبته والنار لا يدخلها الا اهل بغضه
قال المفضل يا بن رسول الله فالانبياء والاوصياء هل كانوا يحبونه واعداؤهم
يبغضونه فقال نعم قلت فكيف ذلك قال لما علمت ان النبي صلى الله عليه وآله
قال يوم خيبر لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله و
رسوله ما برجع حتى يفتح الله على يده قلت بلى قال لما علمت ان رسول الله
صلى الله عليه وآله لما اوتي بالطاير المشوي قال اللهم ائتني باحب خلقك
اليك ياكل معي هذا الطاير وعنى به عليا عليه السلم قلت بلى قال يجوز ان لا
يحب انبياء الله ورسله واوصياؤهم عليهم السلم رجلا يحبه الله ورسوله و
رسوله قلت لا قال فهل يجوز ان يكون المومنون من امتهم لا يحبون حبيب الله
ورحبيب رسوله وانبيائه عليهم السلم قلت لا قال فقد بنت ان جميع انبياء الله
ورسله وجميع المومنين كانوا محبين لعلي بن ابي طالب ومبنت ان المخالفين
لهم كانوا لهم ولجميع اهل محبتهم مبغضين قلت نعم قال فلا يدخل الجنة الا
من احبه من الاولين والاخرين فهو اذن قسيم الجنة والنار قال المفضل
بن عمر فقلت له يا بن رسول الله فرجت عني فرج الله عنك فزدني مما
علمك الله فقال سل يا مفضل فقلت اسالك يا بن رسول الله فعلي بن ابي طالب

يدخل محبته الجنة ومبغضه النار اورضوان ومالك فقال يا مفضل اما
علمت ان الله تبارك وتعالى بعث رسوله صلى الله عليه واله وهو روح الى
الانبياء عليهم السلم وهم ارواح قبل خلق الخلق بالفي عام قلت بلى قال اما
علمت انه دعاهم الى توحيد الله وطاعته واتباع امره ووعدهم الجنة على ذلك
واوعد من خالف ما اجابوا اليه وانكره النار قلت بلى قال افليس النبي
ضامن لما وعد واوعد عن ربه عز وجل قلت بلى قال اوليس علي بن ابي
طالب خليفته وامام امته قلت بلى قال اوليس رضوان ومالك من جملة
الملائكة والمستغفرين لشيعته الناجين بمحبته قلت بلى قال فعلي بن
ابي طالب عليه السلم اذن قسيم الجنة والنار عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
ورضوان ومالك صادران عن امره بامر الله تبارك وتعالى يا مفضل خذ
هذا فانه من مخزون العلم ومكنونه لا تخرجه الا الى اهله قال بعض علمائنا
رحمهم الله تعالى ان هذا الحديث الشريف جوهرة نفيسة ودرة ثمينة قد
افاد مولانا الصادق عليه السلم وفيه فوائد جمة لا تذهب على اولي النهى منها
ان المراد بمحبة امير المومنين عليه السلم ما يورث المعرفة بمقامه عليه السلم اذ هو
الذي يساوق الايمان وان ليس المراد بها محبة شخصه الموجود في الدنيا

مدة المحسوس بالحواس الجزئية بل المراد محبة حقيقته الالهية ومقامه
العقلي الكلي الذي كان قبل ان يخلق الخلق وان نبينا صلى الله عليه واله
ارسل الى سايرالانبياء واوصيائهم عليهم السلم في مقامه العقلي الكلي وبشرهم
وانذرهم وهم يومئذ مكلفون بطاعته وامتثال امره واجتناب معصيته
تصديقا لقوله تعالى هذا نذير من النذر الاولى وانه الضامن على الله تعالى
وعده اهل الاستجابة والطاعة وما توعد به اهل التكذيب والمعصية
وان امير المومنين عليه السلم خليفته على ذلك كله في سايرامته من الاولين
والاخرين سواء الانبياء والامم وان حكمه جار على سدنة الجنان وعلى خزنة
النيران يصدرون عن امره ونهيه وان الملائكة مستعبدون بالاستغفار
لشيعته كتعبدهم بالتوحيد والنبوة والولاية قال الله تعالى الذين يحملون
العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين امنوا ربنا
وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم
عذاب الجحيم انتهى كلامه ولكن هذا الخ الكلام في كتاب اخلاق الامامة واذا السعة

مجلس شورای ملی
کتابخانه
۱۳۰۲

۴۰۸ ارک